المقتطف

الجزء الرابع من المجلد السادس بعد المائة

١ ابريل سنة ١٩٤٥ — ١٨ ربيع الثاني سنة ١٣٦٤

ألغاز العلم

— ٣ —

صلة المادة بالاشعاع

ذهب نيوتن إلى أن الضوء دقائق أو ذرّات . وذهب هوجنس إلى انهُ موجات. فراجت سوق الجدال بين العلماء ، واقترح أحدهم أن يوزن بصندوق أسود من داخله ، فيوزن أولاً ثم تسدّد اليه شعاعة من الضوء ثم يوزن بعد ذلك . فاذا زاد وزنهُ ثبت ان الضوء ذرّات وإذا بقي وزنهُ على ما كان عليهِ ثبت أن الضوء موجٌ . جرّبت التجربة وبقي وزن الصندوق على حاله لأن أدق القاييس والموازين لا تستطيع أن تزن شعاعة من الضوء ، ولو كان الضوء ذرّات لها وزن أو ضغط . فرجح مذهب التموّج حينئذٍ وبقي سائداً الى أوائل هذا القرن حين أخذت البحوث تثبت شيئاً فشيئاً ان الضوء ذرّات (أقدار ، كوانتا) وأمواج أو هو لدى التحقيق ذرّات من الطاقة تسير سيراً موجيًّا .

وما حدث للضوء حدث للكهيرب . فانّ العلماء أخذوا ينظرون اليهِ نظرهم إلى كتلة من الأمواج كما يؤخذ من تجارب دافيسون وطمسون ، وكما يستفاد من مباحث دبروي ومن جرى مجراه ، وهي مباحث رياضية دقيقة أيدتها التجارب في المعامل .

فقد أخذ دافيسون الأميركي بلورة من النكل وسدّد إلى صفحتها تياراً من الكهيربات فانحرفت بعض الكهيربات منها ، ولدى التحقيق وُجد أن هذا الانحراف يحصل في جهات معينة

دون غيرها . وبعد البحث الرياضي الدقيق وجد أنهُ لو كانت الكهيربات أمواجاً مسدَّدة إلى صفحة هذه البلورة ، لانحرفت عنها إلى الجهة التي انحرفت اليها الكهيربات ، دون غيرها .

وأخذ جورج طمسون (نجل ج . ج طمسون مكتشف الكهيرب) أغشية دقيقة شفافة من الغادن آناً ومن السلنويد آناً آخر ، وأنفذ خلالها تياراً من الكهيرباك . ولما كانت أكثر المواد بلورية التركيب فقد كان عمل الأستاذ طمسون في الواقع ، إرسال تيار من الكهيربات في غشاء مكوَّنٍ من بلورات متعددة دقيقة ، بدلاً من أن يفعل ما فعله دافيسون من توجيه التيار إلى بلورة واحدة وحسب . وقد وضع طمسون لوحاً للتصوير الضوئي ، وراء الغشاء وعلى ١٢ بوصة منهُ ، فكانت الكهيربات تصيبهُ بعد أن تخترق الغشاء ، وكانت البلورات تفرق الكهيربات ، فحين تصيب الكهيربات لوح الضوء ، تترك أثراً فيهِ . فلما أخذ هذا اللوح وحمّض ونبت وجد أن أثر الكهيربات بيّن فيه ، وانهُ حلقةٌ أو نقط منتظمة في شكل حلقة . وهذا الانتظام يشبه أثر الاشعة السينية بعد أن تخترق طبقة رقيقة من بلورات الالومنيوم أي أن الكهيربات فعلت كفعل الاشعة السينية .

فالمسألة التي تحيِّر ألباب العلماء هي هذه : هل الضوء أمواج أو ذرَّات ؟ هل الكهيربات أمواجٌ أو ذرَّات ؟ فالضوء الذي نشأنا على حسبانهِ أمواجاً لهُ أحياناً صفات الأمواج . والكهيربات التي اتصفت بصفات الدقائق المادية ثبتت لها خواص وأسندت اليها أفعال تجعلها والأمواج سواء . وتلخص وجوه الشبه بين المادة والاشعاع في ثلاثة وجوه رئيسية :

أولاً — اذا سقطت الأشعة المختلفة على سطحٍ نشأ من سقوطها عليهِ ضغط كما يحدث في حالة سقوط المادة على سطح . فالاشعاع الساقط على ورقةٍ يضغط سطح الورقة . كما لو كان الشعاع مصنوعاً من المادة . وهذه ظاهرة عرفت في القرن الثامن عشر . وسميت ظاهرة ضغط الضوء ، أو « ضغط الاشعاع » : وهو ضغط قليل جداً ، في نطاق العادة ، فضغط أشعة الشمس على ميلٍ مربع من سطح الأرض لا يزيد على ثلاثة أرطال . فأحرِ بهِ ، إذا حاولت تبينهُ على سطح ورقةٍ ، أن لا يكون شيئاً مذكوراً . ولكن الضغط يزداد بازدياد شدَّة الأشعة وقِصر موجتها . ولذلك — من الناحية النظرية وحسب — أن تسقط إلى الأرض لوحاً قائماً من الحديد ، بتوجيه أشعة قوية اليه ، ولكن حرارة هذه الأشعة تبلغ من الشدة مبلغاً يصهر الحديد قبل سقوطهِ .

ثانياً — ان للأشعة خواص الجسيمات الدقيقة ، فكأنما هي مؤلفة من ذرَّات ضوئية . وقد سميت هذه الذرَّات الضوئية « فوتونات » . وهذه ظاهرة تتجلى في ما يقال عن الكهربية

الضوئية التي تستخدم في الأجهزة الكهربية الحديثة ، والتطبيقات الكهربية في الصناعة والحرب مثل العين الكهربية .

ثالثاً — ان المادة لها خواص موجية تشبه خواص الضوء الموجية . وما تتصف به المادة من خواص موجية لم يكن معروفاً قبل سنة ١٩٢٧ ويرجع الفضل في كشفه الى طمسون ووريد في انكلترا ودافيسون وجرمر في أميركا . وهو يوحي بأن المادة والاشعاع ناحيتان لشيء واحد ، أو هما يرتدان الى أصل واحد ، او تصل بينها صلة أساسية واحدة .

وهذا الشيء الواحد هو في نظر الدكتور علي مصطفى مشرفة — الصرعة . فلندعه يتحدث في دعة العالم عن رأيه : « تقدمت أخيراً ببعض آراء يقصد منها التوفيق بين وجهتي النظر الى كل من المادة والاشعاع . . .

« من المعلوم ان القوانين الكهربائية المغنطيسية تصاغ عادة في الصيغة التي تنسب الى مكسويل ، وفي هذه القوانين تستعمل عادة لغتين مختلفتين احداهما للتعبير عن المادة ، والثانية للتعبير عن الاشعاع . فهل من الممكن استخدام قانون أكثر أساسية من قانون مكسويل ، أي أن نوحد بين اللغتين بحيث تنطبق العبارة الواحدة على كل من المادة والاشعاع . هذا هو السؤال الذي وضعته لنفسي وحاولت الاجابة عنه .

« وقد وجدت انه للاجابة عن هذا السؤال يكون من المفيد ان نحول المعادلات بحيث تعبر عن وجهة نظر شخص متحرك بسرعة الضوء لكي يمكن مقابلة وجهة نظر هذا الشخص بوجهة نظرنا العادية . وانني أحشى ان يكون هذا التحويل الذي هو تحويل مادي جداً من الناحية الرياضية قد استرعى من الانتباه أكثر مما يجب . فمثلاً قارن اولفر لدج في أحد مؤلفاته بيني وبين دين سويفت واضع كتاب رحلات جاليفر . ولكنني لا أعتقد أن هناك مسوغاً كبيراً لهذه المقارنة . فان كلامي عند ما حول حركات الكواكب السيارة الى ما تظهر عليه إذا نظر اليها من وجهة شخص على الشمس ، لم يكن يتطلب منا ان ننتقل الى الشمس لنصطلي بسعيرها لكي ننظر الى العالم . وكذلك اذا أمكن تحويل معادلات مكسويل أو غيرها من القوانين ، بنسبتها الى محاور متحركة بسرعة الضوء ، فليس معنى هذا ان علينا ان نكون ملائكة مصنوعين من النور لكي يمكن لنا فهمها . وكذلك قرأت للاستاذ هولدين مؤلفاً أشار فيه الى آرائي هذه في علاقة المادة بالاشعاع فقال انها تنطوي على مبدأ فلسفي جديد ولكنني أفضل أن ينظر اليه نظرة حيز — على انها محاولة للتوحيد بين لغتين مختلفتين ، وقانونين مختلفين أحدهما يصلح للمادة والآخر للاشعاع ، وان نجعل منها لغة واحدة وقانوناً واحداً يصلح لكل من المادة والاشعاع » .

سر الخلية المتكاثرة

من ألغاز العلم التي تحيِّر ألباب الباحثين في الطبّ وطبائع الأحياء، لغز الخلية، أو الخلايا، التي تشذّ في نموّها، عن القيود والضوابط التي تقيد نموّ الخلايا الأخرى وتضبطه. وهذا النموّ غيرُ المقيَّد يحدث في أجسام البشر وسائر الحيوان والنبات، فتصاب بعلة أطلق عليها اسم السرطان. وقد دانت طائفة كبيرة من الأمراض التي تصيب الأحياء، للمقاقير وغيرها من أساليب العلاج، ولكنّ السرطان لم يزل مستعصياً، بوجه عام. إن علاجَهُ بالجراحة والأشعة السينية والراديوم، قد يجدي إذا كان السرطان في بواكيره، وعلى سطح الجسم أو قريباً من السطح، ولكن لو عُلِمَ أصل العلة، وكيف تنحرف الخلية عن طريق النموّ المقيَّد إلى النمو الناشز والتكاثر الذي لا حدّ له، لكان علاجها أحكم وأدنى إلى النجاح.

إن سرّ النموّ في الأحياء، قائم على انشطار الخلية. فالخلية الواحدة تنشطر خليتين سويتين، والخليتان تنشطران أربع خلايا سويّة وهكذا. فمتى بلغ النسيج حدَّهُ السويّ من النموّ، توقفت الخلايا عن الانشطار، إلاّ في الحدود اللازمة، لتعويض ما يهلك منها فضبط النمو في الخلايا، على هذا الوجه، تسيطر عليه، فيما يُظَنّ، عوامل الوراثة في الخلية، مشتركة مع الأثوار (الهرمونات) التي تفرزها الغدد الصمّ. أما كيف تسيطر قوى ما يجهلهُ العلم الآن. وفي الحين بعد الحين تتمرّد إحدى الخلايا على هذه السيطرة، فتمضي في الانشطار، إلى أن تتكوّن كتلة منها غير سوية. وقد تبلغ في تكاثرها حدّاً تقف عنده ولا يعلم أحد لماذا تقف ولا كيف تقف. وقد يقفها عن استمرار النموّ، العلاج بالأشعة السينية، أو باشعاع الراديوم. أو قد تمضي لا يعوقها عائق ما إلى أن تقضي على الحياة.

ولما كانت العوامل الوراثية، تسيطر على الحياة، فقد سأل العلماء أنفسهم هذا السؤال: أيحدث في عوامل الوراثة انحرافٌ عن الطريق السوي يفضي إلى هذا التكاثر غير السويّ؟ ولكن معظم خواص عوامل الوراثة، خواص موروثة، والعلماء يرون أن خواص الخلايا السرطانية، أو معظمها على الأقل — ليست خواص موروثة. ولذلك يتجه الرأي بينهم إلى البحث عن سرّ هذه الظاهرة في الأثوار والخمائر (الهرمونات والأزيمات). فاذا صدق ظنهم، فعسى ان يجدوا للڤيتامينات أثراً عظيماً في كلّ هذا. فالڤيتامينات شأن كبير في ما يتمثلهُ الجسم من المواد الكيميائية، وكيف يستعملهُ. وقد يكتشفون أنّ خطأً معيّناً في التغذية، يفضي إلى إبطال النظام الذي يسيطر على نمو الخلايا سيطرةً محكمة.

فؤاد صروف

(البقية في آخر باب الاخبار العلمية)

جامعة الامم العربية

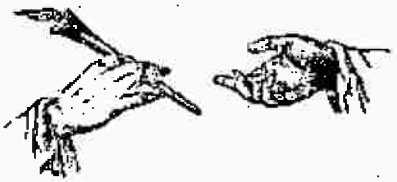

في الساعة الرابعة من مساء ٢٢ من مارس الماضي وقع مندوبو الدول العربية المستقلة ميثاق جامعة الدول العربية فأصبحت الجامعة حقيقة مادية واقعة . والتقط إذ يحيي العرب من أعماق قلبه ونفسه ، ويمضي شديد الايمان بما سوف يتمخض عنه هذا الميثاق في المستقبل القريب من خير عميم وعزة قومية ترفع العرب الى ما كان عليه آباؤهم وأكثر ، يسره أن ينبت نص الميثاق تخليداً لهذه الذكرى التاريخية العظيمة

مادة ١ — تتألف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة الموقعة على هذا الميثاق

ولكل دولة عربية مستقلة الحق في أن تنضم إلى الجامعة . فاذا رغبت في الانضمام قدمت طلباً بذلك يودع لدى الأمانة العامة الدائمة ويعرض على المجلس في أول اجتماع يعقد بعد تقديم الطلب

مادة ٢ — الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقاً للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها والنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها .

كذلك من أغراضها تعاون الدول المشتركة فيها تعاوناً وثيقاً بحسب نظم كل دولة منها وأحوالها في الشؤون الآتية :

(ا) الشؤون الاقتصادية والمالية ويدخل في ذلك التبادل التجاري والجمارك والعملة وأمور الزراعة والصناعة .

(ب) شؤون المواصلات ويدخل في ذلك السكك الحديدية والطرق والطيران والملاحة والبرق والبريد .

(ج) شؤون الثقافة .

(د) شؤون الجنسية والجوازات والتأشيرات وتنفيذ الأحكام وتسليم المجرمين .

(هـ) الشؤون الاجتماعية .

(و) الشؤون الصحية .

مادة ٣ — يكون للجامعة مجلس يتألف من ممثلي الدول المشتركة في الجامعة ، ويكون لكل منها صوت واحد مهما يكن عدد ممثليها .

وتكون مهمته القيام على تحقيق أغراض الجامعة ومراقبة تنفيذ ما تبرمه الدول المشتركة فيها من اتفاقات في الشؤون المشار اليها في المادة السابقة وفي غيرها .

ويدخل في مهمة المجلس كذلك تقرير وسائل التعاون مع الهيئات الدولية التي قد تنشأ في المستقبل لكفالة الأمن والسلام ولتنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية .

مادة ٤ — تؤلف لكل من الشؤون المبينة في المادة الثانية لجنة خاصة تمثل فيها الدول المشتركة في الجامعة وتتولى هذه اللجان وضع قواعد التعاون ومداه وصياغتها في شكل مشروعات اتفاقات تعرض على المجلس للنظر فيها تمهيداً لعرضها على الدول المذكورة .

ويجوز أن يشترك في اللجان المتقدم ذكرها أعضاء يمثلون البلاد العربية الأخرى . ويحدد المجلس الأحوال التي يجوز فيها اشتراك أولئك الممثلين وقواعد التمثيل .

مادة ٥ — لا يجوز الالتجاء الى القوة لفض المنازعات بين دولتين أو أكثر من دول الجامعة . فاذا نشب بينها خلاف لا يتعلق باستقلال الدولة أو سيادتها أو سلامة أراضيها ولجأ المتنازعون الى المجلس لفض هذا الخلاف كان قراره عندئذ نافذاً وملزماً .

وفي هذه الحالة لا يكون للدول التي وقع بينها الخلاف الاشتراك في مداولات المجلس وقراراته .

ويتوسط المجلس في الخلاف الذي يخشى منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة وبين أية دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها للتوفيق بينهما .

وتصدر قرارات التحكيم والقرارات الخاصة بالتوسط بأغلبية الآراء .

مادة ٦ — اذا وقع اعتداء من دولة على دولة من أعضاء الجامعة أو خشي وقوعه ، فللدولة المعتدى عليها أو المهددة بالاعتداء عليها أن تطلب دعوة المجلس للانعقاد فوراً .

ويقرر المجلس التدابير اللازمة لدفع هذا الاعتداء ويصدر القرار بالاجماع اذا كان الاعتداء من احدى دول الجامعة لا يدخل في حساب الاجماع رأي الدولة المعتدية .

واذا وقع الاعتداء بحيث يجعل حكومة الدولة المعتدى عليها عاجزة عن الاتصال بالمجلس فلممثل تلك الدولة فيه أن يطلب انعقاده للغاية المبينة في الفقرة السابقة . واذا تعذر على الممثل الاتصال بمجلس الجامعة حق لأية دولة من أعضائها أن تطلب انعقاده .

مادة ٧ — ما يقرره المجلس بالاجماع يكون ملزماً لجميع الدول المشتركة في الجامعة وما يقرره المجلس بالأكثرية يكون ملزماً لمن يقبله .

وفي الحالتين تنفذ قرارات المجلس في كل دولة وفقاً لنظمها الأساسية .

مادة ٨ — تحترم كل دولة من الدول المشتركة في الجامعة نظام الحكم القائم في دول الجامعة الأخرى وتعتبره حقاً من حقوق تلك الدول وتتعهد بأن لا تقوم بعمل يرمي إلى تغيير ذلك النظام فيها .

مادة ٩ — لدول الجامعة العربية الراغبة فيما بينها في تعاون أوثق وروابط أقوى مما نصّ عليه هذا الميثاق أن تعقد بينها من الاتفاقات ما تشاء لتحقيق هذه الأغراض .

والمعاهدات والاتفاقات التي سبق أن عقدتها أو التي تعقدها فيما بعد دولة من دول الجامعة مع أية دولة أخرى لا تلزم ولا تقيد الأعضاء الآخرين .

مادة ١٠ — تكون القاهرة المقر الدائم لجامعة الدول العربية ولمجلس الجامعة أن يجتمع في أي مكان آخر يعينه .

مادة ١١ — ينعقد مجلس الجامعة انعقاداً عادياً مرتين في العام في كل من شهري مارس وأكتوبر وينعقد بصفة غير عادية كلما دعت الحاجة إلى ذلك بناءً على طلب دولتين من دول الجامعة .

مادة ١٢ — يكون للجامعة أمانة عامة دائمة تتألف من أمين عام وأمناء مساعدين وعدد كافٍ من الموظفين .

ويعين مجلس الجامعة بأكثرية ثلثي دول الجامعة الأمين العام . ويعين الأمين العام بموافقة المجلس الأمناء المساعدين والموظفين الرئيسيين في الجامعة .

ويضع مجلس الجامعة نظاماً داخلياً لأعمال الأمانة العامة وشؤون الموظفين .

ويكون الأمين العام في درجة سفير والأمناء المساعدون في درجة وزراء مفوضين .

ويعين في ملحق لهذا الميثاق أول أمين عام للجامعة

مادة ١٣ — يعد الأمين العام مشروع ميزانية الجامعة ويعرضه على المجلس للموافقة عليه قبل كل سنة مالية .

ويحدد المجلس نصيب كل دولة من دول الجامعة في النفقات ويجوز أن يعيد النظر فيه عند الاقتضاء .

مادة ١٤ — يتمتع أعضاء مجلس الجامعة وأعضاء لجانها وموظفوها الذين ينص عليهم في النظام الداخلي بالامتيازات وبالحصانة الدبلوماسية أثناء قيامهم بعملهم .

وتكون مصونة حرمة المباني التي تشغلها هيئات الجامعة

مادة ١٥ — ينعقد المجلس للمرة الأولى بدعوة من رئيس الحكومة المصرية وبعد ذلك بدعوة من الأمين العام .

ويتناوب ممثلو دول الجامعة رياسة المجلس في كل انعقاد عادي .

مادة ١٦ — فيما عدا الأحوال المنصوص عليها في هذا الميثاق يكتفى بأغلبية الآراء لاتخاذ المجلس قرارات نافذة في الشؤون الآتية :

(ا) شؤون الموظفين

(ب) لقرار ميزانية الجامعة .

(ج) وضع نظام داخلي لكل من المجلس واللجان والأمانة العامة .

(د) تقرير فض أدوار الاجتماع .

مادة ١٧ — تودع الدول المشتركة في الجامعة الأمانة العامة نسخاً من جميع المعاهدات والاتفاقات التي عقدتها أو تعقدها مع أية دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها .

مادة ١٨ — اذا رأت إحدى دول الجامعة أن تنسحب منها أبلغت المجلس عزمها على الانسحاب قبل تنفيذه بسنة .

وللمجلس الجامعة ان يعتبر أية دولة لا تقوم بواجبات هذا الميثاق منفصلة عن الجامعة وذلك بقرار يصدره باجماع الدول عدا الدولة المشار اليها .

مادة ١٩ — يجوز بموافقة ثلثي دول الجامعة تعديل هذا الميثاق وعلى الخصوص لجعل الروابط بينها أمتن وأوثق ولانشاء محكمة عدل عربية ولتنظيم صلات الجامعة بالهيئات الدولية التي قد تنشأ في المستقبل لكفالة الأمن والسلام .

ولا يبت في التعديل الا في دور الانعقاد التالي للدور الذي يقدم فيه الطلب .

وللدولة التي لا تقبل التعديل ان تنسحب عند تنفيذه دون التقيد بأحكام المادة السابقة .

مادة ٢٠ — يصدق على هذا الميثاق وملاحقه وفقاً للنظم الأساسية المرعية في كل من الدول المتعاقدة .

وتودع وثائق التصديق لدى الأمانة العامة ويصبح الميثاق نافذاً قبل من صدق عليه بعد انقضاء خمسة عشر يوماً من تاريخ استلام الأمين العام وثائق التصديق من أربع دول

حرر هذا الميثاق باللغة العربية في القاهرة بتاريخ ٨ ربيع الثاني سنة ١٣٦٤ (٢٢ مارس سنة ١٩٤٥) من نسخة واحدة تحفظ في الأمانة العامة .

وتسلم صورة منها مطابقة للاصل لكل دولة من دول الجامعة .

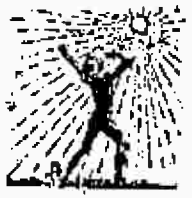

بلاد العرب
للعرب

« اذا قال أحدنا « الجامعة الاسلامية » فانما يعني جامعة عربية روحها الاسلام ، واذا قال أحدنا « الجامعة العربية » فانما يعني جامعة اسلامية روحها العروبة . وكل قول يناقض هذا القول ، خطأ ، وكل نزعة تخالف هذه النزعة ، شعوبية خبيثة » .

هل آمنّا ؟

لم نؤمن بعد . ولكن أقول أسلمنا . ولمّا يدخل الايمان في قلوبنا .

إذا كان التسليم بضرورة العمل على انهاض بلاد العرب واقامة مدنية خالدة على أساس من المدنية الحديثة ، هو أول خطوة في سبيل الايمان بحقنا الطبيعي في الحياة الحرة المستقلة ، فنحن الآن ولا شك في أول مراقي الايمان بأن بلاد العرب ينبغي أن تكون للعرب وحدهم دون بقية خلق الله . ولن تكون بلاد العرب للعرب حتى نؤمن بأن لبلادنا العربية حقًا مقدسًا معلقًا في عنق كل عربي وعربية ، حقًا نفديه أولاً في أنفسنا وفي أخلاقنا وفي عزتنا ، ننظر من خلاله إلى العالم القائم من حولنا نظرة المؤمنين بأننا أبناء أولئك الذين دانت لهم الأرض ، وانها ينبغي أن تدين لنا ، أبناء أولئك الذين أقاموا أسس المدنية الحديثة ، وانها ينبغي أن تكون لنا ، أبناء أولئك الذين فتحوا الدنيا من حدود الصين إلى ضفاف بحر الظلمات ، وان الدنيا ينبغي أن تعترف بوجودنا وتشعر بأن عرب اليوم هم عرب الأمس ، هم ورثة محمد وعمر وأبي بكر وخالد بن الوليد وأمثالهم ممن حطموا أغلال العبودية في الجاهلية والاسلام ، وأقاموا أسس الحرية في عصر لم تعرف فيه الحرية ، واعترفوا بالمساواة بين الناس في عصر لم تعرف فيه إلاّ الفروق بين الأفراد والجماعات ، وشيدوا صرح الاخاء في عصر لم يعرف فيه إلاّ التباغض والتنافر والتدابر . أولئك الذين شرعوا للناس على قاعدة الفطرة لا على قاعدة الذات ، أولئك الذين

أنكروا ذواتهم فاستطاعوا أن يحققوا الانسانية ذاتيتها ، فأعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، علماً وعملاً . أولئك الذين اتسعت نفوسهم لأكبر قسط من التسمح الديني ذكره تاريخ البشر منذ كان للبشر تاريخ ، أولئك الذين قالوا لا فضل لعربي على عجمي إلاّ بالتقوى ، وان العبد الزنجي إذا علم ، فضّل على العربي إذا جهل ، أولئك الذين وضعوا أول قواعد السياسة العالمية ، وقضوا على سياسة القوميات ، في عصر لم تشرق فيه شمس الفكر الحر قبل أن يكونوا ، برهة واحدة من الزمان .

***

إذا أراد أبناء العرب أن يستعيدوا هذه القمة ، ويعيدوا ذلك المجد القديم ، فأول واجب عليهم أن يعتقدوا اعتقاداً جازماً لا ريب فيه ان ذلك إنما يرجع إلى أنفسهم أولاً وقبل كل شيء .

إذا كان المجموع في البلاد العربية في هذا العصر ، ضعيف التماسك محطم الروابط مفكك الصلات ، فلا ينبغي أن تقف هذه الظواهر على خطورتها في عقد الفرد ، وتبعث في نفسه اليأس من إمكان تأليف مجموع قوي مترابط متحد في عصر قريب .

ذلك بأن بناء المجموع ومكانته من القوة والعزّة ، يرجع برمته إلى قوة الأفراد . فاذا نظر كل منا في نفسه أوّل شيء ، وراضها على الخلود إلى الحقائق ، وعمل على أن يكون مثلاً أعلى ، لا بالقياس على غيره فقط ولا بالقياس على المجموع الذي هو عضو فيه ، وانما بالقياس على الفضائل العربية التي ورثها العرب عن أسلافهم الأولين ، كان ذلك المصدر وحده ، النبع الأول الذي يزوّد الجماعات العربية في كل دولة من الدول بالقوة المعنوية التي هي في الواقع أجلى مظهر من مظاهر الاتحاد القومي . إذا جرى كل عربي على هذا السنن القويم ، فهنالك يدخل الايمان في قلوبنا ، وتسيطر علينا قوة ذلك الايمان الثابت ، الذي أوحى لأسلافنا بما أوحى .

ينبغي لكل عربي أن يكون في دخيلة نفسه عربيًّا روحاً ونفساً . مثله الأعلى آداب العرب وآداب الاسلام ، وسياسته الدنيوية سياسة العرب وسياسة الاسلام . وبأي شيء يوحي ذلك المثل الأعلى ؟ يوحي اليك بأنك إذا لم تكن حرًّا ، فلست بعربي ولست بمسلم . وانك إذا لم تكن مستقلاً ، فلست بعربي ولست بمسلم . وإذا لم تكن صادقاً ، فلست بعربي ولست بمسلم ، وإذا لم يكن وائدك في الحياة الاخلاص لعروبتك والتفاني في خدمتها ، وإذا لم تكن صريح الفكر واللسان ، وإذا لم تعمل على قتل الشرور بلسانك ويدك ، وإذا لم تنتقد

انك إذا سكتّ عن قول الحق والدفاع عنهُ ، فأنت شيطان أخرس ، إذا لم تكن شيئاً من ذلك ، فلست بعربي ولست بمسلم .

وإنما انتزل الكلام في العروبة بالاسلام، لأن الثابت الذي لا لجاج فيه ولاريب يداخله، أن الاسلام لم ينزل بلغة العرب فقط ، وانما نزل بأخلاقهم وصفاتهم الروحية العليا . فالعربي النصراني مسلم بصفاته العربية ، والمسلم عربي بما في الاسلام من روح العرب . هـذه هي الجامعة التي تربط بين العرب على اختلاف عقائدهم وتباين مشاربهم ، وهي أعراض لا تؤثر في ذلك الجوهر شيئاً . فاذا نسيت هذه الحقيقة أو غفلت عنها ، فلست بعربي ولست بمسلم .

***

تقوم الجامعة العربية ،إذا قدّر لها في العلم القديم أن تقوم، لاعلى الحروف التي تتحرك بها الشفاه ، ولا على الأوراق التي تسوّد بما تسوّد به من السُّطور ، ولا بما يوضع من المبادىء التي ناوكرها ولا نؤمن بها ، وإنما هي قبل أن تكون أي شيء من ذلك ، روح تجمع العرب جميعاً حول إيمان بشيء واحد ، هو أن بلاد العرب للعرب .

إذا جمعت هذه الروح بين العرب ، فلا شك عندي في أنها تكون كفيلة بأن تراب تلك الصدوع التي فرّقت بين العرب في سالف أزمانهم . ولقد تقوى هذه الروح ، إذا نحن نسينا كل الأسباب السفة التي فرّقت بيننا في الماضي . فليس لمسلم أن يقول هـذا نصراني وإن كان عربيًّا بالأصل واللغة والوطن والنشأة، وليس لنصراني أن يقول هذا مسلم وإن كان غير عربي، ما دام قد اكتسب صفات العروبة بالبيئة واللغة والدين . هذه هي روح الاسلام ، التي هي لدى الواقع روح العرب أيضاً . هي روح أثينة ثبتت أصولها الأولى في نفوس أهل الجاهلية وربيها الاسلام .

***

أقول مجازفا ثقة بصحة ما أقول إن الاسلام فكرة جامعة ، ومعنى أنه فكرة جامعة أنه دين ودولة . ومهما قيل اليوم بعكس ذلك ، ومهما حاول البعض أن يخرج عن الاسـلام هذه الصفة ، ومهما قيدت نظامات الحكم فسيظل الاسلام فكرة جامعـة تجمع الدين والدولة في فكرة واحدة هي فكرة الدفاع عن المجموع الذي يستظل بظل الاسلام، مهما تفرقت فيه النحل، واختلفت المذاهب، وتباينت النزعات . فاذا كانت حكومات المسلمين في هذا العصر قد اضطرت مغلوبة إلى مجاراة روح النظام الحديث في المدنية الأوربية، ففصلت بين الدين والدولة، فان هذا الفصل ينبغي أن لا يتعدى إنه فصلٌ في الأوضاع لا في الروح . فكل حكومة من

أوصيك

١ ـ لا تؤجل الى غد ما تستطيع أن تعمله اليوم ٢ ـ لا ترهق أحداً بشيء تستطيع أنت عمله ٣ ـ لا تعقد صداقة قبل أن تحصل عليها ٤ ـ لا تنفر شيئاً أنت في غنى عنه لأنه رخيص ، فقد يكلفك ما لا طاقة لك به ٥ ـ يكلفنا الكبر أكثر مما يكلفنا الجوع والعطش والبرد ٦ ـ لعلنا لم نأسف أبداً على الاقتصاد في الاكل ٧ ـ ما من شيء فظاعة يرغبنا فيه ثم ندمنا ٨ ـ كم تحملنا من الالم ، توقعاً لشرور لم تحدث ٩ ـ خذ الاشياء من ناحيتها اللينة ١٠ ـ اذا غضبت فعد الى العشرة ، أما اذا غضبت جداً ، فعد الى المئة.

عن توماس جفرسن

حكومات الاسلام في هذا العصر ، وإن كانت قد قبلت الفكرة في فصل الدين عن الدولة ، وأقامت على ذلك نظاماتها المدنية ، فانها قد نصت مع ذلك في دساتيرها على أن دين الدولة الاسلام .

ولست أعرف حقيقة الباعث الذي حدى بالذين وضعوا تلك الدساتير على اثبات هذا النص . فالدولة شخص معنوي ، والنص على أن ذلك الشخص المعنوي له دين اسمه الاسلام ، أمرٌ لا يخلو من التناقض . لأن هذا الشخص المعنوي إنما هو شخص مجرد ، أي إنه فكرة مجردة تقوم في الذهن ، ولا حيز لها في خارج الفكر . ولكني أعتقد أن هذا النص لم يثبت في دساتير الدول الاسلامية الاّ استجابة لوعي خفي مستمد من روح الاسلام ، وأنه دين ودولة معاً ، أملته على أولئك المشرعين روح اسلامية لم تخبُ في انفسهم يوماً شعشعتها ، وإن كانت قد استضعفت فانما كان استضعافها تحت ضغط ظروف ، لا حاجة بنا إلى الافاضة فيها الآن .

كل هذا لا لنقول أن روح الاسلام ، تلك الروح التي نشأت بنشوء الاسلام ، وستظل باقية ما بقي الاسلام ، والتي أنشأت أول نظام توحد من الدين والدولة وأدمجتهما معاً ، هي روح لا تفرق بين رعايا الدولة من حيث العقائد ، بل انها روح تقدس الحرية أولاً وتحمي رعاياها حماية بلغت منتهى درجات التسمح في تاريخ الدنيا .

فاذا قال أحدنا الجامعة الاسلامية ، فانما يعني جامعة عربية روحها الاسلام ، واذا قال أحدنا الجامعة العربية ، فانما يعني جامعة اسلامية روحها العروبة .

وكل قول بنابذ هذا القول خطأ . وكل نزعة تخالف هذه النزعة ، شعوبية خسيسة .

اسماعيل مظهر

أرثر ادنجتن[1]

Sir Arthur Eddington

منذ برهة وجيزة أذاع رويتر ما يلي : (توفي السر أرثر أدنجتن العالم الفلكي الرياضي). وقد نشرت الصحف هذا الخبر في مكان غير بارز دون تعليق ، ومرَّ الناس على نبأ الوفاة فلم يبعث فيهم انتباهاً أو اهتماماً . وليس غريباً ألاَّ يحفل الناس بهذا الخبر ، فقد حصلت الوفاة في أيام حالكات ووسط عواصف الحرب حيث المصائب تنصب على العالم من كل جانب ، وحيث أسماء رجال الحرب والقتال ملء الاسماع وحديث المجالس والمجتمعات . ولئن مرَّ ادنجتن عن الدنيا دون ضجيج، فقد خلف آثاراً خالدة وترك في ميادين العلم ثروة علمية ضخمة تجعله خالداً في الخالدين المقدمين في تاريخ تقدم الفكر الرياضي وعلم الفلك في القرن العشرين

ولد ادنجتن في كندال بانكلترا عام ١٨٨٢ وتعلم في كلية أوين وفي مانشستر وفي كلية ترنتي بجامعة كمبردج . وفي سنة ١٩٠٧ حاز جائزة سمث اعترافاً بتبريزه وفضله . وبعدها انتخب زميلاً في جامعة كمبردج تقديراً لجهوده وآثاره . وعهد اليه من ١٩٠٦ الى ١٩١٣ بمركز المساعد الأول في مرصد غرينتش الملكي . ويظهر أن عام ١٩١٣ الذي كان بداية شر مستطير على العالم، كان عام ألقاب وتقدير الاستاذ ادنجتن ، ففي هذه السنة صار أستاذاً لعلم الفلك في كمبردج ، وفي سنة ١٩١٤ عين مديراً لمرصدها ، كما انتخب عضواً في الجمعية الملكية . وبدأت بعد ذلك آثاره تبرز للعيان بصورة واسعة، وقريحة تتحف العلم بالاضافات الجديدة ، مما جعل الجمعيات العلمية والفلسفية خارج بريطانيا تعرض عليه عضويتها وتسأله قبول شرف الانتساب اليها . ويظهر ان مآثره كانت محل تقدير الهيئات والجامعات . فقد حاز جائزة Hopkins التي تمنحها الجمعية الفلسفية في كمبردج وجائزة Ponté Coulant Prize من الاكاديمية الافرنسية سنة ١٩١٩، والمدالية الذهبية من الجمعية الفلكية، ومدالية

---

(١) أذيع هذا الحديث في مساء ١٩٤٤/١٢/٣١ في محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية في يافا بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته .

بروس Bruce للجمعية الفلكية ومدالية هنري دراپر وهي المدالية التي تمنحها الاكاديمية الوطنية للعلوم . وفوق ذلك فقد كان أدنجتن محل عطف الدولة التي منحته لقب (سير) وأحاطته بالرعاية الكبيرة والعناية الفائقة . ولسنا بحاجة الى القول ان هذا العطف من جانب الدولة وتلك الجوائز والمداليات من الجمعيات والهيئات على تعددها تدل دلالة واضحة على فضله وعلمه وعلى تقدير اضافاته القيمة الى العلم ، في الفلك والطبيعة والرياضيات .

كتب ادنجتن في الفلك وفي النجوم وتطورها، وقد أخرج بحثه الأول سنة ١٩٠٦ فتناول فيه حركات النجوم وتركيبها، وحرارتها وله في ذلك آراء ونظريات أخذ بها العلماء وأحلوها مكانها في الفلك الحديث . لقد درس الغازات وطبائعها والذرات وجسيماتها وما لها من شأن في نقل الحرارة . وقد تبين له أن معدل انسياب الحرارة من باطن النجم إلى سطحه يتوقف في الأكثر على كتلة النجم — وعلى هذا فقد خرج بالرأي القائل بأن انسياب الحرارة يزداد بازدياد مقدار الكتلة ، وليس لقطر النجم أو بنائه الداخلي علاقة تذكر بالحرارة . ويعتبر علماء الفلك ان استخراج الصلة بين الاشراق والكتلة، من أهم القواعد في نظرية بناء النجوم الحديثة .

وبحث في السدم وانطلاقاتها وقد تبين ان السدم كلها تقريباً تجفل منا بسرعة هائلة وهي تتباعد عنا بسرعة فوق ما يتصور العقل البشري ، إذ منها ما يتباعد بمعدل ٢٦٠ مليون ميل في الساعة !! . وقد حسب ادنجتن انه إذا كانت السدم تبتعد عنا بالفعل بسرعة عظيمة جداً . إذن يتحتم أن يكون المجموع الكلي لمقدار المادة الموجودة في الكون بأسره قدر ما في (١١٠٠٠) مليون مليون مليون شمس ، أي قدر ما يرى العلماء بمراقبهم ثلاثة ملايين مرة تقريباً .

وامتاز ادنجتن بعمق تفكيره عند عرض آراء العلماء حين يختلفون في مسألة من المسائل . فهناك من العلماء من يؤكد وجود الأثير ، ومنهم من ينكر وجوده . وهنا تتجلى براعة ادنجتن بقوله [وكلا الفريقين يقصدون بقولهم شيئاً واحداً وهم لا يختلفون إلا في الألفاظ]

وتناول ادنجتن كغيره من علماء الفلك عوامل تكوين النظام الشمسي، وقد خرجوا بعد البحث والدرس بأن كتلة الشمس الأصلية، كانت آخذة في التقلص بسبب اسراع دورانها حتى أصبحت تميل إلى الانشطار ، وانها في هذه الحالة إذ اتفق مرور شمس كبيرة قربها بسرعة متوسطة ، مما أحدث مدّاً في كتلة الشمس . وما زال هذا المد يرتفع حتى بلغ درجة انتثر عندها إلى بحار من المادة اللطيفة ، ما لبثت أن تقلصت وأصبحت سيارات . وقالوا بأن الحسابات دلتهم على ان ذلك حدث منذ ألف مليون سنة أو أكثر . ومنذ ذلك الحين سارت

الشمس الأخرى في طريقها، ونظام السيارات ليس إلاّ أثراً من آثارها . ويرى ادنجتن ان تأليف كل هذه الحوادث غير محتمل حتى في حياة النجوم الطويلة فان توزع النجوم في الفضاء شبيه بعشرين كرة من كرات التنس موزعة في كرة قطرها ٨٠٠٠ ميل ، واقتراب الشمس المذكورة من شمسنا، هو كاقتراب إحدى هذه الكرات من كرة أخرى،حتى تصير على بضع ردات منها . ويرى ادنجتن ان احتمال وقوع هذا هو كنسبة واحد إلى مئة مليون . ولا شك انه بحساباته هذه ، قد أدخل الطمأنينة إلى النفوس ، فلا خوف من اقتراب شمس من شمسنا تسبب تغيرات قد تؤدي إلى اختلال أو عدم توازن في حركات الأرض والكواكب . وما يدرينا فقد ينتج عن ذلك زوال الحياة ومن على هذه الكرة الأرضية .

ولعلّ من أبرز ما امتاز به ادنجتن تقديره لأهمية النظرية النسبية لاسيما في أول ظهورها فقد شغف بها وبحثها ودرسها درساً عميقاً وسلط عليها عقله ووجه اليها تفكيره، فتمكن من إخراجها إلى الناس في صورة تعدّ واضحة، إذا قورنت بالصورة التي جاء بها غيره من كبار العلماء الرياضيين . ولم يقف عند هذا الحدّ، بل استطاع أن يضيف إلى هذه النظرية إضافات هامة وضمها في رسالة ظهرت عام ١٩٢١ عنوانها :

Generalization of Weyl's Theory of the Electromagnetic & Gravitational Fields.

ولنأت الآن على مثل بسيط يتبين منه كيف فاق غيره ، في تفسير بعض نقط في النسبية كانت غامضة وغير مفهومة .

تشتمل النسبية على نظرية هامة ، هي ان كل جسم يتقلص في خط اتجاه سيره بنسبة ما بين سرعته وسرعة النور . وهو لا يتقلص البتة في الاتجاه العامد خط سيره . ولقد اعتبر (البرت اينشتين) هذا التقلص سنة طبيعية وجعله قاعدة لمبدأ النسبية ، بانياً عليه مباحثه فيها . وقد حاول بعض كبار الفلكيين والرياضيين تفسير سبب هذا التقلص فلم يخرجوا بطائل ، لكن إدنجتن في كتاب طبيعة العالم المادي تمكن من تفسيره تفسيراً لم يسبق اليه ، حالفه فيه التوفيق والنجاح. وهنا نضع خلاصة رأيه، كما ورد في كتاب خلاصة الكون للاستاذ نقولا حداد وهو : « . . إن بين الذرات Atoms مسافات بعيدة جدًّا بالنسبة إلى أحجامها . ولكن الذرات المتماثلة متساوية البعد . والذرات تحافظ على هذا التباعد المحدود فيما بينها،وعلى الحيز الذي تتحول فيه . وتحافظ على ذلك بتفاعل كهربائي فيما بينها منه قوات جاذبة ومنه حركات (قوات) أخرى مختلفة تحاول أن تبعد الذرات بعضها عن بعض .

وكلتا الطائفتين من القوات متوازنتان بحيث يبقى حيز الذرة في سعة محدودة، ويبقى بعده عن غيره في مسافة محدودة أيضاً. ذلك على فرض ان الذرة ساكنة. ولكن متى كانت متحركة (أو متى شرعت تتسارع بحركتها أي تعجل) تتغير القوات الكهربائية التي كانت تقيدها بالمسافات المحدودة فيما بينها، لأن تسارعها ينشىء أمواجاً كهربائية مغناطيسية Electro-mag. Waves وهو نوع من القوات يختلف عن النوع الأول فيختل توازنها السابق وينشأ لها توازن جديد. ومن هذا يُرى أن سر المسألة هو في التيار الذي أنشأته سرعة الذرة أو تسارعها، وهو مطابق للرأي العلمي الذي سار عليه اينشتين وزملاؤه وهو أن الذرة المسرعة تنشىء حولها جواً كهربائياً مغناطيسياً. وفي هذا الجو تتخذ الكهارب أفلاكاً تدور فيها حول نواة الذرة، كما تدور السيارات حول الشمس في جوّ جاذبي — تدور بتأثير هذا الجو الذي يمنعها أن تشرد عن فلكها حول النواة [1]. وما دمنا في صدد النسبية فنقول إن ادنجتن قد حسب نظرياً وبطرق رياضية، السرعة التي يجب أن تتحرك فيها الذرة فيما لو كان الكون يتمدد بحسب نظرية النسبية.

ولم تقتصر بحوث إدنجتن على النواحي التي ألمعنا اليها، فقد كتب في موضوعات كثيرة أخرى في الفلك والطبيعة، وله عدة قطع من قلمه في دائرة المعارف البريطانية. أما كتبه التي أخرجها الى الناس فهي:

(١) حركات النجوم ونشوء الكون (٢) رسالة في النسبية والجاذبية (٣) الفراغ والزمن والجاذبية (٤) نظرية النسبية رياضياً (٥) النجوم والذرات (٦) طبيعة العالم المادي (٧) الكون المتمدد

أضف إلى ذلك مقالات ومحاضرات في الفلك والنسبية نشرها في المجلات العلمية العالية في انكلترا.

هذا عرض موجز لحياة السير ارثر إدنجتن، ولمحة بسيطة عن آثاره وإضافاته في الفلك والطبيعة والرياضيات. ولا شك أن العلم قد خسر بوفاته عالماً فلكياً ورياضياً قدم أجل الخدمات في ميادين المعرفة التي تجعله علماً بين أعلام العلماء المتقدمين في تاريخ العلوم الدقيقة في القرن العشرين.

قدري حافظ طوقان

---

(١) اعتمدنا في هذا البحث على كتاب صاحب الترجمة وكتب جينز وكتاب فتوحات العلم الحديث وآفاق العلم الحديث لاسند سروف وكتاب هندسة الكون للاستاذ فولا حداد ودائرة المعارف البريطانية وغيرها من الكتب.

كنوز الصحارى

المصرية

الكنوز المهجورة ، فتنة عام فرعون ، المناجم ، المعادن ، حقول البترول ، الفحم الابيض ، سرادق تحمل مصر من أقوى دول البحر المتوسط ، أسرار الصحراء ، فتوحات علمية ، واجب هذا الجيل

محاباة الطبيعة لمصر

إذا ألقينا نظرة على خريطة مصر ، رأينا مجرى النيل يتوسطها ويليه من الجانبين ، الشرقي والغربي ، أرض خضراء ثم صحراء وقفار . ولقد تعلمنا في أوائل هذا القرن العشرين ان مصر بلد زراعي وانه قطر عقيم في الصناعة — لأنه لم يرزق الفحم ولا الحديد . فهل كان حقًّا ما يقولون ؟

والحق إن علم ما في باطن مصر كان سرًّا لم يحط به خبراً غير قدماء المصريين الذين أوتوا الحكمة والقوة ، وعدوا الأمم ما لم تعلم ، وكشفوا عن المناجم واستغلوا المعادن ، وصنعوا الأسلحة والآلات والفأس والحراث من الحديد المصري والنحاس المصري . ثم بعض الخاصة من الفنيين الأجانب وفي مقدمتهم الدكتور هيوم مدير مصلحة الكيمياء السابق ، وقد وضع أول بحث علمي عن الحديد الخام في مصر وقدَّمه في سنة ١٩٠٩ الى المؤتمر العالمي للحديد الخام الذي عقد بمدينة « استكهلم » عاصمة السويد مكتوباً باللغة الانجليزية وظلَّ مجهولاً من الجمهور المصري . ثم تتابعت البحوث بعد الحرب العظمى الماضية وكان أبرزها بلا ريب ما وفق اليه المهندس لبيب نسيم في شرقي أسوان من بقاع غنية بالحديد جرى لها لعاب الناتيا قبل الحرب القائمة ، وثمنا رائعة المنافسة الدولية تداعب تلك الكنوز المرصودة ، ونحسب أن مصر وإن رحبت بالفنيين الأجانب وعُدد الفتح العلمي ، فستحرص أكثر من أيّ زمن مضى على الاحتفاظ برقابة المناجم ، وها هي سياسة الاقتصاد الأهلي في العالم المتحضر تسير قدماً صوب النظام القومي الذي يجمع بين تآلف الحكومة والأمة وتعاونهما ، فتؤسس شركات الاستغلال والاستثمار مساهمة بينهما ، تحمل الطابع القومي . ونعتقد ان هذا يطابق الصالح الوطني ويرضي الشعور الشعبي .

تعلمنا أن أكثر من ٩٥ في المائة من مناجم مصر فيافي وقفار ، ولكن ما كشف عنه

البحث والعلم يدل على أن صحارى مصر تكنز لهذا الشعب من المعادن والكنوز ما لا يقل عن مبرات النيل، أبي الخيرات.

ماذا نعرف عن وطننا؟

اننا نحب الوطن، لأنه الشخصية المقدسة التي تربطنا بها الصلة الروحية والرابطة البنوية — وانه ليزداد تقديرنا للوطن واعتزازنا به بمقدار ما نعلم من كوامن قوته وفيض خيراته، ولقد حبت الطبيعة بلادنا بأعظم آيات الغنى والجمال، وأنعمت على كافة السكان بأغزر مرافق الثروة الكامنة. ومعلوم أن الحضارة والمدنية والنشاط الاقتصادي للبلاد تتوقف جميعاً على أحوالها الطبيعية من جهة مرافق ثروتها وموقعها الجغرافي ومناخها، وكذا من حيث المستوى العلمي والاجتماعي ومدى جهود الأفراد وتوجيه الحكومات في تذليل قوى الطبيعة لاسعاد الجميع وهاكم نظرة في طبيعة مصر:

موقع مصر وثروتها المطمورة

لقد قسمت الطبيعة مصر ثلاث مناطق ليس في الدنيا أغنى منها ولا أبدع، نجمل وصف خفاياها فيما يأتي:

١ — شرقي مصر: يحيط جزيرة سيناء الزاخر بمناجم الحديد والمنجنيز والفوسفات والرصاص والنحاس وزيت البترول، وهذه الجزيرة غنية بشواطئها الساحلية الرائعة وجبالها الشامخة التي يؤمها السائحون وتفتنهم ذكرياتها الروحية المقدسة في جبل موسى وجبل سنت كاترين، وتخترق سيناء سكة حديدية تصل مصر بفلسطين وما يليها من الأقطار الصديقة، ويحد سيناء غرباً شاطىء البحر الأحمر المترع بكنوز البحر وصيده ولآلئه، هذا إلى نافورات ساخنة ومنتجات طبيعية لا ترى العين أزهى منها للخاطر ولا أمتع للناظر، وهي ترتقب من يعمرها. وعلى شاطىء سيناء يطل «حمام فرعون» على خليج السويس، ويؤمه عارفوه الفلائل لسلق السمك الطازج في ماء عينه الساخنة الفائرة.

٢ — وسط مصر: القسم الأوسط من سطح مصر هو القلب النابض بالكنوز المهجورة، ونحسب أنه يحسب مصر أن تقوم قومة رجل واحد لاستثمار مرافق هذه البقاع من ثروتها المطمورة في صحاريها الذهبية لتصبح من أقوى دول حوض البحر المتوسط ويحد هذا القسم شرقاً بشاطىء البحر الأحمر وغرباً بشاطىء نهر النيل: وتحفل الصحراء الشرقية بسلسلة من العيون المعدنية تبتدىء من «عين الصيرة» وتصل الى «القصير»، ثم جبل الرخام بمديرية بني سويف والحرانيت والبازلت بمديرية اسوان وسلسلة المحاجر والجبس والفوسفات، وتعرف الصودا والألوان والمغرة والخزف ومواد الطوب الملون ومواد

الأسمنت والبناء واللاط وهناك مناجم الحديد شرقي اسوان وقنا وبني سويف ومناجم الزنك والرصاص والنحاس والذهب والقصدير والكروم وحقول البترول وخاصة في رأس غارب وجسه والغردقة وسفاجه. ولقد جاء استغلال آبار رأس غارب في سنة ١٩٣٩ فتحاً اقتصادياً في مصر يبشر بأن يصبح هذا القطر عاجلاً أو آجلاً في مقدمة الدول استغلالاً لهذه الثروة الحرارية التي تلعب الدور الأول في فلك الدول العظمى : فيالبت مصر تستقر وتتدبر وتعمل وتنهض بادئة بتوليد الكهرباء من مساقط خزان اسوان حيث تشرف مناجم الحديد .

٣ — غربيّ مصر : يتوّج القسم الغربي للقطر المصري شاطىء البحر المتوسط ، وعلى هامته ميناء الاسكندرية محور الحركة والبركة في مصر ، ثم دلتا النيل شرقاً وصحراء لوبيا الزاخرة بالواحات العامرة وعلى رأسها واحة الفيوم والواحات البحرية والفرافرة والداخلة والخارجة وسيوه وجغبوب ، وتجمع هذه البقاع بين ثروة زراعية من الحبوب والفاكهة الحلوة وبين مستقبل صناعي افضل غناها بالحديد والفوسفات المنثور في الصحراء . وهناك حقول البترول غربي الفيوم وفي وادي النطرون . ونذكر أن رحالة مصريًا من معلمي المدارس أطلعني منذ سنوات على وثائق هامة عن اكتشافه بعض حقول زيت البترول في صحراء الفيوم ، فأحلته يومئذٍ على عميد كلية الهندسة وبعض الجهات العليا .

وتمتاز صحراء لوبيا بوديانها التي انتفع ببعضها قدماء المصريين ، فاتخذوا من وادي الريان خزاناً لامداد الوجه البحري بالمياه ابان تحاريق النيل ، فضلاً عن اتخاذه حصناً أماميًا للحد من غائلة الفيضانات العالية ، وتفكر وزارة الأشغال في هذا العصر في بعث خزان وادي الريان.

أما منخفض القطارة فقد ذهب المهندس حسين سري باشا إلى امكان توظيفه مع مجرى صناعي من مياه البحر المتوسط في احداث مسقط للمياه يولّد القوة الكهربائية التي تكفل أوسع الأغراض الصناعية في مدن الوجه البحري وقراه ، وتتيح لهذه المناطق شبكة مواصلات كهربائية وانارة رخيصة . فما أعظم آمال مصر في مرافقها وفي علمائها وفي مواردها المهجورة

عظمة صحارى مصر

نرجو أن لا يستخف مصري بعد اليوم بلفظ صحراء ، فان الاستهتار بهذا المجهول جحود بنعمة من أعظم نعم الله — وحسب الأمة تواكلاً ، ولا يجوز لأمة ناهضة بعد اليوم أن تستخف بآيات الفن والعلم في استثمار مناجمها وثروتها المطمورة .

ان في صحارى مصر جمالاً وسحراً وفتنة وكنوزاً مهجورة يجب أن تكون حديث كل مصري ومصرية ، ويجب أن تشغلنا أفراداً وهيآت وحكومة عن كل ما عداها .

عبد الحليم الباسل نذير

بطاقات الى حدة

عن فاندا فاسيلفسكا

« تعالي . كاتيا . تعالي » .

« عاجلة » ، وبأصابع محمومة ، أعدّت شريطاً جديداً . وكان شعرها غير نظيم تحت عصابتها . وقد صرف أليكس كل انتباهه الى المدفع السريع الذي كان بين يديه ، فلم يلتفت إليها .

« تعالي . كاتيا . تعالي » .

وأخذ المدفع السريع يقرقع ، ومضى الشريط يمر بسرعة من خلال علبة القذف . التقطت « كاتيا » الشريط الآخر ، ووقفت تنتظر » .

« كاتيا »

« آتيك » .

« اجتهدي واتصلي بهم مرة ثانية . اخبري السكولونيل بالموقف . أتسمعين ؟ عرفيه كل شيء » .

جَحَفَتْ إلى الداخل واندست فيه ، ووثبت الى الناحية الأخرى من المنحدر ، وأطلقت ساقيها للريح جهد ما استطاعت ، الى بيت هنالك . وأسرعت الى السرة .

« أعطني المدينة . أسرع : ٣ — ٥ » .

« انهم لا يجيبون النداء » .

« اجتهد ٣ — ٥ » .

« لا جواب » .

وانقطع الاتصال . فوقفت كاتيا حائرة تقلب يديها . أسرعت الى النافذة . سمعت قرقعة البنادق ، وطلقات متقطعة صادرة من مكان ما وراء الدغل . وبيدين مرعشتين استلمت السرة مرة ثانية .

« أيها العزيز . هنا من أورلوفكا .... تتكلم . . . . أورلوفكا . تفضل وصلني بالمدينة ٣ — ٥ » .

« لا جواب » !

« ولكن من فضلك ... أفهم . . هنا اورلوفكا تتكلم . اورلوفكا لا بد من أن اتصل بالمدينة . أي رقم في المدينة يكفي — صلني بالمدينة » .

« سأبذل جهدي ، استمعي » . نقل اليها هذه الكلمات الها .

قمت فتدحرجة كادت تتولاها . في مكان ما ، مكان بعيد قصي ، سمعت « كاتيا » صوت التحام الخطوط السلكية ، ومعها

صوت حبيب هو صوت الفتاة أمام لوحة الاتصالات تكرر باطراد :

« المدينة ... المدينة .. المدينة » .

« هالو ، أهذه أورلوشكا » ؟

« ان خط المدينة قطع ، وهم يصلحونه الآن ، عليك أن تنتظري » .

سقطت يدا « كاتيا » الى جنبيها معبرة عما أحست به من قنوط مرير .

همت خارجة من المنزل ، ومن أجل أن تصل الى الدغل ، كانت مضطرة الى الزحف على بطنها . هنالك وصلت إلى خط النار . فأدار اليكس رأسه منبهاً . « حسناً » .

« الخط مقطوع ، وهم يصلحونه » .

فصرّ بأسنانه .

« كاتيا . أنظري في أمر جريشا ، أتك أن تفعلي ؟ إني لا أسمع شيئاً من حيث هو »

زحفت إلى اليمين حتى حاذت قمة المرتفع . كان النتى حارس الحدود راقداً هناك ، ووجهه لاصق بالأرض . لمست وجنتيه المغضنتين بشفتيها في رفق ولين ، ثم وضعت يدها تحت صدره — إن قلبه قد وقف عن النبض .

« مات » — همست بذلك الى اليكس

« نعم » . وإذ همس بذلك قال — « كاتيا : قليلاً من الذخيرة » .

وظلت تعديه بما يطلب كلما احتاج إلى شيء . وكانت عيناها تمتدان دائماً إلى تلك البقعة الكائنة هنالك على الشاطىء الآخر ، على الغدير الصغير والجسر الذي يعلوه . لن هنالك ، من مسافة ما يُمكن تحديد الجسر ، كانت تنبعث ألسنة من النار ، من وراء ذلك المرج الأخضر . هنالك الألمان .

« تعالي . كاتيا . تعالي »

وقدا منسطحين إلى الأرض تخفيهما الأعشاب وتمتزج الحشائش البرية . وظل يطلق النار من غير أن يتوقف دقيقة واحدة ، ناسياً كل شيء من حوله . وكان بينهما وبين الألمان رقعة لا تزيد مسافتها على مائتي أو ثلاثمائة ياردة .

وظلت « كاتيا » تمده بأشرطة الدفع . فعلت ذلك بحركة آلية ، ومع هذه الحركة مضت تعد : لم تبق تسعة ، تسعة فقط .

« لا تعدي جريشا بعد الآن » .

وارتفعت أنّة من مكان قريب . لم يبق تسعة ، هم ثمانية الآن .

« كاتيا — جربي مرة ثانية — ربما يكون الخط قد أصلح » .

وثبت وأخذت تعدو

« أورلوشكا . هنا أورلوشكا تتكلم . كن شفيقاً ، وتفضل فصلنا بالمدينة » .

ألقت كاتيا السماع واتخذت طريقها بأسرع ما حملتها قدماها .

« اليكس . لا يمكن إصلاح الخط قبل ساعتين » .

« سوف لا نكون أحياء بعد ساعتين ياعزيزتي كاتيا » .

أمتعب أنت ؟ اذا شعرت بأنك متعب وبك ضعف ، فان الاسباب التي تتخيلها قلما تكون صحيحة . قد تتخيل انك في حاجة الى الفيتامين أو أنك مصاب بسوء الهضم أو ان عليك اضطراباً أو أن كبدك لا يفرز الصفراء . ان كثيراً من هذه الحالات لا تعود لمثل ما تخيلت من الاسباب . إذ دل البحث الطبي في ٣٠٠ شخص يشكون مثل هذه الاعراض ان ٢٠ في المئة منهم يهم أمراض جسمانية و ٨٠ في المئة ترجع متاعبهم الى اضطراب عصبي .

كثيراً ما يظن ان نقص الفيتامين سبب في احداث حالة الاجهاد البدني . ولكن الفحص الدقيق دل على ان واحداً فقط من ٣٠٠ ممن طبياً يشكون شكاً في هذه المادة الحيوية . ولم يعثر على حالة واحدة كان سوء الهضم فيها سبباً في احداث هذه الظاهرة . بل اتضح ان ما يعزى الى سوء الهضم مبالغ فيه ، وان كل الكبد بريء من ذلك . ولقد يعزو كثير من الاطباء ظاهرة الاجهاد الى اسباب غير صحيحة . ففي تقرير نشر في صحيفة نيويورك الطبية أثبت دكتور فرنك ن. أن أذني ٥ حالات من ٣٠٠ حالة كان فقر الدم سبباً في احداث حالة الاجهاد البدني ، ولم يجد حالة واحدة منها كان الصيب فيها ضغط الدم .

ان هؤلاء يستفيدون فائدة جلى اذا تحققوا أن أعصابهم هي سبب متاعبهم . فقد يشعرون باضطراب داخلي وقلق مصحوب بأعراض عصبية كانسداد الزور وتوتر الرقبة وعصوبة التنفس . ومن العجب ان أكثر المجهدين لا يعزون السبب الى أعصابهم ، ولكن مظاهرهم تنم عن حقيقتهم . فاذا شعرت بشيء من تلك الاعراض فعزها الى أعصابك ، ثم عالج نفسك بمقتضى ذلك ، ولكن بعد أن تتأكد انك لست مصاباً بمرض نوعي .

وعدتهم بسرعة سيعة ، نعم سيعة فقط .

« كاتيا . إن يدك تدمى . أعصبها بمنديل وارجعي لتنظري ماذا حل بصديقنا بلاتون » .

عصبت كاتيا يدها بسرعة وزحفت بين الاعشاب

« إنك مصاب بجرح بالغ يا بلاتون . أجدر بك أن ترجع إلى المؤخرة .

« إنه خدش لا أكثر يا كاتيا . إنه لا شيء .

« كاتيا » .

سمعت صوت زوجها يناديها فاتخذت طريقها إليه .

« إصغي يا كاتيا » .

لم يلتفت اليها البكس إذ حدثها . كانت عيناه منبهتان حيث تلك الخضرة دُوَيْن الجسر ، حيث زادت ألسن النيران عما كانت عليه .

« هل تقدرين أن تخرجي السيارة من المَظَلَّة » .

أخذت كاتيا متراجعة ، كما لو أن شخصاً ضربها على صدرها ضربة قوية .

« حيّا . أتقدرين » .

لم يلتفت اليها . كانت عيناه مركزتين في بقعة واحدة . في تلك الخضرة التي كانت تلمع منها كرات حمر .

« نعم » . أجابت بصوت مختنق .

« أأنت مصغية . كاتيا » . « نعم » .

إن الوثائق في القِمَطْر . ضعيها جميعاً في السيارة واذهبي إلى المدينة . سلميها إلى الكولونيل . أتفهمين »

« أليوشا . يا حبة قلبي . أود البقاء . اني لا أستطيع »

« كاتيا . نفذي بسرعة . أأنت فاهمة ؟ توانٍ . لحظة للكأ واحدة تفوّت الفرصة . الوثائق . كل ما في القِمَطْر . أتفهمين . كاتيا »

« نعم » .

لم يلتفت وراءه ، ليتزود بنظرة منها . وهي . كذلك هي قد قمعت رغبتها في أن تمس يده عندما ناولته شريط الطلقات .

« جهزي السيارة واذهبي بها . ادفعيها بأقصى ما في إمكانك . خذي الغدارة . أتسمعين . وتذكري يا كاتيا : سبع طلقات فقط في الخزانة ، اتركي واحدة فقط استعداداً لما يتوقع . أتفهمين » .

« نعم » .

وفي سكون زحفت نحو الدغل . ولكنه ناداها فجأة .

« كاتيا . انتظري برهة . خذي بطاقتي وخذي بطاقات الآخرين أيضاً . سلميها هناك » .

أخذت البطاقة الحمراء الصغيرة . وزحفت من واحد إلى الآخر . خمس . خمس بطاقات لا غير .

« خذي البقية من الآخرين »

فتشت جيوب القتلى . لقد جعلت عليها جميعاً . البطاقات الحمر الصغيرة .

« كاتيا : لا تنسي أن تمدّي قليلاً من البترول للطوارىء — صبّيه على كل شيء واشعلي فيه ثقاباً . والطلقة السابعة لا تنفلي عنها . والآن أسرعي يا كاتيا بقدر ما تستطيعين . . . »

التفت هذه المرة ونظر اليها . عيناه الرماديتان الحبيبتان .

« أليوشا »

« لا تبتئسي . كاتيا — لا تبتئسي » .

وشاع في وجدانها فجأة حرّ ذلك الحب العميق الغائر نحو ذلك الرجل .

« اسرعي . هذا حب صحيح يا كاتيا »

هذا حب صحيح . كررت على نفسها وزحفت بحرص ، وأطراف تلك البطاقات الحمر الدبقة تضغط على صدرها .

ثم أسرعت الى غرضها . كانت السيارة في المظلة خلف المنزل .

أدارت كاتيا الآلة ، ومن وراء ذلك الدغل سمع الذين هم كانوا هنالك هديرها .

وكذلك سمعه اليكس .

« هذا حب صحيح . هذا حب صحيح » . ومضت تكرر هذه الكلمات متمتمة بشفتين جافتين يابستين ، وكأنها في ضباب ثقيل وخرجت بالسيارة الى الطريق .

واتجهت على عجلة القيادة . وكان الطريق ممتداً مسبَّداً . ومضت السيارة تنهب الطريق وأزَّ الهواء في أذنيها .

ومرت الى جانب الأشجار الخضر والأكواخ البيض، فكأنما كانت أقباساً من الضوء الخاطف . وأخذت السيارة تطوي الطريق طيًّا ، متسارعة كلما تقدمت إلى الأمام ، وكلمات اليكس ترن في أذنيها .

« توًّا . لحظة تنكا واحدة تفوّت الفرصة » .

اضطرت عند مفترق الطرق أن تقف وتسأل عن الاتجاه . كانت جاهلة بمسالك تلك الناحية . فانها لم تزرها قبل الآن . كانت بها يوماً وليلة ، بعد أن غابت بعيداً عن اليكس ستة أشهر .

وصلت المدينة بعد جهد . أوقفها الجند وسألاها عن أمرها . فأجابت ، وارشدوها كيف تصل إلى غرضها . ولقد شعرت أن قدميها أثقل من الرصاص عند ما أخذت تصعد درج السلم ، وئيدة ، وئيدة .

كم هي عديدة تلك الدرجات . باب . بابان . ثلاثة أبواب . رجال في الملابس العسكرية وفي ثياب المدنيين ، جاءت من الناس . فانسورات بشارات خضر . وضرب قلبها سريعاً عند ما رأت تلك القنسورت التي هي شعار حراس الحدود .

صارت توًّا إلى المائدة وقالت : « القائد اليكس نازاروف أمرني بأن أوصل اليك هذه الوثائق »

وصلت الأوراق وحافظات الرسائل والصرر . فتأملها الرجل الجالس الى الناحية الأخرى من المائدة بتؤدة وثقة وقال — « والآن يجب أن تجلسي وتستريحي » .

أرادت أن تقول انها غير متعبة ، ولكن ركبتيها خانتاها ، فجلست بتثاقل على الكرسي الذي قدم اليها . كانت جاهلة بدوران البنادق واهتزاز السيارة وهدير آلتها ، كل ذا يرن في أذنيها رنيناً .

رفع الرجل الجالس اليها سماع السمّاعة « اعطني أورلوفكا »

انتظرت كاتيا

« أورلوفكا . أورلوفكا . حالاً » .

كادت أنفاسها تقف . ووقعت أصابعها على طرف المائدة بحركة عصبية وشدّت عليها وجهدت عيناها التعيستين أن تنفذا في ذلك الرجل الذي يتكلم . عملت على أن تقرأ في عينيه بصيصاً مما كان يجري في الطرف الآخر من ذلك السلك الممدود .

« هكذا . حسن » .

وأعاد السماع إلى مكانه بتؤدة .

« ماذا » ؟

فدار نحوها من وراء المائدة وأخذ يدها الملوحة بين يديه وقال :

« أورلوفكا لا تجيب » ؟

« ألم يصلح الخط بعد » ؟

وشعرت بأن أصابعها تختلج، ورجلاها تبردان ، وسرى ذلك القرّ في جميع أجزاء جثمانها .

« عزيزتي . كوني شجاعة ، ماذا في مكنتنا أن نفعل . انها الحرب . لقد الالمان في اورلوفكا » .

مرت بذاكرتها مرور الصدى البعيد ، لنغمات أغنية كانت تسمعها . من ذا الذي كان يغنيها ؟ اليكس — عياه الرمادي ، من تحت حاجبيه الأسودين — معبودي . حبيبي . اليكس .

« وأصفاً . أأترك المرج الفسيح ، والشمس في السماء ، والحب من ورائي » ؟

واستجمعت نفسها واستلهمت قواها .

« إيذن لي . إني ذاهبة الى لجنة الوحدة الاقليمية » . فدلها على الطريق .

وجدت هنالك مائدة للكتابة أيضاً ثم رجلاً من وراثها . انقبض قلبها مرة أخرى . يشبه من ممن رأت ؟ نعم هو جريشا . جريشا الصغير . أول من سقط من الرجال .

« أحضرت هذه البطاقات الخاصة بالوحدة » .

أخرجت البطاقات من تحت قميصها . عشر بطاقات حمر صغيرة .

«من أين أتيت بها . بطاقات عن رجالنا » .

وقفت كانيا ممدودة القامة بارزة الصدر وقالت بغير تلعثم أو اختلاج في صوتها :

« هي بطاقات عشر رجال . وحدة كاملة من حرس الحدود . ماتوا فخر اليوم في مراكزهم وهم يحاربون الالمان » .

نهض السكرتير . البطاقات ملقاة أمامه على المائدة . عشر بطاقات حمر صغيرة على الغطاء الأخضر ، كأنها قطرات من الدم الأحمر ، تنبيء عن مصير هؤلاء .

في حب الوطن

ولي منزل ، آليتُ أن لا أبيعَهُ ... وأن لا أرى غيري له الدهرَ مالكاً
عهدتُ به شرخَ الشباب ونعمةً ... كنعمةِ قومٍ أصبحوا في ظلالكاً
فقد ألفتْهُ النفس حتى كأنه ... طاجدٌ، إن غاب غودِرتُ هالكاً
وحبَّبَ أوطانَ الرجال إليهم ... مآربُ قضّاها الشباب هنالكاً
إذا ذكروا أوطانَهم، ذكرتهم ... عهودَ الصِّبا فيها، فحنّوا لذالكاً

ابن زيدون

المذهب الشيعي

قبيل الدولة الفاطمية وفي أيامها

وضعت البذرة الأولى للمذهب الشيعي قبل استقرار الخلافة الفاطمية بمصر في الغزوات التي لم تقو فيها جيوش العبيديين على غزو البلاد المصرية ، فقام بعض أنصارهم بنشر الدعوة الشيعية بمصر ، ووجدوا من المصريين العدد الكبير الذي يعطف عليهم ويعتنق مبادئهم ويميل لمعتقداتهم. ولما رأى ذكا الرومي والي مصر (٣٠٣—٣٠٧ هـ) ضعف الكثير من المصريين بهذا المذهب الجديد ، وازدياد اتباعه يوماً بعد يوم ، وما قد يؤدي اليه ذلك في المستقبل ، عزم على اضطهاد رجاله فسجن عدداً كبيراً منهم ونكل بهم .

ولكن هذا الاضطهاد والتعذيب والتنكيل ، لم يفت في عضد أنصار المذهب الشيعي بل داوموا على نشره وتحبيبه الى المصريين لأنهم وثقوا من انه اذا أقبل الشعب المصري على هذا المذهب لم يضمنوا فقط التغلب على المذهب المنافس له والسائد في البلاد إذ ذاك وهو السني ، بل سيسهل عليهم أيضاً فتح مصر وانتشار مذهبهم وعقائدهم في ثلاث من الحواضر الاسلامية الكبرى وهي الفسطاط ودمشق والمدينة .

ولما فتح جوهر الصقلي قائد جيوش الخليفة الرابع الفاطمي المعز لدين الله مصر سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) واستقل بها عن الدولة العباسية وعن الخليفة العباسي ، طبع سياسة الدولة الجديدة بصبغة دينية عميقة من مفتتح عهدها ، ونشر الدعوة للخليفة المعز لدين الله خاصة ، ولأهل بيته من العلويين عامة .

وكما منع المهدي « عبيد الله أبو محمد » رأس الدولة الفاطمية الفقهاء بالمغرب من أن يفتوا إلا بمذهب جعفر بن محمد ، كذلك نجد أشياله العبيديين منذ استقرت أقدامهم في مصر ، عُنُوا بتنظيم دعوتهم المذهبية ونشرها في كل مكان ، فكانت تلقى في مجالس الحكمة أحياناً بالقصر ، وأحياناً أخرى في الجامع الأزهر ، واختصها وليده قاضي قضاتهم ، فنماها وسهر على تربيتها ، ثم تعهدها من بعده وغذاها داعي الدعاة ومعاونوه .

ولكي يضمن العبيديون نجاح تغلب عقيدتهم على المذهب السني السائد بالبلاد المصرية قبيل قدومهم ، جلب الخليفة المعز لدين الله معه مع ما حمل عند رحيله لمصر من مكتبته

الخاصة بالقيروان ، عدداً عظيماً من الكتب التي كانت تتناول الكلام في المذهب الشيعي ، واستصحب جماً وافراً من فقهاء الشيعة وأعلامها مثل قاضي القيروان أبي حنيفة النعمان ابن أبي عبد الله بن منصور بن احمد بن حيون الاسماعيلي المغربي ، هذا الرجل المنتج الذي تحدثنا المخطوطات عنه بأنه كتب كتباً كثيرة في فقه الشيعة ، مثل دعائم الاسلام في الحلال والحرام ، وكتاب ابتداء الدعوة للعبيديين ، وكذا كتاب الهمة في اتباع الأئمة ، وكتاب اختلاف الفقهاء، وكتاب شرح الاخبار، وكتاب المجالس والمسايرات، وغيرها مما يدل على علوّ كعبه في الفقه والدين ، وتوقد قريحته في التأليف والتصنيف

هذه الكتب الكثيرة المؤلفة في مذهبهم كانت ثروة عظيمة لنشر دعوتهم لأنها منشورة سهلة المنال وكان بنو النعمان وغيرهم من المغاربة من أكبر العوامل لنشر مذهب الشيعة بمصر. فكان عليّ بن النعمان مثلاً يجلس بالجامع الأزهر ويقرأ مختصر أبيه في فقه آل البيت، وهو المسمى بكتاب الاختصار ، ويحدثنا المقريزي نقلاً عن المسبحي المتوفى سنة ٤٢٠ هـ إن الاقبال على حلقات بني النعمان بالأزهر وهي التي قرأوا فيها علوم الشيعة كان عظيماً حتى أن المسبحي مؤرخ الدولة الفاطمية والذي نال عطف الخليفة الحاكم بأمر الله وتدرج في مناصب الدولة حتى وصل إلى الوزارة يقول « إنه في ربيع الأول سنة ٣٨٥ هـ جلس القاضي محمد بن النعمان (شقيق علي) بالقصر لقراءة علوم آل البيت على الرسم المعتاد، فات في الزحام أحد عشر رجلاً فكفنهم العزيز بالله » . كذلك سنّف وزير المعز لدين الله ثم وزير ولده العزيز بالله من بعده وهو يعقوب بن كلس، كتاباً في الفقه الشيعي يعرف بالرسالة الوزيرية، أخذه عن المعز وابنه العزيز وتناول فيه الكلام عن العقائد الفاطمية . فكان ابن كلس يجلس في جمع من العلماء والعامة في داره وفي الجامع الأزهر ليقرأ على الناس خاصتهم وعامتهم مؤلفاته، وكان يشرّع لسماعه الفقهاء والقضاة ليفتوا بما فيها ، كما كان يدرّس بالجامع العتيق للطلبة والأساتذة ، وكما عنيت الدولة الفاطمية في شرح علوم البيت وقراءتها للكافة على اختلاف طبقاتهم بفقهاء كان رائدهم بث الدعوة في الكاتب والماجد وبيدهم غر و الأذهان بطرق منظمة، كذلك استعانت على بث عقائد المذهب الاسماعيلي بين الناس بسلاح التشريع الذي كان أشدّ غزواً وأكثر نفعاً لنشر المذهب الشيعي بمصر ، فكما أسند العباسيون مناصب الدولة الهامة الى الخراسانيين أنصارهم ومؤسسي دولتهم ، كذلك نجد جوهراً أحلّ المغاربة الشيعيين محل المصريين السنيين في جميع المناصب الهامة . لأن المغاربة هم أنصارهم وأعوانهم الذين قامت الدولة الفاطمية على أكتافهم، حتى قال المقريزي « إن جوهراً لم يدع عملاً إلا جعل فيه مغربياً شريكاً لمن فيه» .

كذلك حتم الفاطميون على جميع موظفي الدواوين بمصر من المصريين ، أن يعتنقوا

المذهب الفاطمي، كما ألزموا القضاة أن يصدروا أحكامهم وفق قوانين هذا المذهب

ولكن هل قضت هذه الطرق التي قصدت بها التهديد والوعيد أحياناً والتي فيها أصدر الخليفة الظاهر مثلاً أمراً باخراج الفقهاء المالكية وغيرهم من مصر فأخرجوا، وأريد بها التشجيع والترغيب أحياناً أخرى عندما أمر هذا الخليفة الدعاة أن يحفظوا الناس كتاب دعائم الاسلام ومختصر الوزير، وهي الرسالة الوزيرية، وجعل لمن حفظ ذلك مالاً، على مذهب أهل السنة بمصر؟ وبمعنى آخر هل تمكن جوهر وإمامه المعز من قطع دابر المذهب السني وإبادته من مصر، واحلال المذهب الاسماعيلي محله، أم انهما هما ومن جاء بعدهما من الخلفاء الفاطميين تركوا ذلك للزمن، واعتقدوا أنه الكفيل بمعالجة هذا الاشكال، لأنه يتصل بالاعتقاد الذي لا سبيل للوعظ والارشاد ولا للوعد والوعيد فيه؟

نرجح أنه بقدر ما كانت الظروف موالية لهم، وبالرغم من إنه كان بين الشيعة صلة متينة وعطف وتعاون حتى كان التآلف مضرب الأمثال، وبرغم ما كان بين منافسيهم من أصحاب المذاهب السنّية من تقاطع وتنابذ، فقد ساد المذهب الفاطمي على مذاهب أهل السنة التي كانت منتشرة في مصر وظل الأغلبية الكبرى قبل الفتح الفاطمي وصار فقه الطائفة الاسماعيلية ومذهبهم هو المذهب الرسمي المعمول به في القضاء والفتيا مدة طويلة في أيام العبيديين بمصر وأنكر ما خالفه. نقول ساد مذهبهم وعمل به رسمياً مدة طويلة من حكمهم للبلاد المصرية، ولا نذهب مع السيوطي حينما يقول: «في القرن الرابع الهجري ملك العبيديون مصر وأفنوا من كان بها من أئمة المذاهب الثلاثة قتلاً ونفياً وتشريداً وأقاموا مذهب الرفض والشيعة ولم يزولوا منها إلاّ في أواخر القرن السادس الهجري فتراجعت اليها الأئمة من سائر المذاهب». ولسنا مع ابن خلدون في مقدمته حيث يقول: «انتشر فقه أهل السنة من مصر بظهور دولة الرافضة» لأننا سنبرهن بالبرهان القاطع فيما يلي، ومن السيوطي نفسه، على ان مذاهب أهل السنة أيام الفاطميين عاشت جنباً لجنب مع مذهب الفاتحين. ولكن لا بالسيادة ولا بالوضوح والرسمية التي كان يتمتع بها مذهب العبيديين. ولكنها عاشت وكفى. وعاش فقهاؤها من الأئمة زمناً في كنفهم وتحت رعايتهم.

فيحدثنا السيوطي ان أبا بكر الطالبي المتوفى سنة ٣٨٠ هـ (٩٩٠ م) كان امام المالكية بمصر، وكانت حلقته في الجامع تدور على سبعة عشر عموداً، لكثرة من يحضرها، بعد أن كان للمالكيين في سنة ٣٢٦ هـ (٩٣٨ م) في المسجد الجامع خمسة عشرة حلقة وللشافعيين مثلها ولاصحاب أبي حنيفة ثلاث حلقات فقط.

كذلك نجد الفاطميين أنفسهم لما قدموا مصر، تألفوا أهل السنة والجماعة ومكنوهم من

إظهار شعائرهم على اختلاف مذاهبهم فلم يمنعوهم من إقامة صلاة التراويح في الجوامع والمساجد معظم أيامهم، مع ما في هذا من مخالفة لمعتقدهم. وكثيراً ما نقرأ في السجلات التي كانت تقرأ على المنابر بمصره لا اكراه في الدين» و«صلاة الضحى وصلاة التراويح لا مانع لهم منها ولا هم عنها يدفعون» و«يخمّس في التكبير على الجنائز المخمسون ولا يمنع من التكبير عليها المربّعون» و«ويؤذن يحيّ على خير العمل المؤذنون ولا يؤذي من بها لا يؤذنون».

كما سمح لأهل السنة أن يكون لهم حلقات في المسجد الجامع وزوايا يدرس بها الفقه على مختلف مذاهبهم. وكان لكل فقيه منهم زاوية، ويجري عليه الرزق حتى بلغت حلقاتهم العدد الكثير. ويحدثنا القلقشندي «ان مذاهب مالك والشافعي واحمد كانت ظاهرة في مملكتهم، وان من مذاهم الحكم بمذهب مالك أحايين».

ويؤيدنا في رأينا هذا أمان جوهر للمصريين الذي يعتبر بحق وثيقة هامة في الكشف عن غايات السياسة الفاطمية وأصولها المذهبية، حيث نص فيه على إقامة المصريين على مذهبهم، وأن يتركوا على ما كانوا عليه.

نعم قد سنت الدولة الفاطمية أحياناً ظهر المحن لأصحاب مالك حتى انه في سنة ٣٨١ هـ (٩٨٩ م) أيام العزيز بالله ضرب رجل بمصر وطيف به في المدينة، لأنه وجد عنده كتاب الموطأ للامام مالك بن أنس.

وسمحوا للسنيين أحياناً بتولي منصب القضاء بشرط خضوعهم للمذهب الاسماعيلي، فلما كان «أبو العباس بن العوام» حنبلياً على غير المذهب الشيعي، فقد اشتمل سجله على فقرة شرط فيها عليه أن يصدر أحكامه طبقاً لقانون الشيعة، وان يكون معه في مجلس القضاء أربعة من القضاة، لا شك في أنهم كانوا من الشيعة، عيّنوا من قبل الخليفة ليراقبوا انه يقضي بمذهب الاسماعيلية. وقد كان أبو العباس بن العوام قاضياً من سنة ٤٠٥ هـ بالبلاد المصرية حتى مات في عهد الخليفة الظاهر. وعلى ذلك فقد ولي القضاء أيام الحاكم بأمر الله وابنه الظاهر.

كذلك ترك الشيعة امناء السنيين حلقات التدريس التي كانت لهم قبل قدومهم لمصر بالجامع العتيق. فلقد حدثنا السيوطي ممن كان بمصر من فقهاء المالكية في أيام العبيديين، وان من حدث وتفقه عليه منهم خلق عظيم. ومنهم من ألّف في فضائل مالك، ومنهم من شرح المدونة، وهو جالس في حلقة المالكية بالجامع.

وان «عبد الجليل بن مخلوف» الفقيه المالكي أفتى بمصر أربعين سنة، ومات بها سنة ٤٥٩ هـ، وأن «أبا القاسم الجوهري عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الخافقي» الفقيه المالكي المصري المتوفى سنة ٣٨١ هـ صنف مسند الموطأ.

وان « أبا الطاهر محمد بن عبد الله البغدادي » المالكي المذهب المتوفى سنة ٣٦٧ هـ ولي قضاء الديار المصرية واستناب على دمشق وكانت له تصانيف

وان « أبا القاسم بن عقوف الاسكندري » المتوفى سنة ٥٣٣ هـ الذي كان من أئمة كبار المالكية تفقه عليه أهل الثغر زماناً

فهذه الأمثلة تدل دلالة واضحة على أن العبيديين لم يستأصلوا شأفة المالكيين بمصر، بل صحوا بوجودهم وعملوا على استعادة أهل مذهبهم منهم، بتركهم أحراراً يعملون في بيئتهم الشيعية، فلم يستتروا ولم يتظاهروا بالمذهب الشيعي، بل تمسكوا جهراً بمذهبهم الذي واعتزوا به حتى لدى أهل الشيعة أنفسهم، فقد ذكر السيوطي أن أبا العباس أحمد بن عبد الله بن احمد ابن هشام بن الحطيئة « اللخمي العاصي المتوفى سنة ٥٦٠ هـ عرض عليه القضاء لما شغرت مصر من قاض ثلاثة أشهر في سنة ٥٣٣ هـ أيام الخليفة الحافظ، فاشترط ألا يقضي بمذهب الدولة، فأبوا وتولى غيره القضاء . كذلك حدثنا السيوطي عن فقهاء الحنفية بمصر، فاستأنف نظرنا أن « عبد الله بن سعد الله الجزري » المعروف بابن الشاعر وهو حنفي المذهب (٥١٣ — ٥٨٤ هـ) أقام بفتي ويدرّس بالمدرسة السيوطية إلى أن مات

وحدثنا السيوطي أيضاً عن عدد كبير من قضاة وفقهاء شافعيين بمصر أيام الفاطميين، منهم من ناظر تحت سمع الدولة الشيعية وبصرها، ومنهم من كانت له تصانيف، ومنهم من كان يقرأ عليه نفر كثير، بل منهم من ولي القضاء زمن الفاطميين دون أن ينص صراحة على أنهم اشترطوا عليه أن يحكم بمذهبهم الاسماعيلي، فقد تولى « أبو عبد الله محمد بن سلامه بن جعفر القضاعي » الشافعي المذهب المتوفى سنة ٤٥٤ هـ قضاء الديار المصرية كما تولى القاضي « أبو المعالي محيي بن جميع بن نجاة » قضاء الديار المصرية، ومات سنة ٥٥٠ هـ، وعمل بمذهب الشافعي وأهل مذهب الدولة . كذلك تولى القاضي أبو الحسن علي بن الحسين المعروف بالخلعي الشافعي المذهب المتوفى سنة ٤٩٢ هـ قضاء الديار المصرية يوماً واحداً ثم استعفى، كما تولى القاضي أبو محمد عبد الله بن رفاعه بن غدير الشافعي المذهب المتوفى سنة ٥٦١ هـ قضاء الجيزة

ونرى أن المذهب الشيعي كان رفيقاً في الجملة بمعاملة من حوله من أصحاب المذاهب السنية، فكان يحاول استمالتهم بعضاً، فلقد ذكر السيوطي مثلاً أن أبا العباس احمد بن محمد الدينوري الفقيه الشافعي عندما توفي بمصر في رمضان سنة ٣٧٣ هـ « لم يبق بمصر أحد إلا حضر جنازته »، وان القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر أبي محمد البغدادي المتوفى سنة ٤٢٢ هـ تولى القضاء ببغداد وما حولها، ثم تحوّل لضيق ذات يده إلى مصر العبيدية الشيعية، فأكرمت وفادته، حتى تبدّل عسره يسراً، ولعم بحياة هادئة سعيدة .

كل هذا يؤيد رأينا في أن العبيديين لم يفتنوا من كان بمصر من أئمة المذاهب السنية

نفياً وتشريداً وقتلاً، ولم يقطعوا دابر تلك المذاهب السنية لأنهم علموا، وقد تمسك الجمهور المصري بها ولاسيما بمذهبي مالك والشافعي، أنّ من حسن السياسة أن يتحببوا اليهم، ويعطفوا على أئمتهم وقضاتهم ويشجعوهم.

ويمكن أن نبرهن على رأينا هذا بوقائع حدثت في أول حكم الفاطميين وأواخر حكمهم، إذ لما وصل الخليفة المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر وجد جوهر مولاه وقائده قد استخلف على القضاء « أبا الطاهر محمد بن احمد بن عبد الله الذهلي » القاضي السني المالكي على أيام كافور، فأقره وسمح له أن يصدر حكماً يغاير مذهبه الاسماعيلي. فقد عرضت لهذا القاضي قضية رجل (هو ابن بنت أوليجور) تظلم في أمر حمام وادعى ملكيته لأن جده لأمه أنشأه، وكان يلبغي أن تنتقل ملكيته إلى أمه حسب قانون الشيعة الذي ينص على توريث البنت جميع الميراث إذا لم يكن للبيت أخ أو أخت، فأصدر أبو الطاهر حكمه وفقاً لمذهبه السني وقضى برفض دعوى المدعي في ملكية الحمام، وبالرغم من تظلم المدعي بعد رفض دعواه للخليفة المعز لدين الله واحتجاجه لديه بأن القاضي حكم بمذهب يغاير مذهب الدولة الرسمي، فقد وقع المعز بخطه هذه العبارة التي لم نجد أقوى منها في تأييد رأينا هذا حيث قال: « يقضي في الحمام ما حكم به محمد ابن احمد ». فهذا مثل ظاهر ناطق بأن العبيديين سمحوا في أول عهد حكمهم لمصر، بأن يحكم القاضي السني في دولتهم الشيعية بمذهبه السني.

ولما ازدادت الدولة الفاطمية ضعفاً في أواخر حكمها تولى القضاء سنيون حكموا بمذهبهم السني دون مذهب الدولة الرسمي الاسماعيلي، فقد ذكر ابن ميسر أن أبا علي احمد بن الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي، ولّى أيام الحافظ لدين الله في سنة ٥٢٥ هـ في الحكم أربع قضاة يحكم كل قاضٍ بمذهبه ويورث بمذهبه، فكان للشافعية الفقيه سلطان، وللمالكية الفقيه التيني، وللاسماعيلية الفقيه أبو الفضل بن الأزرق، وللامامية ابن أبي كامل، لتمسك المصريين بمذهبي مالك والشافعي، وعدم انتحالهم المذهب الاسماعيلي، وهي أول مرة يتعدد فيها القضاة في الاسلام وفي مصر

ولما ولي صلاح الدين يوسف بن أيوب الملقب بالملك الناصر، وزاره الخليفة العاضد عبد الله أبي محمد، آخر خلفاء العبيديين، أزال مظاهر الدولة الإسماعيلية، وعنى دولة الرفض والشيعة، فهدم في سنة ٥٦٦ هـ دار المعونة بمصر وعمرها مدرسة للشافعية، وأنشأ مدرسة أخرى للمالكية وعزل قضاة مصر الشيعيين في ٢٢ جمادى الثانية سنة ٥٦٦ هـ، وولى صدر الدين عبد الملك بن درباس الكردي الشافعي سنة ٥٦٦ قضاء القضاة بالقاهرة، وجعل له الحكم في اقليم مصر كله، وعين بدل الشيعة قضاة من السنيين الشافعية الذين كان يدين بمذهبهم، بعد أن صرف قضاة

أمراض الوهم

ان عدداً كبيراً من الامراض قد نشأ أو يتضاعف فعلها استجابة لانفعالاتنا . وبالرغم من أن كثيراً من التتابع الجسمانية سببها عقلي، فانها ليست متتابع «خيالية» ، بل انها على العكس من ذلك ، أعراضها حقيقية وواقعة . وما يلتبس من المؤلفات الطبية منهم يذكر حوادث عجيبة، أحدثت أمراضاً سببها انفعالي في أكثر الامر .

(١) فتاة بخطوبة لفتى : نصحت الانتحار إثر مشادة حادة معه ، فنزع أشد النزع . وفي اليوم التالي بدأت وقيته تتورم ، وفي مدى شهر أصيبت له غاية استئصال الاذرة goiter .

(٢) امرأة كان يصيبها الخناق (حصري الماء) مساء كل يوم ، وظل يعاودها عشر سنوات كاملة . ولم يفد فيها علاج أية فائدة تذكر . وكان تزوجها أت اعتاد أن يحضر مساء كل يوم الى المنزل ، فلا يصح لها مجال الانفراد بزوجها . فلما كف عن ذلك ، فر يصبها الخناق وزال تأثما السحر قد أخذ بيدها .

(٣) امرأة أجريت أربع عمليات في بطنها ولم تشف ، حتى علمت أن اختها تزوجت ، وكانت هي تخشى أن تظل اختها عاقراً .

(٤) امرأة أخذها المخاض فساعدها طبيب وقابلة ، وظلا ساعات ينتظران أن تلد . وأخيراً تبين انها ليست حاملا ، ولكن رغبت الملحة في أن يكون لها ولد ، قد أحدثت فيها كل أعراض الحمل الطبيعي ، الى الحد الذي غرر بالطبيب

(٥) أب دخل مدرسة فرأى ابنه في الملعب مصروب الرأس ، فغشي عليه وحمل الى فراشه مريضاً وظل متقاعداً . فانه رأى في صغره أخاً له أصابه الصرع ، فرجح أصابه في رأسه ، وكان يخشى دائماً أن يحدث ذلك لبعض أولاده .

(٦) شاب حمل الى فراشه يشكو آلاماً شديدة في بطنه . وكان قد فشل في امتحان الحقوق . فاتضح ان مرضه يرجع الى الخوف من ابيه ، وكان رجلا شديد الاخلاق وحتى الطباع ، وكان الشاب يعلم ان فشله في ان يكون ناجحاً سوف يثير غضب ابيه .

الشيعة كلهم وأبطل الخطبة والتدريس من الجامع الأزهر رغبة في ازالة كل أثر للفاطميين . وبذلك أخذ المصريون يرجعون الى المذهب السني الذي كانت له السيادة قبل الدولة الفاطمية، وأصبح الشيعة يتظاهرون بمذهبي مالك والشافعي المحببين للمصريين ليبعدوا عنهم الانتقام

ولما تم لصلاح الدين الايوبي الأمر وأسس الدولة الأيوبية ، وهم من الأكراد الشافعية ، زاد في محاربة المذهب الاسماعيلي ، حتى لم يبق له أثر ، وقطع الصلة بيننا وبين العبيديين ، حتى لا نكاد نطلع على شيء من كتبهم في الفقه أو غيره

عطية مصطفى مشرفة

الاخلاق

وتناسخ الشخصيات

في عالم الحيوان ظاهرة يدعوها علماء الأحياء ظاهرة الانسلاخ . ولنضرب لك مثلاً بدودة القز . فإن هذه الدودة تخرج من بيضة صغيرة كحبة البرسيم بيضاء اللون ، فتكون أشبه بخيط أبيض يدب دبيباً . فإذا اغتذت كبر حجمها وزادت سرعة تنقلها وتجاوز نهمها كل تصور ، فاذا أدركها دور الشرنقة (أو الفيلجة) نقصت قدرتها على الحركة ، وانقلب لونها من البياض إلى الاصفرار ، وقلت شهوتها إلى الطعام ، وجنحت إلى غصن أو زاوية في مكان أو عُصَيَّة ، وأفرزت من جوفها لُعَاباً إذا جَفَّ صار خيطاً حريرياً ، وعضت تلف جسمها بذلك الخيط المتصل المشبع بمادة غروية القوام ، ليكون اذا جف كرة صلبة بعض الصلابة . فاذا انتهت من بناء هذه الفيلجة (الشرنقة) أصابها سبات ، فيجف قوامها ويتحجر ، حتى انك إذا هززت الفيلجة في يدك ، خُيِّلَ اليك أن في جوفها مدَرَةً لها في جدار الفيلجة صوت أشبه بذاك الذي تحدثه كرة صلبة صغيرة ، عند ارتطامها بجسم صلب

إن الدودة ما تزال حية ، ولكنها لا ترزق . فانها في طورها السباتي هذا يغتذي بعضها ببعض ، وتتزوَّد مما كان بها من الرطوبات ، ولكنها في الوقت ذاته تكون ماضية في التَّخلُّق ، إذ تمضي في سبيل الانحراف عن صورتها الاصلية لتأخذ صورة جديدة — هي صورة الفراش . هي إذ ذاك خلقٌ آخر لا أثر للدودة فيه ، كما كانت من قبل دودة لا أثر للفراش فيها . محكمة بالغة في قوة الخلق والتصوير ، تقتصد بها الطبيعة زمناً وجهداً ، وتحفظ بذلك صورة من صور الحياة بدورة محكمة من دورات التناسخ ، فاذا تخلَّق الفراش ثقب جدار الفيلجة وخرج من جوفها حيواناً تام الخلق كامل الاستعداد للتناسل ، فاذا تم التَّزاوج بين الذكور والإناث منها ، نبذت الطبيعة الذكور فماتوا لانهم أدّوا في الحياة واجبهم ، وخدموا الطبيعة فيما سُخِّروا له ، واذا وضع الاناث البيض ، احتفظن بذلك مستقبل الحياة ممثلاً في تلك الصورة ، نبذتهن الطبيعة أيضاً فمتن في هدوء مستسلمات للقضاء

طائيات للقدر ، منحدرات الى حيث انحدر قبلهن آلاف وملايين من الأجيال سبقتهن إلى تلك المرواة ، سهواة اللانهاية والأبد .

هذه الصورة الرائعة التي ترسمها الطبيعة كل يوم على لوحتها الخالدة ، صورة بريئة من كل ما تتخيل من صور العنف أو الشدة أو الجهد ، تلك التي نلاحظها في حياة الحيوانات العليا ، حيث الألم سبيل البقاء ، والشقاء طريق الاحتفاظ بالنوع . فميلاد جيل جديد من حيوان ضرب في نظام الطبيعة بسهم وارتفع الى صورها العليا ، يقتضي ألماً عند الولادة وألماً في التنشئة والحصول على الرزق ، وألماً في المرض ، وآلاماً مبرحة عند مفارقة الحياة . أما في تلك الدودة الحقيرة في صورتها ، العظيمة الفذة في حقيقتها ، فميلاد جيل جديد لا يقتضي إلا أن توضع البذرة ، وهي حمل تتخلص منه الأنثى ملذذة بالتخلص منه ، ولا ألم في التنشئة ، فان الطبيعة تتولى الصغار برحمتها ، ولا جهد في الحصول على الرزق ، فالرزق مكفول في جنبات تلك الأم العظمى ، ولا خوف من المرض لأن الحياة قصيرة ، والانتقال منها بلا تباريح من الألم ، بل ان موت الدودة عبارة عن انسلاخ من صورة الى صورة ، وموت الفراش انحلال طبيعي أشبه بانحلال البلورات في الماء ، وهو في الواقع تراخٍ يصيب الهيكل الحي ، وكلما اشتد غاض لهب الشعلة الحية ، فاذا بلغ ذلك التراخي آخر درجاته ، انطفأت الشعلة ، كأنها قنديل هبت عليه النسمات .

* * *

لهذه الحالة العجيبة مثيلاتها في عالم الخلق الأعلى ، ونقصد بالخلق الأعلى خلق الانسان المتمدين الذي نبت في نفسه جذوة من جذوات الحياة لا يعرفها عالم الحياة الأدنى . وإذا قلنا إن لهذه الحال مثيلات في عالم الانسان ، فلا نقصد حالات الانسلاخ العضوي الذي يصيب الدودة فتصير فراشاً ، وإنما هو انسلاخ من نوع آخر . انسلاخ يصيب الشخصية بمقتضى مجموعة من الظروف والشهوات والانفعالات التي ظهرت آثارها في الانسان ، ومضت تحتكم في ظواهره ، وفي بعض الأحيان في أهم ظواهره ، باعتباره انساناً له مفهوم خاص بعيد عن مفهوم غيره من صور الحياة .

ولا ريبة في أن أهم مظهر من مظاهر الانسان هو خلقه وصفاته الأدبية العليا التي فضت من ناحيتها على صلته الوثيقة بالحيوانية ، وجعلته في منطق الطبيعة مقولة برأسها ، تكاد تنفصل انفصالاً تاماً عن بقية مقولاتها .

من رأي العلامة « دروين » ان الأشياء التي يمتاز بها الانسان على بقية الحيوان كثيرة

ومتعددة . غير أنها أشياء يمكن بالبحث الاحيائي أن يرجعها المتأمل إلى أصول لها في صور الحياة الدنيا ، فيكون الاختلاف الملحوظ بينها باعتبارها أشياء انسانية أو باعتبارها أشياء حيوانية ، إنما هو اختلاف من حيث الكم ، لا من حيث الكيف . ولقد استطاع العلامة «دروين» أن يستقرىء من صفات حيوانية ، بدايات صفات انسانية عليا ، ردّها إلى النشوء وجعل مرجعها تأثيرات طبيعية كالبيئة والوراثة وغير ذلك . على انه على الرغم من ذلك وقف عاجزاً عن تعليل نشوء بضعة صفات انسانية ، وتعذر عليه أن يجد لها بدايات ترجع اليها في عالم الحيوان . من هذه الأشياء حسّ الموسيقى وحسّ الجمال وحسّ الضمير وغيرها من الحسوس الأدبية ، التي جعلت من الانسان تلك المقولة المتفردة بذاتها في منطق الطبيعة ، مقولة لا يشاركها من عالم الحياة شيء في بعض صفاتها المثالية .

إذا خرجنا من هذا البحث الاحيائي ، ومضينا في بحث نتناول فيه بعض الظواهر الأخلاقية وتطورها المؤقت بحسب الظروف المحيطة بالفرد ، استطعنا أن نستدل منها على ان العلامة « دروين » ان عجز عن رد بعض الصفات العليا في الانسان إلى بدايات حيوانية ، فان

اقرأ وافهم

يقول رسكن : لا أعجب لما يقاسي الناس من الآلام والحرمان ، وانما أعجب لما يفوتهم من الفوائد .

ولاشك في أن الانسان لا يفوته من شيء تتعذر استعادته ، لان فوائد ثمرات لذة حقيقية ، من القراءة بحذق وفهم . ولقد دلت الاحصاءات الدقيقة على أن كثيراً من الشيوخ والشباب تفوتهم هذه اللذة العليا ، وان الذي يعترض انتباههم في قراءته ، انما هي الاشياء ذوات اللذة العابرة التي لا بقاء لها في الذهن ، ولا أثر لها في التثقيف إلا قليلا ، وفي جهات العالم تفيد الانسان في حياته حكمة يرجوها أو تجربة يتعظ بها .

كان من المؤمنين بأن قراءة الفهم لذة تفوق كثيراً من اللذات ، طالب علم من بقرية أقيم في ناديها مرقص سائل في ليلة مرح ، فاقتحم الرقص وأخذ يتلو من كتاب « دون كيشوت » سطراً بعد سطر بصوت عال ، ويعلق على القراءة بشرح الذي استفاد مما قرأ .

جعل له أول الامر فتى أو فتيان ، تركا حلقة الرقص في خجل ، ولكن محاضرته اجتذبت بزمرة عديدة ضمت جميع المراهقين والمراهقات من نزيل القرية وفتياتها .

الفيلسوف المتأمل أو الباحث السيكولوجي ، قد يقع على طرف من تلك البدايات إذا هو نظر فيما يصيب الانسان من تناسخ أخلاقي ، إذ تتعاقب عليه صور مختلفة من شخصيات تلابسه ، ولكل شخصية حالة تنتجها ، وصورة تؤول اليها .

والحالات التي تحدث تعاقب تلك الشخصيات قسمان ، قسم ذاتيّ ، وقسم موضوعي ، ونقصد بالذاتي ما يصدر عن النفس مباشرةً ، فهي أشياء طبيعية فطرية ، وبالموضوعي ما يصدر عن ظروف تحيط بالفرد فتؤثر في نفسه تأثيراً يختلف باختلاف الاستعداد الخلقي ، فهي أشياء اصطناعية مفتعلة . ومثلنا على الحالات الذاتية الحزن والفرح والخوف والانفعال والتشهي وغيرها ، فتجتماع هذه أشياء تصدر عن النفس بأفعال انعكاسية لا دخل للارادة بالتحكم فيها . ومثلنا على الحالات الموضوعية ما يصطنع الفرد من ظواهر ، وما يتخذ من أساليب ، تضيف إلى شخصيته الصحيحة أشياء تنكرها ، توصلاً الى إرضاء شهوات دُنيا تقوم في نفسه ، وفضائل مآرب دنيوية ، كالتشامخ والتكبّر والترفع عن الناس والتنابذ بالألقاب وتخليط القيم الأخلاقية ابتغاء انتويه على مثالياتها حتى تكون الصفات الفاضلة ، فيروج في سوق الدنيا تكبر المتكبر وتشامخ المتشامخ ، وما إلى ذلك من الصفات التي اصطلح الأخلاقيون على تسميتها رذائل الخُلُق .

***

وفي الحيوان من ذلك بدايات . ولكنها ترتد جميعاً إلى انفعالات تفيد الحيّ في حالات حياته . فاذا انتفخ الهر أو كشر عن أنيابه الأسد أو هرّ الكلب ، فتلك صفات تلابس الحيوان اتقاء لظروف تحيط به . فلما سيطر العقل على الأشياء الانسانية نهضت هذه البدايات الحيوانية ، فتطورت مستخفية في الخلق الانساني ثم ظهرت في صورة مصطنعة يلجأ اليها الفرد إذا أراد أن يحاكي الهر إذا انتفخ ، والأسد إذا كشّر عن نابه ، والكلب إذا هرّ . وبذلك بدا في أفق الخلق البشري طابع تلك البدايات مصورة في صورة خُلُقٍ اجتماعي مصطنع ، فيحاول أصحاب الخلق الخسيس الضعيف إحياءها في أنفسهم ، ليحصلوا بها على نفس الأثر الذي أرادت الطبيعة أن يكون لتلك الانفعالات الحيوانية التي صوّرتها . ذلك بأن طبيعة التطور ، لما رأت أن تلك الصفات لم يصبح للانسان المتمدين بها من حاجة ، مضت تكبتها وتقمعها ، ماضية بها في سبيل الاضمحلال ، شأنها في ذلك كشأنها مع كثير من الصفات العضوية التي مضت بها في سبيل الزوال ، بزوال الحاجة إلى الوظيفة التي كانت تؤدّيها . فالعودة الى استخدام مثل هذه البدايات كالعودة إلى تحريك عضلات الأذن في الانسان مثلاً ،

تكون مصطنعة مفتعلة بعيدة عن حاجات النفس وأشياء الحياة الضرورية .

تلك أشياء تدلنا على أن الانسان الذي تنسخ شخصيته ، فتزول صورتها الأولى لتلبسه صورة ثانية ، بمقتضى ما يحيط به من ظروف المجتمع ، انما هو في ذلك كالمهرج الذي يلبس من الثياب ما يلائم الدور الذي يحاول أن يلعبه أمام الناس ، فتتوالى عليه الصور التي يصطنعها بنفسه ، وهو في جميعها كذاب مُضَلِّل أفاك .

وإنك ان تأملت في نفسية الطفل الصغير رأيت أن الطفل قد يلجأ إلى ما يلجأ اليه الحيوان بعض الأحيان من ضروب التنكر الخلقي ، فقد ينتفخ كما ينتفخ الهر ويكشر عن نابه كما يكشر الأسد مثلاً . ولكن الطفل إذا أتى ضرباً من هذا التنكر فانما يأتيه عن طبع أصيل . ذلك بأنه في طفولته يكون أكثر احتياجاً الى استخدام هذه الأساليب الحيوانية منه إذا كبر وشب واكتمل عقله ، واحتالت مواهبه الانسانية ، وأصبح أكثر معرفة بطبيعة الظروف التي تحيط به . وهذه الظاهرة وندعوها ظاهرة « التنكر الخلقي » تبدأ بالضعف والاستخفاء كلما تحوَّل الطفل إلى طور الفتوة والشباب ، وتكمن وتكاد تزول إذا بلغ الفرد سن الرجولة العاقلة .

غير أن مقتضى الظروف الدنية في المجتمع الحديث قد تقلب تلك الظاهرة قلباً كلياً ، فتخرجها من مجالها الطبيعي إلى مجال مصطنع مفتعل ، فتنقلب من « تنكر خلقي » دعت إليه الطبيعة في الحيوان وورَّثته الإنسان في بداياته الأولى لحاجات حيوية صرفة ، إلى ما ندعوه « تناسخ الشخصيات » ، وهذا التناسخ ان استمدّ أصلاً من صفة التنكر الطبيعية ، فانه في حياة الانسان العاقل المتمدين ليس إلا صفة أثرية يدعو الى استخدامها ضعف أخلاقي نأنفه في كثير من الناس ، إذ تجد أن الفرد الواحد منهم قد انتسخت شخصيته مرات عديدة في مدى حياته ، بحسب الظروف التي تحيط به . وهؤلاء هم أضعف الناس خلقاً وأرذلهم طبعاً وأدناهم نفساً . أولئك هم الارقاء ، الذين يخيل اليهم أنهم أحرار ، أولئك هم العبيد التي تتناسخ فتصير آناً فراشاً وأخرى دابة أو حشرة . هم أولئك الذين ضعفت عقولهم عن تقييم حقيقة الحياة الانسانية ، فارتدوا الى حياة الحيوان . أولئك هم الذين لا يعرفون لحياة الناس قيمة الا اذا عصرتهم ظروف الحياة ، فانتزعت منهم نزعة ذلك التصنع ، الذي هو من كرائم الأخلاق .

رأقصة الفالس

لما تنازعها الهـــوى واستحكم الوجد الدفين
قامت لتعرب عن جوًى وبجفنها دمعٌ ثخـــين
فاستعجمت عن شرح شكواها وقد غلب الحنين
كم موقفٍ لحنَ اللسا ن به وأعربت العيون

عيَّ البيانُ ولم يحرْ لما تكلمت الفنون
وأصاخ مشتاق إلى الأوتار فانهلّت شؤون
فكأنما الألحان في الأسماع من شجوٍ أنين
شرقت بمدمعها العيو نُ وناح من وجدٍ حزين

لحنٌ أثار بها الهوى والوجد مبعثه لحون
تغشي ويثنيها الدلا ل كما تمايلت الغصون
حتى توسطت الجمو ع وساد في الجو السكون
فأنت من الابداع ما أغفت لروعته الجفون

نطقت بما راح الصبا يمليه والسحر المبين
فاذا الكلام اشارةٌ عن غامض المعنى تبين
صورٌ يخيـــل أنها الاحلام تملكها الظنون
فاذا ثابت العيان بما أعربت ، وهو اليقين

الجسم رعشةُ مدنف لما تساوره المنون
أو هـــزة الداء الدفيـــن اذا تملكت الشجون
والطرف من هيف يخا ل به سقام وهو لين
للفن ألوان كما للحسن في الدنيا فنون

وتدور كالمصروع طا ووده من اماضي جنون
طوراً تسير الى الأما م كما تخلجت السفين
وتصد كالمذعور لما أرعشت منه اليمين
ويعيمها للظامئين لمنهل الرؤيا عيون

دمشق — هرنار مردم بك

أيكم الذكر وله الانثى ؟

هل تسنى للعلم أن يعين النسل؟

هل سيكون ذكراً أم أنثى ؟ سؤال يتردد في نفس كل حامل — وتظل الأسرة في حالة ترقب حتى تنفصل حياة الوليد من عالم الغيب . فاذا تنفس صبح حياته ، وعرف نوعه قبل ذلك ما كنا نعني. ولكن كثيراً ما يتلهف قلب أم لها ستة أبناء ، أن يكون لها بنت أو أب له ست بنات،يتمنى لو أن له ابن يحفظ اسم الأسرة ويرث مجدها . فاذا كان عاملاً أو ملكاً ، فأعباء الملك ! من ذا الذي يضطلع بها من بعده ؟ تلك مشكلة من مشاكل الحظ التي نشأت بنشوء الانسان ، وكبرت مع آماله وانتعشت مع خيالاته وشهواته . أيستطيع الانسان أن يتحكم في الحياة فيتعين النسل ؟

ظل العلم حتى عهدنا هذا قليل الجدوى في هذه الناحية . والأحاديث المتناقلة بين الناس أقل منه جدوى ، وفيها من الخيال والأسطورة ، ما في قراءة الكف أو استقراء الحظ من أوراق اللعب . ولقد ذاعت منذ أزمان مرغلة في القدم ، أحاديث ، ورويت مرويات وماتت كما ولدت ، بلا فائدة جنيت ، ولا حقيقة كشفت ، وظل ذلك الأمر من المغيبات . قيل بأن تعيين النسل يرجع إلى دور الأنوثة ، وإلى أوجه القمر ، والاستحمام عاء فيه قارية أو حمضية ، عند اكتمال وجه من وجوهه . فلم يُجْدِ شيئاً من ذلك ، وظل معدل المواليد من حيث الجنس ، واقفاً عند ١٠٦ ذكور لكل ١٠٠ إناث .

غير أن التجارب التي أجريت حديثاً في الاستيلاد ، قد دلت على أن تعيين النسل ممكن ، وإن معرفة جنس المولود من المستطاع التنبؤ به . أجريت التجارب في ذبابة الفاكهة أولاً ، فقال الذين يعلمون : إذا كانت آلية الوراثة واحدة في الأحياء ، فلماذا لا يصدق على الانسان ما يصدق على غيره ؟ والماكدون على مشكلة الاستيلاد الآن ، لا يستطيعون أن يعينوا جنس المولود أذكراً هو أم أنثى فحسب ، بل هم يقدرون على أن يعينوا جنس المولود بحسب ارادتهم باقترانات يختارونها . ومما هو جدير بالذكر إن لدى العلم الآن وسائل يُفَسِّر بها السبب في ذلك

كل ذلك إنما يرجع إلى الراهب النمسوي الخالد « جريجور مندل » الذي أدت تجاربه الخالدة في نبات البسلة ، إلى الكشف عن أساس الوراثة . فاذا فرضنا نباتاً يخرج بسلة

سوداء ، وآخر يخرج بسلة بيضاء ، إذا تلاقحا ، لم يخرج تلاقحهما حبوباً كلها سود ، ولا حبوباً كلها بيض ، بل يجيء النسل خليطاً من اللونين ، بنسبة ثلاث حبات سود ، وواحدة بيضاء . فدلّ ذلك على أن السواد صفة « نافرة » Dominant والبياض صفة « منقورة » Recessive . فإذا استنبت هذه الحبوب عدداً مناسباً من الأجيال ، عادت جميعاً إلى السواد .

إن هذا انما هو تبسيط لقانون كثير الشعب كبير التعقّد . ولكن هذا البحث كاف لفهم المبادىء التي حققت في وراثة الجنس Sex — فلون الشعر والعين أو تركيب الفك أو الجبهة في أسرة من الأسر ، إنما هي صفات تنحدر فيها من الآباء ، وكذلك يورث الجنس — الذكورة أو الأنوثة ، من نفس تلك الآلية الوراثية .

إن العنصر الذي له الأثر المباشر في تعيين النسل من حيث الجنس ، هو في الواقع حقيقة طبيعية نستصوب أن نلحظها تحت عدسة المجهر . ففي كل خلية من خلايا الانسان ٢٤ زوجاً من العناصر الحاملة للصفات الموروثة نعرفها باسم الصبغيّات : Chromosomes ، وواحدة فقط من هذه الصبغيات تؤثر في تعيين النسل . وقد عيّنت هذه الوحدة الصبغيّة في الأنثى بالرمز (س) . ولكن هذه الصبغية المعينة للنسل في الذكر تمتاز بعُقدة صغيرة مستقرة فيها ، ويشار اليها بالرمز (ي) .

عند التناسل تمتزج الصبغية السينية بالصبغية اليائية وبعيد قليل تبدأ الخلية الملقحة في الانقسام ، فاذا صارت خليتين ، أخذت كل منهما نصف الصبغيتين المتزجتين . والنصف الذي يحتوي العقدة من العنصر اليائي (الذكري) يمّحي ، مفسحاً الطريق للنصف الآخر حتى ينشأ وتتخلّق فرداً جديداً .

حدثت ظاهرة عجيبة لاحظها دكتور « و . جوون » ودكتور « هـ . نلسون » من جامعة « آميس » ، وكان كلاهما يجرّب في ذباب الفاكهة ، فان زوجاً من هذا الذباب ظلّ يلد ذكوراً صرفاً ، لغير سبب معروف ، فأثار ذلك فيهما رغبة البحث العلمي ، فزاوجا أنسال ذلك الزوج نمانية أجيال ، حدث خلالها أكثر من ٥٠٠ اقتران ، فلم تخطىء القاعدة ، وكان النسل ذكوراً كله . وكان قد سبقهما باحث آخر ، هو الاحيائي « خرشفسون » ، وقد استولد عشرة من هذا الذباب ، حملت إناثه ذلك العنصر الذي لا يحدث الذكور ، فكان نسلها إناثاً كله .

والوراثة في الذباب تُحكَم بنفس الآلية الصبغيّة ، كما في الانسان . ومن المعروف أن الصبغيّات نفسها ، تتألف من عناصر أصغر منها سميت المورّثات : Genes كأنها خرزات في سلك ، وكل مورّثة من هذه المورثات تعيّن صفة خاصة في الفرد الناشيء .

مثل في البادية تزوج رجل من بني عامر بن صعصعة امرأة من قومه ، فخرج في بعض أسفاره ، ثم قدم وقد ولدت امرأته ، وكان خلفها حاملا . فنظر الى ابنه فاذا هو أحمر شعب أزب الحاجبين فدعاها واغتفى السيف وأنشأ يقول :

لا تمتطي رأسي ولا تعتلني وحاذري ذا الريش في يميني . والقربي دونك خبريني
ما شأنه أحمر كالمجين . خالف ألوان بني الجون .

فقالت تجيبه :

إن له من قبلي أجدادا بيض الوجوه كرماً أنجاداً . ما ضرهم إن مضروا جاداً
او كافحوا يوم الوغى الأندادا . أن لا يكون لونهم السوادا

قال العربي بغية العلم لوجوه وقد شك أن الولد ابنه : لا تقربي مني فلا تنقي رأسي ولا تمتطي شعري ، وحاذري السيف اللامع (ذا الريش) في يميني ، فإن أراه أحمر شعب (شديد الحمرة) أزب الحاجبين (كثير الشعر فيها) مخالف الجون (اي السود) وهو لون ولون قومه ؟ فقالت تجيبه بلغة العرب أيضاً : إن أجداد بعض الوجوه انجاد (شجعان شداد البأس) لا يضرهم ان كانوا في جاد (اي في مبارزة وتقاتل بالجد) او حاربوا الاندادا (النظراء) ان يكونوا بيض الوجوه ؟ فصفة البياض في الولد موروثة عنهم ، فظهرت فيه نافرة (غالبة) لصفة السواد تلك التي ارتدت متقورة (مغلوبة مقهورة)

والمعتقد عامة أنّ بعض هذه الموروثات قد تبيد بعضاً ، عند حدوث الالقاح . فالصبغيّات اليائية ، عندما تدخل البيضة الملقحة فلا تجد لها زميلاً تقترن به ، حيث يكون النصف الآخر من عنصري الجنس وهو النازع إلى الأنوثة قد بادَ وفَنِي ، يتحقق إذ ذاك أن ينشأ فرد ذكر.

وقد كُشِف عن أنّ صفة إنتاج الذكور قد ورثها البنت عن أبيها ، وفي مثل هذه الحال تكون الأنثى مذكاراً ، بغير اعتبار لمن يستوليدها من الذكور . وبالرغم مما يعتور هذا البحث الاحيائي من تعقيد ، فقد اصطنع للباحثين « جُون ولدون » أن النزعة إلى إخلاف جنس أمينه ، قد تنتقل في السلالات بمقتضى قانون مندل ، وبذلك يمكن التحكم فيها .

ومحصل القول ان الذكورة صفة « نافرة » Dominant ، وبمقتضى قانون مندل الرياضي ينتج الجيل الثاني الناشيء عن الأبوين الأصليين ثلاثة ذكور تلقاء أنثى واحدة ، كما ينتج نبات البسلة ثلاث حبات سود وحبة بيضاء ، حذواً بحذو . فاذا استولدت أنثى من هذه الأناث من شقيقها . فتغلب الصفة « النافرة » بتفوّق ، ويخرج نسلها ذكوراً كله . وبهذه الطريقة استطاع المجربون في استيلاد ذباب الفاكهة أن يستولدوا نسلاً كله ذكور في ثمانية أجيال .

ثبت بذلك أن تعيين النسل في ذباب الفاكهة من المستطاع التحكم فيه إذا استهدينا بقوانين مندل في الوراثة . فهل يمكن تطبيق ذلك في الانسان . والجواب : انه لا يقوم حتى الآن سبب علمي يحملنا على الشك في إمكانه . ذلك بأن الانسان يحمل عنصر الوراثة الياقي ، كما يحمله ذباب الفاكهة .

إذا تزوّج ستة عشر زوجاً ، فولد كل منهم أربع بطون ، فان قانون المرجّحات الرياضية ، يحملنا على أن ننتظر أن يكون منها أسرة واحدة تنجب أربع بنات . ولكن الآباء في مثل هذه الحال لا تكون منتخبة — فانها عند ما تزاوجت لم تكن قد زُوّجت بقرض انها تنجب جنساً معيّناً . على اننا نعرف جيداً ان هنالك أسراً كثيرة ، يغلب في نسلها أحد الجنسين ، الذكور أو الاناث . وكثيراً ما نسمع ان أسرة « فلان » تنزع إلى الذكور وأسرة « علان » تنزع إلى الاناث . ولسنا فيما نسمع من ذلك إلاّ كمثل من يتلقى من ألسنة العامة درساً من أعمق ما توصل اليه علم الاحياء من بحث وتمحيص لدقيقة التناسل وتعيين جنس الانسال . والواقع في مثل هذه الحال ان الابوين البشريين يكونان قد انتخبا لا شعوريّاً ، في حين أن الابوين في ذبابة الفاكهة يكونان قد انتخبا عمداً أي اصطناعيّاً .

فاذا استطاع العلم أن يحكم التناسل في الانسان كما يحكمه في ذباب الفاكهة ، فأنت اذاً مخيّر في أن يكون لك ولد أم بنت ، على شرط أن تنتخب المرأة التي تنجب منها . فان مطلق نفي لا تكفي للحصول على النتيجة المرغوب فيها . إنما تجدي في ذلك أنثى ورثت القدرة على تعيين جنس النسل بصورة « نافرة » عن أبيها .

لماذا يحدث الآن أن طائفة من الازواج تنسل ذكوراً وإناثاً في آن واحد ؟ ففي الاسر التي يغلب الذكور في نسلها ، يعلل المستبشرليّون ذلك ، بأن صفة الذكورة نافرة في الزوجين ، وصفة الانوثة منفورة . فاذا تزوج أبناء هذه الاسرة من أبناء أسر عرف أن النزعة في نسلها إلى الذكور ، كان الاذكار طابعها . وهكذا يمكن أن تنجب الاناث بحسب إرادتنا ، إذا عنينا بانتخاب الزوجين .

وقبل أن يصبح تطبيق قانون مندل على الانسان أمراً عمليّاً منتجاً ، يجب إنجاب نسل من جنس معين ، ينبغي أن يسجل تاريخ كل أسرة وكل فرد من أفرادها . وبعد مرور عدد من الاجيال يسهل أن نزاوج أفراداً ينجبون الذكور أو الاناث باختيارنا . ولكن أنا لنا بالقانون الذي يحكم الانسان من حيث اختياره الجنسي ، على نفس الصورة التي يحكم بها المجربون ذبابة الفاكهة في مختبراتهم ؟

طابع السياسة الدولية

في عالم ما بعد الحرب

- قد يتبادر إلى ذهن القارىء من عنوان هذا المقال ، أن ثمت مجالاً فسيحاً من الحدس والوهم يسود مرامي البحث وعناصره ، وأن الفروض الطليقة من كل قيد أو رابط، هي التي تصوغ الاتجاهات السياسية لعالم ما بعد الحرب،وتمنحها خصائصها الوهمية وطابعها البدع .

غير أن منطق الواقع ، أو وحي الحوادث ، التي تمهديه الأبحاث السياسية المعاصرة وتحكمه الاجتماعات الدولية المتعاقبة في شتى ما يعرض لها من مشاكل الاجتماع الانساني المتطور ، هو الذي يوطد الأسس الراكزة لحلة الناحي الجديدة وآفاق النشاط الموصوفة في عالم الغد ، وهو الذي يُرجى لأن يُستخلص من مواضع النقص ومواطن الضعف في نظم الحاضر السياسية والاقتصادية ، مواد جديدة وعناصر حية ، يهتدي بها هذا العالم الجديد إلى تحقيق مثله المكنونة في واعيته الباطنة ، تفتح لطموحه واستطلاعه ، أهداف السعي إلى ما ينشد من كمال ونضج .

والحق أن للانسانية في كل مرحلة من مراحل الزمن ، وفي كل طور من أطوار التقدم ، حاسة وجدانية مشبوبة، تُصوِّر لها في عالم الفكر المجرد «مركبات الكمال» التي تعوز حياة الواقع وتُمليح من تشوه أوضاعه . وهذا الأمر الشاهد — وإن تبدّى لها في صورة « المثالية المطلقة » التي كثيراً ما تصول عليها سطوة الواقع ، فتنأى بها عن حيز الامكان والقدرة ، وتقف بها عند حدود الأحلام والأماني — لا يزال النبع الدافق الذي ترده هذه الانسانية الهائمة كلما أزمتها عواصف الانقلابات والقلاقل أو شتى العوارض التي تنتاب ركب الحضارة في مراحل الانتقال وأزمنة التحول .

والمثالية التي نعني هنا هي ضرب من « اليوتوبيا » التي يسوق إليها التطور ، بل ويفرضها منطق الحياة على الأحياء ، فيمهدونها باعث من نزعات الالهام والخيال التي تسيطر على الحياة باعتبارها فكرة ، محاولين أن يستخلصوا من تطبيقاتها العملية في مختلف

مجالات نشاطهم، بالقدر الذي تسمح به ظروف الحياة وملابساتها، وقد يذهب المثاليون منهم في « المثالية » مذهباً بعيداً، لا تحتمله أقيسة الواقع وتأباه طبائع الأشياء.

ومشكلة الحضارة العالمية الراهنة، تنحصر في كيفية التوفيق بين هذا الضرب من «الطوبيا» وبين منطق الواقع، أو بمعنى آخر، بين منازع الكمال والاستعلاء المستكنة في ضمير الانسانية ووجدانها، ومقتضيات المحيط المادي بنظمه وأوضاعه ومذاهبه.

هذا الأفق المثالي الذي يكشف عنه اقتران عالم الواقع بعالم المثال، هو مناط الحضارة الانسانية المثلى، ولون الحضارة التي ينشدها الناس في عالم الغد.

ولقد كان الانسان وما زال محفوزاً بغريزته الاجتماعية الى مشاركة أفراد جنسه لون الحياة التي فرضها عليه المحيط المادي على تفاوت مراتبها عَبْر حقب التاريخ الانساني المتتابعة. ولما كان الفرد المعتزل كائناً خيالياً لا وجود له إلاّ في مخيلة القائلين بهذا الوهم الجدليّ، أمكننا أن نقطع باستحالة قيام مجتمع إنساني لا يكون قوامه روح التعاون وإرادة الحياة المتضامنة بين أفراده، وأمكننا أن نقطع أيضاً بأن اطراد التضامن ودوامه بين أعضاء الجماعة لا يتحقق بغير ضمانات إجتماعية تحميه من طغيان الوثبات التي تثور على الارادة العامة للجماعة، وتعارض رغبتها في أن تحيا متعاونة متضامنة يشد بعضها بعضاً.

ومن ثمّ كان نشوء فكرة «السلطة» إرادة أخلاقية منبثقة من ضمير الجماعة، صوّرتها الحاجة وحدّدتها الخصائص الاجتماعية المركوزة في طبيعة الانسان. وهذه الحاجة هي انعكاس لشعور الخوف الغريزي الذي ينتاب الانسان عند انفعاله بدوافعه، فيحفزه إلى الاحتيال لتجنب عواقبه ودفع أخطاره جهد الطاقة. ولقد كان لعامل « الخوف » فضل يذكر في ترقية غرائز التضامن والتعاون عند الانسان وإكمالها تدريجاً، حتى وصلت أوج نمائها الاجتماعي في صورة « الدولة »، مما حدى ببعض أعلام الفكر السياسي الحديث إلى أن يعزو نشوء الحضارات وتطوّرها إلى عامل الخوف وحده، لبروزه وتفوقه على سائر العوامل الأخرى[1].

فالدولة بشقيها الطبيعيين، السلطة الحاكمة والرعية المحكومة، انعكاس واقعي لفكرة أخلاقية أصيلة في الطبع الانساني، قوامها إرادة الحياة في صورة أرقى، وهدفها حفظ هذه الصورة موصولة أبداً بالعوامل الاجتماعية التي تعين على استعلائها وتطورها حتى تماشي السنن التي تقضي بأن تجاوز الحياة نطاقها وتفوق نفسها على وجه الدوام.

ولعلّ الذي يؤكد سيطرة الفكرة الاخلاقية على نشأة الدولة، ما نشاهده في كل مجتمع

(١) راجع H. Laski: A Grammar of Politics, P. 20.

سياسي ، مهما كان حظه من مراتب التحضر ، من اقتران مبدأ « الجبر الاجتماعي » Coercion بحاسة الشعور العام، أو ما يمكن أن نسميه بالوعي « الجمعي » الذي يكاد يقوم من الجماعة مقام الضمير عند الفرد ، وإن تفاوتت بالطبع معايير هذا الوعي ومثله العليا، بتفاوت حظوظ الرقي والاستنارة بين الجماعات .

فالدولة في جوهرها مزاج تألف من ازدواج جانبين بارزين من جوانب الطبيعة الانسانية ، وهما جانب الهيام بيوتوبيا المثل ، وجانب التقيد بمقتضيات الواقع والتزامات الحياة . والفكرة المثالية تتركز كما ذكرنا في إرادة الجماعة السياسية لحياة أرقى ، أما التزامات الواقع فتتمثل في الحرص على الاستعانة « بالقوة » كبدإ ووسيلة ، إلى بلوغ ما تهدف اليه تلك الارادة (١) من ممكنات .

وهكذا كانت « القوة » وما تزال قرين حق الحياة عند الأفراد والجماعات، وإن تفاوتت أفيستها فيما بينهم بتفاوت البواعث والغايات والأهداف .

بيد أن مراحل التحضر والرقي التي اجتازها الانسان على مدى الزمن ، عكست فيه شعور الايمان بجدوى « القوة » في تنظيم حياته إلى إحساس بالتوجس والحذر من شرورها ، بل لقد جاوزت الحذر إلى الخشية الدائمة من جانبها السلبي لطغيانه الدائب على نواحيها الموكولة بإقرار كل ما يرمي الاستقرار والتوازن في حياة الجماعة . ولما كان الانسان حريصاً على حريته ، مفطوراً على مناهضة كل ما يعوق انفساح مجال العمل أمام إرادته ، لم يجد بدًّا من استهداء حاسته الاخلاقية لترسم له ميزان التعادل بين كفة « القوة » ممثلة في سلطان « الجبر الاجتماعي » ، سواء أنهض به الفرد أم إجماع الأغلبية ، وبين كفة « اليوتوبيا » ممثلة في نزوعه الأخلاقي إلى سورة أفضل لحياة الواقع . وفي هذا يقول الاستاذ « نيبور » : « إن السياسة ستظل على مدى التاريخ ملتقى تتقابل عنده القوة بالضمير الانساني ، وتحت المثل الأخلاقية تتصادم بالعوامل المكونة لسلطان الجبر المسيطر على الحياة الانسانية ، فهي لا تفي بتوقي من غلوائها ، حتى تقضي على تلك العناصر التي تعوق تحقيق التوازن والتعادل فيها » (٢) .

ومنذ أن نشبت الثورتان الأمريكية والفرنسية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر

(١) راجع E. H. Carr : Twenty years' Crisis, P. 124

(٢) راجع R. Niebuhr: Moral Man and Immoral Society, P. 4, 77

واعظ يؤيد وعالم ينفي

كوتون ماذر — Cotton Mather واعظ بيوريتاني (أي من المتعصبين) أيد بسلابة وشجاعة فكرة التطعيم اتقاء الجدري . ولقد مضى في تأييد ذلك الكشف العلمي الخطير بالرغم مما نشر عنه من النشرات وقيام الجماهير بالتظاهر عليه ، وقد اتهموه بأنه يناصر الشيطان لأنه بما يؤيد العلم ، يخرج العناية الآلهية من حياة البشر . ولكن «ماذر» ثبت في موقفه ولم يتزعزع ، وهي بنفرده ورجاله دكتور « زديل بويلستون » وهو طبيب علم نفسه بنفسه ، وكان في أثناء وباء الجدري شديد الوطأة سنة ١٧٢١ ، قد طعم ابنه الوحيد ، وولداً آخر وخادمين أسودين . أما أبناء « ماذر » الستة عشر ، فقد أصيب أربعة منهم بالجدري من قبل .

وتلى ذلك صراع صحفي بين « ماذر » و « جيمس فرنكلين » شقيق بنجامين فرنكلين المكتشف عامة الصواعق . واستمر ذلك النزاع بين أنصار الأول وأنصار الثاني . أولئك يؤيدون استخدام الطعم ، وهؤلاء يقاومون استخدامه ، وأنصار « ماذر » دينيون وقاط ، وأنصار « فرنكلين » علمانيون . وهذا من روايات التاريخ الفذة . واعظ ديني يؤيد العلم ، وعالم يؤيد الدين .

أخذت طلائع « المثالية الجديدة » تصون فكراً جديداً لحقوق الانسان، وتصوغ له الضمانات الكفيلة بالذياد عن حريانه من شتى ضروب العسف التي تنتاب المجتمع السياسي في فترات تدهوره وانتكاسه ، ومن ثم جازت الحضارة الانسانية ، بعد حقبة مديدة من الطغيان والجور ، بعصر « الفردية » التي تميزت بحقها المكتسب في أن تستقل باختيار لون الحياة التي تمكنها من استغلال قوى إنتاجها في محيط المجتمع . وقد كان لهذا الاتجاه الاجتماعي في مطالع القرن التاسع عشر ، رد فعل آخر أشد عمقاً وأقوى مظهراً من سالفه ، إذ انتظم الأفراد باعتبار أجناسهم ، وشمل الأجناس باعتبارها مجموعات سياسية ، ترغب في استكمال شخصياتها الدولية ، فانبعثت تيارات القومية من مهابها لتحقق وحدات الشعوب الأوربية المفككة ، ولتوجه السياسة العالمية وجهة جديدة منطرفة ، برزت خصائصها في أواخر القرن الماضي ، عند ما تلبدت في سماء الأفق الأوربي سحب الهجرة الى مناصرة الجامعات

العنصرية وجمع أشتاتها وتوجيه دفة السياسات القومية الى تحقيق برامج التوسع الاستعماري لاجتياز موارد الخامات [١].

وهكذا تمثلت فلسفة القوة من يومئذ في تيارين أصيلين كان لها طابع بارز في تكييف العلاقات الدبلوماسية بين أمم المجتمع الدولي حتى نشوب الحرب العظمى الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) . وقد تمثل أولهما كما ذكرنا في استفحال شأن « الشعوبية العنصرية » على حين اتخذ الآخر مظهر الرغبة القومية في التوسع والامتلاك ، حتى أطلق عليه كتاب السياسة في ذلك العصر « روح الامبريالزم » أو الرغبة في التسلط .

ولم يكن للعالم بدّ من أن يظفر طفرة معنوية جديدة يواجه بها رجحان كفة القوة رجحاناً ظاهراً على مثل الثورتين الاميركية والفرنسية ، ويستعيد بها استقراره الروحي في ظل مثالية جديدة تحقق له ما عجزت الفلسفة الثورية القديمة عن تحقيقه وتوطيده . وكان أن تمخض هذا التطلع والقلق عن عاصفة الحرب العظمى الماضية التي حاولت أن تُرسي من جديد قواعد الأخلاق ، لتقيم عليها هيكلاً جديداً لنظم السياسة القومية والعالمية معاً .

وخرجت أميركا من الحرب لتبشّر العالم المنزوف المحطم بـ «اليوتوبيا الولسونية» ذات الاربعة عشر مبدأ ، فكانت « مثالية » ذات شقين ، أحدهما قومي بحت ، ويتمثل في مبدأ « تقرير المصير » ، وثانيهما عالمي تحتضنه هيئة دولية عامة تضمّن ميثاقها ودستورها جملة الوسائل والأساليب المؤكّدة لاقرار السلام ، وإحقاق العدل وإشاعة الوفاق بين عامة الأمم المشتركة في عضوية هذه الهيئة ، التي سميت بعصبة الأمم .

وقد كانت العصبة بأغراضها الدولية الجديدة من نزع السلاح وتعزيز أساليب التقاضي والتحكيم والتطوّر الفقهي والاجتماعي بنظم الاستعمار ، نمطاً رفيعاً من فلسفة الأخلاق الدولية ومحاولة طيبة لطبّع السياسة العالمية بالتعاليم الانسانية النبيلة . ولكن فشلها الذريع في تحقيق رسالتها لم يكن في حقيقة وضعه سوى دليل بيّن على العجز أو القصور عن التوفيق بين فلسفة الأخلاق وفلسفة القوة ، أو بمعنى آخر ، بين النزعة المثالية وحقائق الواقع السياسية والاقتصادية التي يحفل بها المجتمع الدولي .

وإنهار التوازن العالمي مرةً أخرى واستشرت نزعات السلطان الفردي في الدول المغلوبة التي انطوت على نفسها لتستجيش دوافع القوميات وتلهب في الصدور عقيدة التعصب

(١) راجع الفصل الثاني والثالث من كتاب : E. Benes; Democracy To-day and To-morrow

العنصري، وتسخير الأخلاق الدولية وشتى وسائل التفوق المادي، لإذكاء شعلة الحماس الوطني وعمت الضمير الانساني حَيْرة مطبقة، جعلته يتلفت ملهوفاً على ما يُقيله من عثاره ويحفظ له ماينهار من تراثه الأدبي، وهكذا جاءت الحرب العالمية الحاضرة ضربة لازب لاقرار التوازن الدولي، مرة أخرى، بين فلسفة الأخلاق كما تفهمها الانسانية الجديدة، وفلسفة القوة في الحدود والضوابط التي ترسمها حقائق الواقع في تراكبها وتطورها.

وليس يدّعي أن تجيء هذه الحرب مبشرة بعهد جديد من فلسفة القوة، ولكنها ليست قوة القوميات أو الجامعات العنصرية، ولا قوة الفرد الطاغية الذي يتحكم في إرادة ملايين من شعبه، بل هي قوة « الدولة العالمية » أو الوحدة الأممية بين الشعوب التي تؤمن بأن وضعها من الحياة لايُفهم إلاّ على معنى المشاركة في إعزاز الأمن الدولي وتقوية مقومات الرخاء العالمي في سبيل النفع المشترك لشعوب البشرية كافة، بعد إذ آمنت بإفلاس تلك السياسة التي تقصد الى تخطيط مناطق النفوذ وسيطرة سيادة الدول العظمى على سيادة الدول الصغيرة.

وكان إعلان ميثاق الأطلنطي بمثابة مَطْلَع جديد لنظريات « الاكتفاء الذاتي » وسياسة « التجميع » ومدارات « المجال الحيوي » واستفحال شأن « السيادات القومية » وإيثار « سياسة المنزل » فلا جَرم عَدّه العالم بداية عهد جديد لمبدأ الصداقة مع التكافؤ في السيادات والتمتع بالنصيب المكافىء لرفع مستوى الحياة الانسانية في ظل اتحاد عالمي من جميع الأمم، يعالج مشاكل الحضارة من اجتماعية وسياسية واقتصادية ومالية وعسكرية، ويستمد سلطانه وكيانه من قوة الضمير الأدبي ممثلاً في اتجاهات الرأي العام العالمي كله.

بل تحت ما يؤكد هذا الاتجاه الاجتماعي نحو التضامن العالمي في أقوال رجالات السياسة الدولية وزعماء الأمم المتحدة، فما هو ذا المارشال سمتس يعالن العالم أجمع في المادة الأولى من تصريحاته عن أغراض الحرب، بوجوب « إلغاء عدم المساواة بين الأجناس ». ثم يدلي الرئيس روزفلت خلال بيان ألقاه عن مقترحات مؤتمر « دمبارتن أوكس » بأن « الهدف الأساسي للهيئة الدولية المقترحة هو الاحتفاظ بالسلم والأمن الدوليين، وإيجاد الظروف التي تحقق السلام وخاصة « ونحن نعرف الآن حاجة الشعوب المحبة للسلام إلى مثل هذه الهيئة، وإلى روح الاتحاد العالمي التي سيحتاج اليها في الابقاء عليها ».

وإذا كان الفيلسوف الانجليزي « برتراند رسل » في تحليله الفلسفي لمعنى « القوة السياسية » وآثارها في مجالات النشاط الدولي، قد ذهب إلى تقسيمها أقساماً ثلاثة، جعل

لكل قسم منها نتيجته المحتومة في مصير المجتمع الدولي [١] ، فإن « اليوتوبيا » السياسية الجديدة ممثلة في مؤتمر « دمبرتن أوكس » قد جعلت من خصائص هذه « القوة » وأقسامها سياجاً جديداً للتوازن الدولي، بعد أن صاغت له دستوراً يرفق، في وحدة شاملة، بين نزعات الانسان المثالية وحقائق العالم الوضعي ، وخاصة بعد أن أثبتت لنا تجارب الواقع السياسي خلال العقود الأربعة الأخيرة ، ان كل خطة لسلام العالمي يجب ، لكي تستقر وتحقق أغراضها ، أن تنهض على الحقائق كما هي، لا كما يريد خيال الساسة أن تكون .

فالقوة العسكرية التي عزا اليها « برتراند رسل » ، عند استفحالها وتفوقها، شرور الحروب ومضانكها ، هي في منطق النظام العالمي الجديد وسيلة من وسائل الأمن البوليسي أو ضبط الرقابة الجزائية الساهرة . فبهذا المعنى لم يعد ثمة مجال لفهم « الدبلوماسية » على اعتبارها « المقدرة على شن الحرب . ولم يعد ثمة مجال أيضاً لتزييف ما يزعمه هتلر وأضرابه من الدكتاتوريين، من أن الطاقة التي لا تنطوي في صميمها على نية القتال والحرب، هي عبث لا معنى له ولا غناء فيه » [٢]

كذلك لم يعد للقوة الاقتصادية غرض قومي يُستفيكم في حلقة مشتركة مع القوة العسكرية، أو بمعنى آخر لم تعد القوة الاقتصادية في منطق النظام الجديد، سنداً يظاهر القوة العسكرية لتؤدي أغراضها لحساب الوطن الواحد او لحساب محور عسكري واحد . وبالتالي لم تعد النظم الاقتصادية والسياسات التجارية، التي ترسم للشعب الواحد مجاله الحيوي، ذات طابع قومي، باعتبارها وظيفة طبيعية من وظائف الدولة تنفرد وحدها بوضع برامجها غير متقيدة بمقتضيات الرخاء العالمي او ضروراته !

وستتخذ السياسة الاقتصادية في النظام العالمي الجديد ثلاث مظاهر رئيسية :

فأولى هذه المظاهر هو اتاحة الفرص الاقتصادية للشعوب المحرومة من نصيبها في موارد العالم ، حتى تستطيع أن ترقى بمستوى الحياة عند شعوبها ، وتكون عاملاً هاماً في الاستهلاك والمقدرة على الشراء . أما ثانيها فهو محاولة إحلال التخصص الاقتصادي محل القومية الاقتصادية لتشجيع حركة المبادلات الدولية ، ويبقى المظهر الثالث : وهو يرمي إلى وضع اظم دولية مشتركة تكفل مراقبة أسواق العالم لصالح الأمم كافة .

وهنا يؤدي بنا البحث إلى القسم الثالث من أقسام القوة السياسية ، ونعني به قوة الرأي أو سلطان الفكر . ولقد كان عهد العالم باستغلال هذه القوة في ميدان النشاط الدولي على

(١) راجع B. Russel ; Power ; P 128 — 130.

R. G. Hawtrey ; Economic Aspects of Sovereignty . P 106 — 107

106 de 132 جزء

صورة منظمة خلال الحرب العظمى الماضية ، حينما اشتدت قوى الدعاية لخدمة أغراض الحرب ، ولإقناع الشعوب بوجاهة مطالب المحاربين وعدالتها ومدى اتصالها بمصير الانسانية وسعادة الجنس البشري . ولما نشبت الحرب الحاضرة كان سلاح الدعاية قد بلغ أوجه ، ونظمت له برامج واسعة ، ورصدت له ميزانيات ضخمة تكفلت بها وزارات خاصة ، وأصبحت الحرب في جوهرها عراكاً بين المبادىء والآراء في سبيل السيادة على توجيه حضارة العالم .

أما اليوم فقد آمنت أمم الديمقراطية المتحالفة بأن حرية الفكر يجب أن تكون في طليعة الأقانيم التي يستهديها العالم المتحضر في علاج مشكلاته القومية والعالمية ، ونادى رجالات السياسة الدولية بوجوب منح الصحافة في عالم الغد حرية شاملة تؤكدها ضمانات دولية قاطعة ، حتى تُصان حُرُمُها من نكسات الأهواء الفردية .

وهكذا يأخذ اتجاه السياسة الدولية طابعه الأصيل من «ميثاق الاطلنطي» ومقترحات مؤتمر «دمبارتن أوكس» ، [1] فتجيء عناصرها الانسانية ، في شتى نواحي الحياة الدولية المتضامنة تكملة مثالية لفلسفة النورتين الاميركية والفرنسية ، وتتطور في ظلها الدعوة إلى مناصرة حقوق الأفراد واعلانها ، إلى مناصرة حقوق الشعوب والأمم التي عقت الطغيان وتحاربه .

يقول المستر « إدوارد ستيتينيوس » وزير خارجية الولايات المتحدة . « إن الاتفاق بين الدول الكبيرة وكن أصيل للسلام ، ولكن الفرصة التي تتيح للدول الصغيرة في خطة « دمبرتون أوكس » أن تقف من الدول الكبيرة ومن مسلكها موقف المراقب المحاسب ، هي بلا ريب أعظم كثيراً مما يتاح لها في عالم غير منظم متروك نهباً لعوادي المعتدين » .

لقد جاءت المرحلة الحاسمة التي يتخلص فيها العالم ، ممثلاً في سياسته العالمية الجديدة ، من أوهام الفوارق العنصرية والنعرات القومية والتعصب الثقافي . فهل يستطيع أن يدلل بالعمل بعد القول ، على انه أهل لاعتناق هذه المثل العليا الجديدة فتقيله من عثاره ، وتشيع المحبة والوئام بين أبنائه في الشرق والغرب ، أم ما زال يعوزه هذا النضج الروحي لبناء عالم الغد ، عالم الأخلاق الدولية النبيلة من الضمير الانساني الحر ؟

إن جواباً شافياً على هذا معقود على نتائج مؤتمر « سان فرنسسكو » الذي سينعقد في الخامس والعشرين من هذا الشهر .

صلاح الدين الشريف

(١) راجع هذه المقترحات في نشرة الترجمة التي تصدرها مكتب الاستعلامات الاميركي .

الابتلاء بالملك

عن عمر بن عبد العزيز لما وَلي الخلافة :

« أيها الناس : إني قد ابتليتُ بهذا الأمر[1] عن غير رأي كان مني فيه ، ولا طِلبَة ، ولا مشورة من المسلمين . وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بَيْعَتي ، فاختاروا لأنفسكم .

فصاح الناس صيحة واحدة : قد اخترناك يا أمير المؤمنين ، ورضينا بك . فمضى يقول :

« أوصيكم بتقوى الله ، فإن تقوى الله خَلَفٌ من كل شيء . وليس من تقوى الله ، عزّ وجلّ ، خَلَف . إعملوا لآخرتكم ، فإنه من عمل لآخرته كفاه الله ، تبارك وتعالى ، أمر دنياه . واصلحوا سرائركم ، يُصلح الله الكريم عَلانِيَتَكُم . وأكثروا ذِكرَ الموت ، وأحسنوا الاستعداد ، قبل أن ينزل بكم . فإنه هادم اللَّذات . وإن من لا يذكر من آبائه ، فيما بينه وبين آدم ، عليه السلام ، أباً حيّاً ، لَمُعرِقٌ في الموت . وإن هذه الأمة لم تختلف في ربها عزّ وجلّ ، ولا في نبيها صلى الله عليه وسلم ، ولا في كِتابها ، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم . وإني والله لا أعطي أحداً باطلاً ، ولا أمنع أحداً حقّاً . إني لست بخازن . ولكني أضع حيث أُمِرتُ . أيها الناس : إنه قد كان قبلي ولاةٌ تَجتَرُّون[2] مودتهم بأن تدفعوا بذلك ظُلامَهم عنكم . ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . من أطاع الله ، وَجَبت طاعته . ومن عَصى الله ، فلا طاعة له . أطيعوني ما أطعت الله فيكم . فإذا عَصَيتُ الله ، فلا طاعة لي عليكم .

عن ابن الجوزي وابن عبد الحكم ، من سيرة عمر بن عبد العزيز

(١) أي بالخلافة (٢) تجتذبون

اصلاح الخط

العربي

— ٢ —

٥ — اقتباس الاتراك الخط اللاتيني

ربَّ متسائل كيف استطاع الاتراك اذاً أن يبدلوا حروفهم من العربية الى اللاتينية ؟ واننا اذ نجيب عن هذا السؤال لا بد لنا من الاشارة الى ان الدافع الذي حدا بالاتراك الى تبديل حروفهم لم يكن لغوياً بحتاً . بل كان من جملة الدوافع ، رغبة الاتراك في الانقطاع عن الشرق ، وفصم علاقتهم بالمدنية العربية واللحاق بالغرب . أما نحن العرب فلست أرى ما يدعونا الى أن نحذو حذو الاتراك في هذا . فنحن وان كنا نريد اقتباس الشيء الكثير من الغرب ، لا نريد أن نفصم علاقتنا بماضينا ومدنيتنا وعجدنا حتى ولو كان ذلك في الامكان.

هذا بعض الجواب . والبعض الآخر مستمد من بحثنا الذي أسلفناه . فالحق ان اللغات التركية والفارسية والأفغانية والأردية ، لغات غير سامية ، تختلف عن هذه كل الاختلاف. والخط العربي دخيل عليها كما كان الخط الهجائي دخيلاً على اللغات الاوربية في أصله . ففي اللغة العربية أصوات غير موجودة فيها ، كما ان فيها اصواتاً غير موجودة في اللغة العربية. فلما جاء الاتراك الى الشرق الأدنى في إبان الدولة العباسية واعتدها واقتبسوا من الأمة العربية الدين والمدنية ، اقتبسوا أيضاً خطها وكثيراً من مفرداتها حتى أصبح ما يزيد على نصف المفردات التركية عربيًّا . ولما كان الكثير من هذه المفردات ينطوي على حروف لا يستطيع الاتراك التلفظ بها كالحاء والخاء والذال والظاء والعين والقاف ، ولما كانت عند الاتراك أصوات لا توجد لها رموز في الخط العربي كالپا والچيم والثاء والكاف والـ ö والـ ü والـ ğ كان من الطبيعي أن يحدث شيء غير قليل من التبديل في اللغة التركية . ولا يضاح ذلك نأخذ الكلمتين اليونانيتين : خلق وخلق . فمن فيهما ثلاثة حروف لا يستطيع الاتراك لفظها جيداً . فهم يلفظون الحاء والخاء كالهاء أو قريباً منها ، ويلفظون القاف مثل الكاف أو قريباً منها . ولذلك يصبح لفظ الكلمتين مثل لفظ كلمة هلك ، وفي ذلك

ما نبه من التبليل . ومثل ذلك كثير في اللغة التركية إذا ما كتبت بالحروف العربية . واذا كان الاتراك قد حلوا مشكلة الباء والجيم والفاء بوضع ثلاث نقاط تحت الباء والجيم وفوق الفاء وحلوا مشكلة الكاف بوضع خط زائد على الكاف، إلا أنهم تركوا أصوات o و e و é دون رموز خاصة . ذاذا أضفنا الى هذا التبليل في الاصوات اختلاف شكل الحرف العربي بحسب موقعه في الكلمة، وفقدان الحركات منه ، قدرنا ان نفهم ان الخط العربي لم يكن ملائماً للغة التركية كل الملاءمة، وقد يكون للاتراك شيء من العذر في محاولتهم ترك الخط العربي .

٦ — الاقتراحات[1]

نخلص من هذا البحث المسهب اذاً الى النقطة الاساسية التي بدأنا بها ، وهي ان الخط العربي خير ما تكتب به اللغة العربية . فانه مؤسس على أساس صوتي قويم تطابق حروفه أصواته أشد المطابقة ، ما عدا شواذ قليلة جداً ، وانه نشأ وترعرع مع نشوء اللغة العربية وأخواتها الساميات ، وأنه مستمد من طبيعتها منطبق طبعها . وقد أدخلت عليه في صدر النهضة العربية الاسلامية تعديلات جعلته أقدر على كتابة الالفاظ العربية من قبل، دون أن تبدل في جوهره وأساسه . وإذا كانت فيه مشكلات اليوم، فعلينا حلها باصلاحه بنفس الروح التي أصلح بها من قبل ، أي بتعديله في تفاصيله دون أن يمس ذلك على هدم أساسه القويم . واني لمقترح في هذا المقال مثل هذه التعديلات البسيطة في ذاتها ، ولكنني أعتقد انها تحل لنا جانباً مهماً من مشكلات الخط العربي دون أن تمسه في جوهره . وهي ابساطتها وقلة تبديلها في الخط الحاضر قد تكون أقرب الى أن يقبلها الجمهور العربي دون كثير تردد . وسأجمع هذه الاقتراحات حول نقاط خمس : (أ) تعديل أشكال الحروف . (ب) الحركات (ج) كتابة الهمزة (د) اضافة بعض الحروف والاصوات الجديدة التي تتطلبها العلوم الحديثة كما يتطلبها احتكاكنا بالعالم . (هـ) بعض الاقتراحات في تحسين الاملاء . ولا بد لي من القول انني لا أدعي لهذه الاقتراحات ابتكاراً ولا أية صفة نهائية، بل هي اقتراحات مبدئية وضعت لغرض الدرس والمناقشة ، ولغرض بيان وجهة نظر فرد من الافراد في الاتجاه الذي يمكن أن يتخذه اصلاح الخط العربي .

(أ) تعديل أشكال الحروف

الاكتفاء بشكل واحد لكل حرف

يتغير الحرف العربي بحسب موقعه في الكلمة أي تبعاً لكونه منفصلاً أو واقعاً في

---

١١ تستمد من هذه الاقتراحات في الاصل ان تطبق على حروف الطباعة . اما حروف الخط اليدوي فقد نجد ان لا تبقى كما هي الآن . ولكنا نظن ان يتفشوا فيها ما نقترحه .

أول الكلمة أو وسطها أو آخرها. ولذلك فلبعض الحروف شكلان على الأقل، ولمعظمها أربعة أشكال أو أكثر بحيث يبلغ مجموع أشكال الحروف نحو المئة شكل. فاذا اعتبرنا أن كل واحد من هذه الأشكال قد يكون مفتوحاً أو مضموماً أو مكسوراً أو ساكناً أو مشدداً أو منوناً بالفتح والضم والكسر، أو منوناً مع التشديد اجتمع لدينا أكثر من الف وثلاثمئة شكل تضطر الطبعة العربية على الاشتمال بها. ولما كانت جميع هذه الأشكال لا تتوفر الا في القليل من المطابع العربية، نتج عن ذلك عادة اغفال الحركات حتى في الحالات الضرورية.

ولا تنحصر الصعوبة في المطابع فقط، ولكن هذا التلون في الحرف العربي، يكوّن أعظم مشكلة تعليمية على الاطفال والمعلمين في السنوات المدرسية الاولى. وليست الصعوبة أقل بكثير على الأميين الذين يتعلمون القراءة والكتابة وهم في سن الرشد. حتى يصح أن يقال إن هذه الحالة في الخط العربي هي من أهم العوامل التي تؤخر حركة مكافحة الأمية وانتشار القراءة والكتابة بين أبناء أمتنا صغارهم وكبارهم. وقد آن الأوان لاصلاح هذه الحال واصلاحها ميسور غير صعب. والغريب أنه لم يجر حتى الآن رغم بساطته. وما هذا الاصلاح الذي نشير اليه إلاّ الاكتفاء بشكل واحد من أشكال الحروف العربية بدلاً من أربعة أشكال.

وقد خطا صانعو آلات الكتابة العربية الخطوة الأولى في هذا الضمار، إذ اقتصروا من أشكال الحروف على اثنين، هما شكل الحرف الكامل وشكله في اول الكلمة (ب، بـ مثلاً) واستغنوا عن النوعين المتصلين من الحروف (ـب، ـبـ مثلاً) بأن جعلوا كل حرف يتصل بما بعده اتصالاً مباشراً. وهكذا أنزلوا اشكال الحروف العربية من المئة الى أقل من الخمسين، على أنهم لم يعالجوا مشكلة الحركات، بل أهملوها بتاتاً وأصبحنا لا نستطيع تشكيل الكلمات عند كتابتها على الآلة الكاتبة. وهكذا مشوا في اصلاحهم الى منتصف الطريق فقط.

وقد آن لنا أن نخطو الخطوة الثانية التي يقتضيها المنطق في تبسيط الخط العربي، وهي أن نكتفي من الحروف بشكل واحد هو شكل الحرف في أول الكلمة. فنكتب الباء بـ، والجيم جـ، والسين سـ، والصاد صـ، والعين عـ، والفاء فـ، والكاف كـ، واللام لـ، والميم مـ، والنون نـ، والهاء هـ، والياء يـ، مهما كان موقعها في الكلمة، أي سواء أكانت منفصلة أم جاءت في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها. ونكتب كل واحدة في الكلمات التالية على الطريقة المذكورة أدناه (الرسم ٢): (١)

(١) شكر الاستاذ منح الراعي رئيس تحرير جريدة الاسبوع الرياضي في بيروت كتابته لنماذج الحروف المقترحة بخطه الجميل مما رأيته في رؤوسها، كما شكر التلميذي الناشئين السيدين كمال الميوري وخليل اسماعيل المختار كتابتهما لبعض الأمثلة التالية.

الطريقة الحاضرة : مجالس يعرب مقام ملك يحزن دونه

الطريقة المقترحة : مجلس يعرب مقام ملك يحزن دونه

الطريقة الحاضرة : ينفذ عليّ قراءة سميع صحيح

الطريقة المقترحة : ينفذ عليّ قرائة سعيد صحيح

(الرسم ٢)

إننا بهذا الاقتراح لا نكون قد فعلنا أكثر من حذف الزوائد التي تشوب الخط العربي، وتجعله من الخطوط المعقدة الصعبة ، وإبقاء أساس الحروف وجوهرها . أي اننا نكون من جهة قد حذفنا الوصلات التي تصل الحروف بما قبلها وجعلنا الحروف تتصل بعضها مع بعض اتصالاً مباشراً ، ومن جهة أخرى نكون قد حذفنا أذناب الحروف وأبقينا أوائلها التي بها تتميز الحروف عن بعضها . وليس من الصعب على المرء أن تصب الحروف بطريقة تجعلها تتصل بعضها ببعض عند الصف في المطابع . وإذا نجح أصحاب آلات الكتابة في ذلك فلا سبب لعدم النجاح فيه في الطباعة أيضاً .

ولاقتراحنا هذا البسيط عدة مزايا : (١) انه يسهل الطباعة العربية ، فبدلاً من مئات الاشكال من الحروف يقتصر منها على عدد يساوي حروف الهجاء (٢) انه يسهل تعلم القراءة والكتابة، إذ ليس على المتعلم إلا أن يتعلم شكلاً واحداً لكل حرف، وبذلك نحل مشكلة مهمة من مشاكلنا التعليمية (٣) انه يجعل الكتابة العربية من أبسط الكتابات بين اللغات ان لم نقل أبسطها (٤) إنه رغم هذا التسهيل وهذه البساطة ، يحتفظ بجوهر الخط العربي فلا يحدث فيه تبديلاً عظيماً . (٥) في الامكان عمل الحروف في الطباعة على الطريقة التي نقترحها بحيث تكون إما متصلة بعضها ببعض، كما هي الحال في حروفنا الحاضرة ، أو منفصلة فصلاً خفيفاً بحيث يسهل تعلم القراءة على المبتدئين .

ولعلّ معترضاً يقول : انك نزعت من الخط العربي جماله . والجواب أولاً : ان الجمال أمرٌ نسبي ، يعتمد على الالفة والتعوّد الى حد بعيد . ولا شك عندي انهُ بعد أن يألف الناس هذا الشكل الجديد من الحروف ، سيجدون فيه بالتدريج شيئاً من الجمال : وثانياً لا شك

عندي أيضاً ان الخطاطين والطباعين سيصنعون على مرور الزمن أساليب جميلة لكتابة هذه الحروف . وثالثاً ان ما نتوخاه من الفوائد في تبسيط الكتابة وتسهيل تعلم القراءة ، يبرر تضحية شيء غير كثير من جمال الكتابة .

(ب) الحركات

سبق لنا أن أشرنا الى النقص الذي يُشَوِّه به البعض في الكتابة العربية ، وهو ان الحركات لا تكتب في صلب الخط ، بل تضاف اليه اضافة ، بل هي تهمل في معظم الأحيان حتى أن الضليعين في اللغة أنفسهم قلما يسلمون من اللحن أو الخطأ في القراءة . ولا بد لنا من التسليم بصحة هذا النقد للخط العربي الى حد ما ، فان معاني الكلمات قد تختلف في اللغة العربية باختلاف حركة واحدة . أضف الى ذلك ان أواخر الكلمات تتبدل حركتها تبعاً لموقعها من الاعراب . وهذا يوقع القارىء في اللحن المعيب المستهجن عند العرب ، وقد يؤدي الى سوء الفهم في بعض الأحيان . ولست بحاجة الى ضرب الأمثلة على هذا الأمر فهو معلوم ، وهو شيء لا تنفرد به العربية ، بل هو موجود في اللغات السامية الأخرى . وإذا علمنا اننا في الدراسة الابتدائية لا نستطيع تعليم جميع قواعد اللغة العربية ، فضلاً عن تطبيقها على حسن القراءة والالقاء . واذا علمنا أننا لا يمكن أن نلقن للطلاب في ستة صفوف ابتدائية شوارد اللغة ومفرداتها وقواعدها إلى حدٍّ كافٍ ، علمنا انه إذا بقيت طريقة كتابة الحركات على ما هي سيبقى السواد الأعظم من الشعب الذي لا يدخل أكثر من المدارس الابتدائية محكوماً عليه بعدم المقدرة على القراءة المضبوطة دون لحن ، بل سيبقى المتعلمون فوق التعليم الابتدائي معرَّضين إلى اللحن والخطأ في القراءة بصوت جهوري . وهذا ما يدعو إلى التأمل والتفكير .

لعجل لا بد لنا من التسليم بهذا النقص في الخط العربي ، ولكن لا بد لنا من القول أيضاً إن في هذا الرأي شيئاً من الغلوّ . ونحن أغلب ما نسمعه من الأجانب ، ومن كل من يضطر إلى تعلم العربية كبير السن ولم يرضع العربية منذ نعومة أظفاره . اما الذي تكون العربية لغة الأم عنده وينشأ عليها ، فانه يجتمع لديه زاد من الوف الالفاظ العربية التي يتعلمها بالسماع . وقلما يخطىء في قراءتها فلا تراه يدعو الكلب « كِلَباً » ولا البئر « بَئْراً » لانه تعلم هذه الكلمات على الوجه الصحيح فأصبح يلفظها بسليقته . كما انه يستعين بالمعنى عادةً في الاستدلال على صحة لفظ الكلمات . وهذان الأمران لا يستطيع الأجنبي عن اللغة العربية القيام بهما بسهولة . فالمشكلة تنحصر على الأغلب في لفظ أواخر الكلمات التي تتبدل تبعاً للاعراب ، وفي المفردات التي لا ترد في اللغة اليومية عادةً ، وفي المفردات التي تتعارض فيها

اللغة العامية مع اللغة الفصحى ، وفي مضارعات الأفعال الثلاثية ، وذلك في القراءة الجهورية على الأغلب . أما في القراءة الصامتة — ومعظم قراءتنا صامتة — فالانسان لا يجد عادة صعوبة في القراءة والفهم سواء أوجدت الحركات أم لم توجد . هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى ، إن عدم وجود الحركات في الخط العربي ، هو في الوقت نفسه مزية من مزاياه إذ هو اقتصاد في الجهد الكتابي ونوع من الاختزال . وهو الذي يجعل أحدنا حين كتابة خطاب أو مقال ، يستصعب تشكيل كل حرف مما يكتب ، بل يجد سهولة كبيرة في الكتابة باهمال الحركات .

أما في الطبع ، فلا شيء يمنع الطابعين نظريًا من تشكيل كل حرف . وإذا كانوا يمتنعون الآن عن ذلك في الغالب ، فلأن الجمهور أولاً لا يلح في طلبه . وثانياً لأن طريقة سبك الحروف الحاضرة عقيمة تضطر الطابع الى شراء كميات زائدة من الحروف . فان الحروف تسبك الآن وحركاتها منفصلة بها فيجبر الطابع أن يشتري من حرف الباء مثلاً عدة أشكال أولية ووسطية وأخيرة ومنفصلة ، وكل واحدة من هذه يجب ان يقتنيها بضم وفتح وكسر وسكون وشد وتنوين فتح أو ضم او كسر وتنوين مع التشديد . وفي هذا ما فيه من الاسراف من جهة والصعوبة في صف الحروف من جهة أخرى .

ان هذه المعضلة في الخط العربي دعت بعض الكتّاب الى أن يعرضوا اقتراحات مختلفة لمعالجتها . وأهم هذه الاقتراحات ، فكرة استبدال الحركات بالحروف ، فنكتب الفتحة انتا والضمة واواً والكسرة ياء وتضاعف هذه الحروف عندما تكون الحركة ممدودة أيّ حرف علة . وهكذا نكتب «كتابا» بدلاً من كَتَبَ «والكاتبون» بدلاً من الكاتب الخ .

ونحن لا نرى هذا الاقتراح موفقاً لثلاثة أسباب : أولاً لأنه يكاد يضاعف عدد الحروف في الكتابة ، فيذهب باحدى مزايا الخط العربي وهي اختصاره .

وثانياً : لأنه يثير لنا مشكلة جديدة هي أعقد من مشكلتنا الحاضرة . واليك البيان : لقد كان في الامكان تطبيق مثل هذا الاقتراح لو ان الجمهور العربي بقي على لغته وسليقته الأولى في الجاهلية وصدر الاسلام ، ولم تبتعد لغته العامية عن لغته الفصحى هذا البعد الذي نجده اليوم ، وبهذه اللهجات المختلفة المتأصلة في كل قطر من الأقطار العربية ، بل في كل جزء من كل قطر . أما والحالة كما هي عليه اليوم ، والجمهور العربي ذو لهجات عامية مختلفة ، وأغلبه أمي ، والمتعلم منه لا يتقن قواعد النحو والاعراب ، فالأمر غير ذلك . إن نسبة المتعلمين عندنا ما زالت قليلة ، ونسبة من يتقن قواعد اللغة واعرابها اتقاناً جيداً قد لا تزيد على الواحد أو الاثنين في المئة من المتعلمين . والمتصور أنصاف المتعلمين ، هؤلاء يحاولون وضع الحركات

حروفاً في أواسط الكلمات وأواخرها ، نفقه حينئذٍ مقدار الاخطاء والتبديل الذي سيطرأ على كتابة أغلب الناس ، وخاصة في مكاتباتهم الخصوصية ، كما نفقه حيرة القارىء لمثل هذه الكتابة الخاطئة . إن القارىء العربي اليوم لا يجد صعوبة كبيرة في قراءة ما يكتب له إذا كان قريباً عن مداركه ، ولا يجد ضيراً في تسكين الاواخر ، فيسلم بذلك من معظم الاغلاط وهو يستطيع كتابة رسالة الى صديقه دون تشكيل ، ويسلم من معظم الاخطاء أيضاً . أما إذا طلب منه تثبيت حركة كل حرف مما يكتب ، بطريقة الحروف أو بغيرها . فهناك الصعوبة ولا شك انها ستكون أشد وقعاً عليه ، وعلى من يقرأ كتابته من طريقة الكتابة الحاضرة .

وثالثاً : ان هذا الاقتراح ، وكل اقتراح غيره يحاول تثبيت الحركات برسمها حروفاً ، لا يلتئم مع طبيعة اللغة العربية خاصة وطبيعة اللغات السامية عامة . إن اللغة العربية لغة اشتقاقية في الدرجة الاولى . وهذا الاشتقاق يحدث بواحدة من طريقتين على الاكثر ، الاولى : وهي الغالبة هي طريقة التلاعب بالحركات ، سواء أكانت حركات قصيرة كالفتحة والضمة والكسرة والسكون ، أو ممدودة كالالف والواو والياء ، ويتبع ذلك تشديد بعض الحروف الصحيحة . فنشتق من وزن فَعَلَ مثلاً الاوزان الآتية : فَعُلَ ، فَعِلَ ، فَعِلَّ ، فَعَلَّ ، فُعُلَّ ، فِعِلَّ ، فَعَّل ، فُعَّل ، فِعَّل ، فَعَال ، فُعَال ، فَعيل فَعْيَلٌ ، فُرعِلَ ، فَعولٌ ، فُعولَ ، فَعَّلَ ، فُعَّل ، فعّال ، فِعّيل الخ . والملاحظ في هذه المشتقات انها كلها لم تزد حرفاً صحيحاً على الاحرف الثلاثة الاولى ، وإنما تبدلت حركاتها القصيرة أو الطويلة (أحرف العلة) أو شدّد أحد حروفها الصحيحة وليس التشديد إضافة حرف جديد بل مجرد توكيد حرف من الحروف . والطريقة الثانية للاشتقاق العربي هي زيادة حروف صحيحة في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها . وعن ذلك بعض أوزان الافعال المزيدة كافعل ، انفعل ، افتعل ، استفعل . أو بزيادة الميم في الاول كمفعل ومفعول ، أو بزيادة التاء في الاخيرة كفعلة . أو بزيادة الميم والتاء معاً كمفعلة الخ . ولنلاحظ أيضاً ان هذا النوع من الاشتقاق يرافقه كذلك تلاعب بالحركات القصيرة أو الطويلة كالاشتقاق الاول فنقول : مَفعَل ، مُفعِل ، مِفعَل ، مِفعال مَفعيل ، مِفعيل ، مفعول مفيعل ، مَفاعل ، مُفاعِل ، مُفاعَل ، مفاعيل ، مَفعلة ، مِفعلة الخ . وصفوة القول ان الاشتقاق العربي يحدث في الغالب بالتلاعب بالحركات ، وذلك بادخال الحركات المختلفة على الحروف الصحيحة الاصلية أو المزيدة في اول الكلمة أو وسطها أو آخرها . أي ان الكلمة العربية مرنة مائعة تتبدل طوع رغبة الانسان يشكلها كما يشاء وكما تشاء المعاني التي يريد التعبير عنها .

وليس هذا شأن الكلمة في اللغات الغربية . فان الكلمة الاصلية في اللغات الاوربية جامدة

لا تتغير مادةً وانما يحدث الاشتقاق منها إما باضافة حروف في أولها (Prefix) كقولك enter, reenter في الانكليزية و Pressentir, sentir في الافرنسية و Versuchen, Suchen في الالمانية . أو باضافة حروف الى آخر الكلمة Suffix كقولك commandant, commanding, commander, command الخ أو بوصل كلمتين أو أكثر بعضها ببعض كقولك في الانكليزية handbook وفي الافرنسية Portefeuille وفي الالمانية Dachshund . وأنت ترى أن الكلمة في اللغات الأوربية تبقى ثابتة لا تتبدل في جوهرها، سواء أكان ذلك في حروفها الصحيحة أم في حروف العلة . ولذلك كان من الطبيعي ان تثبت فيها عند الكتابة حروف العلة مع الحروف الصحيحة . أما الكلمة العربية، فلا تثبت فيها الا حروفها الصحيحة . أما حروف العلة (الطويلة والقصيرة) فهي في تبدل مستمر لا تستقر على حال . ولما كانت حروف العلة (عدا فيها الحركات) ليست من الناحية الصوتية حروفاً مستقلة بل هي نوع من المد يدخل على الحروف الصحيحة ، ولا يمكن لفظها لوحدها دون اتصالها بالحروف الصحيحة ، لذلك كان من الطبيعي للعرب والساميين القدماء ، ان يحذفوا في كتاباتهم القصيرة منها ، أي الحركات . واذاً فحذف الحركات في الكتابة العربية أمر مساوق لطبيعة اللغة العربية، مستمد من هذه الطبيعة . ولنلاحظ ان معنى الكلمة في الجملة يقرر حركتها ، بقدر ما يساعد وجود الحركة عند الضرورة على فهم المعنى . وقد شكا البعض من أن القارىء العربي مضطر الى فهم المعنى أولاً قبل أن يستطيع تشكيل ما يقرأ على العكس من القراء في اللغات الأخرى ، وعزوا ذلك الى نظام الكتابة باهمال الحركات، والواقع انه ناتج عن طبيعة اللغة وتركيبها، وانما وضع نظام الكتابة موافقاً لهذا التركيب . ولن يغنينا تبديل نظام الحركات في الخط العربي غناءً كبيراً، ما دام نظام اللغة الأساسي كما هو .

وصفوة القول ان نظام الحركات في العربية أمرٌ مستمد من طبيعة اللغة وفيه حكمة أقل ما يمكن أن يقال فيها ، إنها تختصر الكتابة على الكاتب . والاستغناء عن نظام الحركات والاستعاضة عنها بعلامات أو رموز ثابتة ، يرقمنا في مشكلة هي أشد وقعاً من مشكلتنا الحاضرة .

واذاً فما العمل ؟ أنبقي القديم على قدمه ببقاء نظام الحركات على ما هو ؟ ان في ذلك ولا شك تجاهلاً لا مسوغ له لمشكلة الحاضرة ، وهي مشكلة اللحن ، ومشكلة التباس المعنى أحياناً على القارىء . فلا بد اذاً من ايجاد علاج يخلصنا من هذين العيبين . ولعلّ في الاقتراحين التاليين ، ما يخفف هذين العيبين ، إن لم يزلهما بتاتاً . أما الأول فهو ان يقلع الكتاب والمطابع عن عادة إغفال الحركات اغفالاً تاماً فيضعوا الحركات في الكتابة

والطباعة حيث تقوم لها حاجة فنضم الحرف الأول من الفعل المبني للمجهول في قولنا «ضُرب الرجل» لكي لا يقرأه القارىء مفتوحاً فيتبدل المعنى، ونفتح الراء الوسطية من فعل عرَف، لأن أغلب الناس يقرأونها بالكسر خطأً، ونضم ياء المضارعة في مضارع وزن أفعل، لأن أغلب الناس يفتحها خطأً. ونضع تنوين الفتح على التاء في قولنا «ان في الاتحاد لقوةً» لأن الكثيرين يخطئون في نصب اسم إن المؤخر إلى ما هنالك من عشرات الأمثلة. ويجب أن يتعوَّد الكتَّاب والطابعون الدقة في هذا الأمر فلا يهملونه. على ان هذا يقتضي أن تقتني المطابع مجموعات كاملة من الحروف المشكلة (عدا غير المشكلة) بجميع قياساتها. وبما ان عدد الحروف في كل مجموعة يقرب من الألف والثلاثمئة حرف، ففي هذا من الاسراف ومن التكاليف ما لا تستطيع تحمله إلاَّ المطابع الكبيرة. ذلك أن الطريقة الحاضرة القائمة في صب الحروف والشكل في عينة واحدة طريقة سقيمة، وهي عدا ما فيها من الاسراف متعبة للطابع العربي تجعل علم الطباعة من أصعب الأمور على العامل. وهنا يأتي الاقتراح الثاني بشأن الحركات، وهو فصل الحركات عن الحروف في الطباعة واعتبارها كأنها حروف مستقلة تصب لوحدها وتصف مع الحروف (انظر الرسم ٣)

كيفيَّة وضع الحروف والحركات في الطبَّاعة

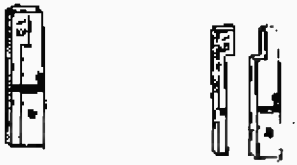

(رسم ٣)

ان مزية هذا الاقتراح انه يمكننا من وضع الحركات أينما شئنا ومتى شئنا ومهما كان مقياس الحروف (البنط) إذ أنه سيكون لكل مجموعة من الحروف حركاتها المستقلة تستعمل عند الحاجة. فان أردنا، جعلنا كل حرف مشكلاً ودعنا بذلك كل لبس كما في طبع القرآن الكريم أو بعض الكتب المدرسية. وان شئنا لم نشكل إلاَّ الأمر اليسير من الحروف عند الضرورة. وهكذا تكون قد أبقينا اختصار الخط كما هو، وسهلنا وضع الحركات تسهيلاً عظيماً فيصبح من اليسور اقتناء المطابع لها واستعمالها دون كثير من النفقات.

ان في اقتراح الاكتفاء بشكل واحد لكل حرف من الحروف العربية وفي اقتراح

فصل الحركات من الحروف لافتقاداً هائلاً للطابع العربية . ذلك ان عدد الحروف لن يزيد على الخمسة والثلاثين حرفاً وعدد الحركات مع التنوين والتشديد هو ثلاث عشرة حركة ، فان أضفنا إلى ذلك النقطة والنقطتين والفارزة وعلامة السؤال الخ وجدنا ان مجموعة الحروف ستتراوح بين السبعين والتسعين حرفاً ، وهذا العدد هو واحد من عشرين من عدد الحروف في المجموعات الحاضرة الشكلة تشكيلاً تاماً . وللقارىء أن يتصور مقدار تسهيل تعلم فن الطباعة على العمال وما يرافقه من انخفاض في عدد الأغلاط المطبعية ، التي لا تسلم منها أية مطبعة عربية اليوم مهما كانت متقنة .

دكتور مني عقراوي
عميد دار المطبعين العالية ببغداد

ابن ملك وعالم

ان تصور عمود الصواعق الذي يمنع الساعة من أن تحل بالاحياء والمؤسسات المدنية ، قد طاف ببعض بنجامين فرنكلين عندما أتى على درس تأثير التقصبان المدنية المدببة في اقصاء السكهربية أو تفريغها . ولقد نقلت الجزر البريطانية آباءه الانجليز المهاجرين الى أميركا فأدخلت مواقع الصواعق في بلادها . ولكن بعض علمائها كانوا يفضلون العمدان ذوي الرءوس المكورة ، على ذوي الرءوس المدببة ، في اجتذاب الكهربية الجوية .

وقام النزاع بين جدران الجمعية الملكية ، وامتد الى البيوت والمشارب ، حتى تدخلت الحكومة سنة ١٧٧٢ طالبة فض النزاع . فألفت لجنة للفحص والحكم في الموضوع . وانتهى بحثها بتقصي أربعة بأفضلية العمدان المدببة ، ولكن خامسهم « بنجامين وليون » كتب تقريراً منفرداً أيد فيه العمدان المكورة الرءوس . ومن ثم انتقل النزاع من ميدان العلم الى ميدان السياسة .

كان « بنجامين وليون » من أصدقاء الملك جورج الثالث الاخصاء ، وكان فاتحاً من نجح المنصرين في الناحية الاخرى من المحيط . وكان فرنكلين في نظره ثائراً خارجاً على الامبراطورية . وتدخل الملك في الامر ، وأشار الى سير « جون بريجل » رئيس الجمعية الملكية ان يؤيد القائلين بأفضلية العمدان المكورة . ولكن هذا العالم الجليل قد أبان لجلالة ملكه في أدب واحترام ، انه بالرغم من رغبته الاكيدة في ارضائه « لا يستطيع أن يغلب أوضاع الطبيعة »

فغضب الملك من وقاحة العالم وأمره ان يستقيل فاستقال . ومن أجل ان يظهر لرجال العلم ان عنادهم لا يفيد ، استبدل العمود المدبب الذي كان يحمي قصر « كيو » بعمود مكور . أما فرنكلين نفسه فتوارى مستخفياً ، لكي لا يغضب الملك ، ولا يثابر بالعلم .

كلمة الشاعر*

اللغة نشاط من حيث إنها إفصاح . والإفصاح ذهن يتحرك : هو فكرة أو صورة تسعى من المعقول إلى المحسوس . وعلى قدر تلك الحركة ينبض التعبير . والحركة لا تكون في حدود الجامد . ومن جوامد الكيلم تلك الجمل المطروقات على دوران الأيام حتى إن مفاداتها ركّت وغاياتها كلّت . فهي العصبويات في قوالب من حديد صدئ يستعصي على التبدل والصقل ، والتصويات كالوساوس في وجه استقلال القلم . ووالله لولا سلطان هذه المطروقات الباغيات ما ضؤل أكثر من نصف شعرنا القديم ولا انحسب جلّ شعرنا الحديث

ولو لم تكن اللغة حركةً ما خرجت ألفاظٌ من مدلولٍ إلى مدلول بحسب ما يطرأ على القوم في مرافق عيشهم ومسالك فكرهم . فحالُ القوم حال الألفاظ . ألا تذكرون لمحة أبي العلاء :

والبرايا لفظُ الزمان ولا بدّ له من تغيّرٍ وانقلاب

هذا ، ولغة الشعر على التخصيص ذاهبة في الحركة ، لأن الشعر فيضان ورجفان ، فإما أن ينزل المعنى من أعالي الأفق ، وإما أن يختلجَ الشعور في أقاصي الضمير : هنا ارتقاب الجائل في الأغوار ، وهناك استسلام إلى السائل من الأفلاك . هكذا الشعر : عمق ونور ، جوهرهما النقاء ، أعني الخلاص من الكثافة والكدارة . وإنما أصل النقاء صدقٌ ولطفٌ ، فالجولان في الضمير شرطه الصدق ، وأما اللطف فشرط السبل من الأفق .

لذلك تتميز لغة الشعر من لغة النثر : هذه يثقلها التعقل ، وتلك يُغفلت بها الوجدان . وكيف لا تتميز لغة الشعر ، والشعرُ قوة متوهِّمة يتجاذبُها الأمل واليأس وهي تحاول القبض على المطلق والرائع . من هنا عسفُ من يُقدم على حل المنظوم وعقد المنثور ، وهما منه أن خصائص الشعر وأغراضه لاحقة بمقاييس النثر ، وأنها تقع تحت التجزئة ، فترونه

* ألقي جزء من هذا البحث في الجامعة السورية بدمشق في ٢١ / ١٠ / ١٩٤٤ ، وألقي الجزء الآخر في الندوة الشرقية للجامعة الأميركية بالقاهرة في ٣ / ٣ / ١٩٤٥

يفرز المعنى من المبنى ، ويُنحّي البيت عن القصيد ، ويقيم الوزن دون بعرات الحروف .

الشعر — بخلاف النثر — خارج على النطق الجاري لأنه أقرب إلى لطافة الهمس ، وفي براعة الرمز أدخل . وإن توافقت الكلمات في النثر والشعر فإنما قيمتها على تباين . أليس الشاعرُ أسبقَ من الناثر في الجري إلى التقديم والتأخير ، والتلويح والتمثيل ، والحذف والإضمار ، والوحي والإخفاء ؟ وعلى هذا إن جاز الاتباع في النثر فلا بد من الابتداع في الشعر ، لأن الشعر تجربة على غرار التجارب الصوفية . ولكلٍّ طريقته في الوجد والتواجد ثم إن الكشف يرفع لأحدكم — بين الخلوة والجلوة — مما لا يرفع لغيره : اختلاف من جهة الإحساس الدفين والإدراك الرهيف ، يتبعُهُ اختلاف في التعبير والتصوير .

✲

من الثابت عند جمهرة الأدباء — جرياً على ما رأى القُدامى — أن الصياغة لا تحلو والديباجة لا تتم الا من طريق الحفظ . فبالاضافة الى وفرة ما يروي الشاعر من القصائد والمقطوعات ينقاد اليه النظم . وذلك — في رأي الأدباء — لأن الأسلوب الذي نسج عليه الفصحاء الأولون مختزَن في حافظة الراوي ، وأن الطريقة التي حبكوا بها وحبكوا مرتسمة في مصوّرته . فلولا انطباع الأساليب على صفحة الدماغ ، وانتقاش الطرائق في تجويفه من تجاويفه لتخلّف الطبعُ أو زلّت المادّة ، وتعسّف الأداء أو سخُفت العبارة .

والرأي عندي أن الحفظ إن مكّن الشاعرَ من مناهج النظم يحبسُ قريحته بين جدران المنقول ويغلّق عليه أبواب المسموع . وأخوفُ من هذا أن يُقبل المقبل على لون من ألوان الشعر فيحفظه أو يختارَ شاعراً أو شاعرين أو ثلاثة فينقطع لخواطرهم ، وإن بَرَعت : فمثلُه كمثل المدني الذي لم يركب نهراً ولم يطلع جبلاً ، فقدَمُه يُعوزه الدفقان والنشز بعد ذلك في أن ينجذبَ إلى الشعر الليّن والسهل وأن يأخذَه النفي وحده . والشرُّ كذلك في أن يَنهم بالشعراء المتأخرين والمحدَثين ويقنعُ بالتلقي عنهم ، فيلتقط ألفاظاً وجملاً معدودات ، كالتي استحدثها شوقي واللبنانيون في المهجر ، فيهوّل بها على القارىء الذي ضاق وعاؤه كذلك .

وهذا هذا في المعاني الدوّارة في الشعر . وهي غالبة على الذهن الذي جعل الحفظ دأبه فاعتمده . بالله أيهزّكم بعدُ تشبيهُ الحبيب بالبدر والكريم بالغيث والشجاع بالأسد ؟ أو ينفضُكم بعدُ سَهادُ العاشق النوّاح وتقبّلُ ردفِ المعشوق ؟ ويجري مجرى المعاني الدوّارة الصورُ الجوالة في الشعر القديم بين طرفي الحقيقة والمجاز . وقد بطلت مادّة طائفة منها

أو صادت لا توحي شيئاً في نفس ابن القرن العشرين . . . ولا أريد التبسط في مطروقات المعاني والصور ، فإن بحثي ههنا في اللفظ وحده .

ألا أين النشاط الذي أشرت إليه قبلُ في شعر من يحوك على المنوال المسمَّر منذ الزمن الأول، من حيث لا يشعر أو وهو يشعر ، وفي تقديره أنه ذو فصاحة وذو بلاغة لأنه يعارض الفحول ويراسل المطبوعين . والحق أنهم أئمة مجتهدون، وأما هو فنسّاخ عاجز وإن حذق النقل . وتراه إذا أراد الابتداع فهجم على تحريك خاطره ، يخشى أن يكون من الخوارج فيُحجم ، شأنَ الوبر الذي نشأ على السجود يهاب الابتهالَ ووجهُه إلى السماء . وإن اتفق لهذا النظّام أن يستنبط تعبيراً أو تعبيرين في القصيدة كلها هلك ونقسهما اضاعهما بين ألوانٍ شاحبة ، ألوانِ التراكيب البالية . ينطبق عليه قولُ ابن الرومي في البحتري :

عبد يغيرُ على الموتى فيسلبهم حرَّ الكلام بجيشٍ غير ذي لجب
ما إن تزال تراه لابساً خُلَلاً أصلاب قومٍ مضَوا في صالح الحُقب

ألا قد آن أن نرقُبَ الشاعر الذي في صدره قولُ أبي العلاء :

وإني وإن كنت الأخيرَ زمانه

فيحرك ويوثّي على نحوٍ يخيَّل إلى أحدكم أنه غريب ، وما هو بغريب ، ولكنه جارٍ على غير مثالٍ موقوف، ليس للمحفوظ سلطان عليه . وقد يستوحش أحدكم إذن لأنه تعوَّد سماعَ ما ألف . فإذا كان مستطرفَ الحسّ ، مستطلع الفكر ، أنسى وتمتع ، وقد نظن لأنّ الشاعر لا يحسُن به أن يكون عبدَ ما قبل فيصبَّ خمرة في كوب غيره .

ثم إن استقلال اللفظ يفسح للمعنى لأنه يُطلق العقول من أسْر القول . فكثيراً ما تكون خبرة الشاعر الحافظ لغيره أيضاً ، وذلك أن التركيب الراتب في الذهب يحدو التفكير ويغذو التمثيل ، فيستدعي المعنى ويستجلب الصورة ، كقول القائل عفواً واتباعاً : « غصن البان » و « غضّ الاهاب » و « الصخرة الصماء » . وأكثرُ ما يقع هذا في القافية إذ تجدون الشاعر الحافظ يستفرغ من أوعية السابقين فيختم السمْط بالخرزة التي تقبوها له وأحضروها . ومن العجيب أن البلاغيين يعدُّون هذا قدرة وحسنة . وقد آن أن نرى عكس ذلك ، فنرغب إلى الشاعر في أن ينظر إلى أبي تمام إذ يقول واصفاً لابكار معانيه :

منزَّهةً عن السرقَ الورَى مكرمةً عن المعنى الماثر

وفي أن يطرح مثلاً ردّ العجز على الصدر ، إلاّ إذا اقتضاه السياق اقتضاءً فرع المعنى به وزاد .

ولو كان في الزمن اتساع لضربتُ لكم في كل ما تقدَّم مثلاً قصيدة لابن الرومي قالها في مغنية اسمُها وحيد . فهل لكم أن ترجعوا اليها فتوازنوا بين سنة الأبيات الأولية ومطلعُها :

يا خليليَّ تيمني وحيدُ فتؤادي بها معنًّى عميدُ

وتسعة أبيات في مجرى القصيدة ، أولها :

لي حيث انصرفتُ منها رفيق من هواها وحيث حلَّت قعيدُ

وآخرها : حسنُها في العيون حسنٌ جديدٌ فلها في القلوب حبٌّ جديدُ

وفي هذا البيت رد للعجز على الصدر ولكنَّ فيه تعظيماً للمعنى، ذلك أن حسن وحيد المغنية فيه « كل ساعة تجديد » يولد في القلوب هوًى جديداً[1] .

فاذا أنتم وازنتم هذه الأبيات بتلك ، توضَّح لكم الشعرُ الذي بين نَصَرين أفلت مستقلاً بتعبيره ، وآخر الحبس مذعناً لمحفوظه .

وصفوة هذه المقدمة أنه كما أننا أدركنا في علم التربية أن حشو الدماغ لا يخرِّج التلميذ في فنٍّ من الفنون ، ولكنَّ يخمد فطنته وينضب رويته ، كذلك يحسن بنا أن ندرك أن استظهار الأشعار لا ينشِّي ملكة الشاعر، ولكن يحدُّ قريحته ويبلِّدُ بادرته مبنًّ ومعنى جميعاً . فلا انطلاق ولا انسراح ، بل قعود وركود .

✲

وإذا قال قائل بالأمس أو اليوم : فما الحل على ساحة الشعر أن يحفظ ما استطاع ثم ينسى ليستقلَّ بملكته ويبتدع ، فإنما هو قول مرتجَل لا يثبت على التجربة من جهة ولا يرجح بين أيدي علماء النفس من جهة :

لا شك في أن النسيان سبيل التحرر مما يدٌّ على أحدنا مضاربَ الفكر . وسلوان العاشق التيَّم خير مثل لهذا . ولكنَّ كما أن العاشق يستحيل عليه أن ينسى مادام في إقبالٍ على معشوقه نشطٍ ، أو ذكرٍ له مطَّرد ، أو شغلٍ به مقيم ، كذلك يستحيل على الحافظ أن ينسى محفوظه وهو يتعهده بالقراءة أو بالاستذكار أو بالاستحسان . فإنما البعد أول شروط

(١) ومن رد العجز على الصدر توزيعاً أو حشو قول البحتري يمتدح علي بن محمد بن الفرج :

عليٌّ سمح الحب ما يلاقيه ولا غرو أن يسخو بما ضمت حراره

تحمله حراد فارس حر الدبيت والبيت حجره حراره

النسيان ، وقديماً قالت العرب: « البعد سلاة العاشق » . لذلك ينصح الناصحُ لمن ولّيه الحبُّ أن يمضي في الأرض، فيستشرف سماوات غير سماء الحبيب ويستروح أنساماً غير نسيمه.

فاذا حاول الحافظ أن يتباعد عن محفوظه بأن يهجره أو يهمله أو يتشاغل عنه ، شقّت المحاولة وبعد مرماها . وذلك لأنهُ كلّ زماناً يدأب في الاستظهار المصرّ ، فاجتمع قلبه على ما وعى مجتهداً ، وتشرّب ذهنهُ ما تلقّف عامداً ، بخلاف ما ينشأ عن الحفظ الحاصل عرَضاً من طريق القراءة[1]. ونتيجة ذلك الاستظهار أن المحفوظ يرسخ أبداً رسوخ ، يزيد في ثباته طراءة القنوة وأثر العاودة . والدليل على هذا أن أركز الذكريات هي أبعدها عهداً وأكثرها تردداً بحسب ما بيّنته « سنة التقهقر » التي سنّها العالم النفساني ريبو Ribot في شأن انحلال الذاكرة[2].

ثم إن ذاكرة المستظهر المصرّ أقرب إلى الآلة ، تندفع حركتها اضطراراً . أو هي تعلو على الارادة فتزيغ من حكمها ، لأنها أصبحت عادةً قد لابست الذهن بالارتياض ولازمته بالمهارسة . والعادة — في مصطلح علم النفس — « استعداد دائم مكتسَب لتكرار الأعمال نفسها وقبول التأثيرات بعينها » . فاذا اقتضت العادةُ الجهدَ والتنبه في نشأتها فانها هي جمود عند غايتها . فمن أين انطلاق الملكة وكيف يكون التوليد، وهذه الذاكرة تُعدّ وتُمدّ وتلهم وتدفع ؟ ذاكرة قويت وسَرُعت ورَحبت وشحذت، مقتضبة حق الحس والفكر وحظ الخيال والخاطر .

لذلك من المستحيل أو من الشاق أن يتيسر لمن حفظ بهمة ونيّة أن يخرج عن رق المنطبع على صفحة دماغه والمنتقش في تجويفة من تجاويفه . هو أسير ما طلبه وردده واراتاح اليه . ولا يثور عليه غير جبار عقري ، فيناضله ، ولكن هل يصرعه ؟ فهذا أبو تمام الذي أسمعتكم وصفه لابكار معانيه ، والذي كان كثير الاتكاء على نفسه كما قال فيه إسحق بن إبرهيم الموصلي ومن بعده الصولي، منفرداً بصوغه حتى إن محمد بن عبد الملك الوزير رثاه بقوله :

وكنتَ ضريب وحدك يا ابن أوس[3]

فأبو تمام هذا انما احتذى تراكيب غيره أحياناً ولاذ بمعانيهم ، كما قد بيّن الآمدي في

---

(١) راجع مقالة بحث فيها Recitation as a Factor in Memorizing، لمؤلفها Gates في Archives of Psychology, 1917, No 40, p 104

(٢) راجع كتابه Les maladies de la mémoire, chap. 2

(٣) راجع « أخبار أبي تمام » للصولي ، ص ٢٢١ : ٥٣ : ٢٧٨

« موازنته » ويبيّن غيره . وفي شعر أبي تمام هذا قال دعبل إن ثلثه سرقة ، ولكنّ في هذا القول غلوًّا ، فقد كان دعبل ممن يميل على أبي تمام [1] .

وفي رأيي أن حذو أبي تمام حذو غيره ممن سبقه ، وإلمامه بمحسناتهم يرجعان الى سببين: الأول سعة حفظ أبي تمام وهو الذي اختار تمانين الشعر القديم في « ديوان الحماسة » . وأما الثاني فلازمته عمود الشعر الجاهلي ، وسيعرض لنا الكلام على هذا في ما يأتي من البحث .

ثم هذا ابن الرومي الذي يقول :

كم كلماتٍ حُكتُ أبرادَها وسطتُها الحسنَ وطرّزتها

كأنه يلمع إلى قدرته على الاشتقاق والاختراع ، هذا هو يعمل قصيدة في وحيد المغنية فينحبس نفسه تارةً ، وينفلت أخرى ، كما ذكرتُ لكم.

وانما حال ابن الرومي ههنا وأضرابه مثل المتلبي من حال أبي تمام .

✲

وإني أستأذنكم في التعلل . فان للحفظ شأناً كبيراً عند جمهرة الأدباء .

إنما السبب في تعلق الاقدمين بالحفظ حتى إنهم جعلوه ملكاً الملكة الشعرية تجدونه في ما أجمله ابن خلدون إذ قال في الفصل السابع والاربعين من المقدمة : « اعلم أن صناعة الكلام نظماً ونثراً إنما هي في الالفاظ لا في المعاني ، وإنما المعاني تبع لها ، وهي أصل » . وهذا القول يرتد إلى ما سطره الجاحظ من قبل ، قال : « إن المعاني مطروحة في الطريق... وانما الشأن في إقامة الوزن وتخيير اللفظ ... »

والتحقيق أن في تغليب أكثر الاقدمين اللفظ على المعنى ، وأيضاً في تغليب بعضهم المعنى على اللفظ مفاضلة ، وفي المفاضلة تفريق . والفرق الذي أقاموه بين اللفظ والمعنى من قبيل الفرق الذي أقامه الفلاسفة بين الروح والبدن . وآية ذلك التشبيه قول ابن رشيق في « العمدة » [2] : « اللفظ جسم وروحه المعنى » ، وكذلك قول الجاحظ قبله في رسالة « الجد والهزل » [3] : اللفظ للمعنى بدن والمعنى للفظ روح ، ولو أعطى الله الأسماء بلا معانٍ كان كمن وهب شيئاً جامداً لا حركة له ، وشيئاً لا حس فيه » .

---

(١) « أخبار أبي تمام » للصولي ص ٢٤٤

(٢) أول باب اللفظ والمعنى (٣) « مجموع رسائل الجاحظ » القاهرة ١٩٤٣ ص ٨٥

هذا رأي أصحابنا . غير أن الروح والبدن ليسا على الفرق الذي يتوهمه سواهم . فهل أذكركم ما انتهى اليه التفكير الحديث على أيدي علماء الحياة والفلاسفة الذين يبدوا أن في المادة قوة [1] ، وفي مقدمة الفلاسفة : برجسن Bergson فقد تناول المطلب الذي نحن بسبيله في ثلاثة كتب [2] .

أجل يُخرج البدن من صفة الجمود ذلك النشاط الكامن في ثناياه والذي تجسّه وتختبره بوساطة العضلات ونحن نسلط الحركة الجسمانية على الأشياء الخارجية . والنشاط لا يُستمد من غير القوة ، والقوةُ حياة ، والحياة أصلها الروح بمعناه الأوسع . فالمادة أولى درجات الفكر من حيث إن كليهما استمرارٌ متحرك . هما من جوهر واحد ، وليس اختلافهما إلاّ من جهة الوجود : في الفكر ، لا تفتأ الحوادث تتجمع كأنها تريد الوثب ، وفي المادّة ، لا تنفك تتمدد كأنها تريد الراحة .

والذي أستخلصه من هذا أنه كما أن الروح والبدن ليسا على الفرق الذي يتوهمه سواهم كذلك اللفظ والمعنى هيهات أن يكونا على تباين أو تقابل — تخيلوا مجلس غناء ، فكأن اللفظ جرسٌ يتردد في ستائر المعنى . فإذا يزز المعنى بر الجرسُ ، وهذه هي الكلمة : خروجٌ التحمت فيه القوة بالفعل ، فأثر من طريق الحركة الدافقة .

لذلك تراني أعتسف الحديث بعض الاعتساف وأنا أذاكركم هنا في لفظ الشاعر . فليس هذا اللفظ بموجود مستقل بذاته عن ذات المعنى . فليكن هذا مني على سبيل الترخص في العرض ، ومقصدي الكلام في ذلك الجرس قبل أن ينبر [3] .

✡

الشاعر من يصوغ عبارته على حسب ما يتأنس حسّه اللغوي بمفرداته ، فذلك تعبيره ، ومن هنا عظمة نفر من الشعراء الجاهليين والمخضرمين أصحاب القرائح الطلقة النمرة . ولم

(1) Janet et Séailles, Histoire de la Philosophie, Suppl. Chap 16. (2) Bergson, Les données immédiates de la conscience-L'Evolution Créatrice - Matière et Mémoire.

(3) ولأخي الأعز الأكرم الأستاذ إبرهيم عبد القادر المازني مقال في « اللفظ والمعنى » (المقتطف « التموز والتشرين » مايو ١٩٣٤) يرى فيه أن اللفظ والمعنى لا ينفصلان ، ولكل منهما دور في الدلالة والاستخلاص والتأثير .

يلعب الأمر أو بعض الأمر عن بصراء العرب . أفلا تروهم يمدحون امرأ القيس بما جاء به من البدائع والبدائه . قالوا : له « قيد الأوابد » ، وله « صوتٌ إليها صوبٌ جناب الماء » . وهنالك غير هذا الشاعر وغير هذين المثلين ... ويا ليت الشعراء كانوا أكثر والأمثلة أوفر ! ثم إن أولئك النقاد دُموا من يطلق يده في شعر من تقدمه، ولكنْ لهم في السرقات الشعرية رأيٌ بل آراء كان في الود أن تكون أقل تسمحاً ، ولولا قبولهم للتقليد وفرحهم ببقاء عمود الشعر ما تسمّحوا .

وربما ذهب الشاعر في الاستقلال اللفظي حتى انه يجدد الكلمات ويولد التعبيرات فيفجع ويحير ، ذلك شأن شكسبير ومالارميه Mallarmé الفرنسي ، وان شئت فقل : ذلك شأن نفر من الصوفية عندنا ، فهذه أشعار التجلي بين أيديكم ، وهذا ابن سبعين الاندلسي ، وهو من المئة السابعة ، كان يقول بأن اللفظ يجب أن يوقظ السامع ويَنبهه [1] . ثم إن في شعر أبي تمام شيئاً من هذا ، ألم يصف تربةً من الكثبان بهذه العبارة : «قضيبٌ تسترجف الريح متنيه» ؟ ولغيره مثل هذه القلقات، كقول ابن أبي ربيعة « نام صحبي وبات نومي أسيرا » .

وقد يرتجل الشاعر لغته فيبيح في ملكوت كلمه ، ذلك ما ابتدعه أعجوبة القرن الماضي Rimbaud الفرنسي وقد تبعه شعراء ما وراء الواقع les Surréalistes ، فأنشأوا أداءهم إنشاءً وتهوّسوا ، والحلاج في أدبنا يجاريهم وهو في سبيل غير سبيلهم ، وسأعود إلى لوامع الحلاج في آخر البحث .

✲

وليس الغرضُ من كل ذلك براعةَ الشاعر في استعمال اللفظ الغريب والمتروك دلالةً على إحصائه واستقصائه ، ولا في تذليل القوافي الجوامح رهنةً على قدرته الفائقة في نظم الكلام — وهنا وهنا عيب أبي العلاء — ولا في التحسين والتزويق ابتغاء الزخرف المحض ، ولا في الاستطراد والإسهاب حيث لا وجه لهما رغبةً في سرد الألفاظ فتنزل منزلة الحشو أو الإقحام . ولكنّ الغرض من كل ذلك أن يعبّرَ الشاعر التعبير الرائع ، الحافل ، الصادق ، الحامّ بانفعاله الذاتي . وتصيبون هذا التعبير في قول أبي النجم الراجز يصف زوال الشمس :

---

(١) أخبرني بذلك صديقي وأستاذي الشرقي المستشرق لويس ماسينيون Massignon L.

حتى إذا الشمس اجتلاها المجتلي بين سماطي شفقٍ مرعبَلِ[1]
صفراءَ[2] قد كادت ولمَّا تفعلِ فهي على الأفق كعين الأحول

وفي قول ابن الرومي في الخمر:

ومدامةٍ كخشاشة النفسِ لطُفت عن الإدراك بالحسِّ
لنسيمها في قلب شاربها روحُ الرجاء وراحةُ اليأس

هذا، ومن وسائل ذلك التعبير ابتكارُ اللفظ، ولا أعني ابتكارَه من جهة التلفيق، كما صنع بشار بن برد يوم جاء بلفظ «الشنفران» وقد سئل عن معناه، فقال للسائلين: إنه من غريب الحمار فاذا لقيتموه فاسألوه عنه. فإنَّ هذا العبث ليس من الفن الصحيح في شيء وإن يَقْدُرْه بعضُ الشعراء الغلاة في فرنسة، وقد شذَّ لهم الباب رجل ذو بَدَوات اسمه Isidore Ducasse أو le comte de Lautréamont، وعلى هذا أيضاً شعراء المذهب الاستقبالي les Futuristes.

إنما ابتكار اللفظ على جهة ما قال أبو العلاء:

وقد جدَّ أهلُ الملَّتين فأثَّلوا بناءً ولم يُعرَف لرافعه رسْمُ

وقد أُزاد بالملتين: الليل والنهار[3]، ولم أجده بهذا المعنى في كتب اللغة، ولعلَّ أحدكم يهديني[4].

وليس ابتكار اللفظ من طريق الكناية والمجاز على أنواعه سوى بعض المنشود. فأعلى من هذا وأبعدُ في انعقاد السحر أن يُخرج الشاعر التعبير عن النسج المتواتر. وسبيله تخيُّر اللفظ الزاخر بالهام جديد، وضمُّ الألفاظ بعضها إلى بعض ضمًّا غير معهود، وإيثارُ الاشارات والتلويحات بحسب هواجس الساعة، فيصبح الأداء قريباً شاسعاً في آنٍ واحد. أما قربه فبأنس اللفظ وسلامة التركيب، وأما شسوعُه فبما يستحضره اللفظ في الوهم، ويقترحه التركيب في الفهم.

وليس يغيب عني أن في هذا عدواناً على ما سموه قديماً «عمود الشعر» وتعصبوا له بل

(١) مرقش (٢) الشمس تميل للغروب

(٣) قرأ ذلك في كتاب قديم الاستاذ عبد الرازق من أدباء العراق، وأخبرني به وقد غاب اسم الكتاب عنه

(٤) من مبتكرات أبي العلاء جمعاً: وابيض امات ازادت صريمه لاطفالها دون النوال الصرائح
وقد اراد بأبيض أمات: الحليب

أكبروه وقدّسوه . غير أني أن أقول : ليس للشعر عمود راسخ : الشعر هزّة ، وأصل الهزّة اضطراب ، وما الفن الا هكذا من جهة الإلهام والتأثير جميعاً . ذلك ما انتهى اليه أهل التأمل في عهدنا ، وعلى رأسهم الفيلسوف برجسن[1] .

✲

وليست الحيلة في توليد الهزّة أن يقتصر الشاعر على القصد إلى « الجلجلة في جزالة والدندنة في حلاوة » (١) أو إلى الجناس في تأنق . إنما يحسن بنا اليوم ألا نقنع بالضجة ارتفعت أو خفضت . بل يخلق بنا أن نعدل عن بعض الحسّ الظاهر ، عن رعدة الأذن ، إلى كلّ الحسّ الباطن ، إلى رجفة الوجدان . فالحيلة تكون في استعمال الكلمات من جهة قدرتهن على الأشياء الخارجية ، فيتخطّى الشاعر مضيق الحسوس الملقى الينا ليسرح في فسحة الدرك المطويّ عنا . وبهذا يعود إلى صناعة الأولى ، إلى الرُّقية . ألم يقل الراجز قديماً ، وهو رؤبة ، لأبي بكر بن الحكم وكان راوية شاعراً :

لقد خشيتُ أن تكون ساحرا راويةً طروراً وطوراً شاعرا[2]

ألم يكن لشاعرنا شيطان يحدثه ، أو لم تكن بينه وبين الجن مجاذبات ؟

يعود الشاعر الى طرح الجسر بين عالمين عالم الفكر والمبادىء وعالم العبر والوقائع ، بين الحقيقة والرمز . أو ما كان الشاعر والكاهن رجلاً واحداً في الأمم الغابرة ؟ وهذا الهجاء عند العرب كان أولج في الكهانة[3] . ألا قد فسد جوهر الشعر لما تناوله حذق الذهن واستبدّت به ضوضاء الضلوع .

والاستحضار الذي ألمتُ اليه أولاً — أعني ما يستحضره اللفظ في الوهم — يكون من جانب صفات الصوت : قوة أو ضعف ، تفخيم أو ترقيق ثم الاوزان وحصائصها . وبالجملة : طنين يتفاوت اهتزازه وانسجام أطرافه بتفاوت الطاقة التي تختزنها الحروف المتحبسات والمنطلقات ثم المصوّتات والصامتات . ومثل النبرات في النطق كمثل الاصباغ في الذهن ، تتماسك بها الصورة أو تتفكك ، تزهو أو تشحب ، تغور أو تنفر . ولعلّ هذا التقارب الذي جرّ نفراً من شعراء الافرنج إلى تلوين بعض الحروف ، فبدا لأحدهم — وهو رامبو Rimbaud — أن الألف سوداء والواو زرقاء إلى آخر ما بدا له .

(١) راجع مقالي « الشعور بالجمال عند برجسن » مجلة الثقافة ، العدد الـ ١٢٥ سنة ١٩٤١

(٢) في « البيان والتبيين » للجاحظ القاهرة ١٩١١ ج ١ ص ١٢٣

(٣) انظر مادة « هجاء » في دائرة المعارف الاسلامية (طبعة هولاندة) ظهر ب . ف .

وأما الاقتراح — أعني ما يقترحه التركيب في الفهم — فيكون، أكثر ما يكون، من باب تصويرات الوحي: أضواء وأنياء، مدّات وليّات. والجملة: تجاوب بين ما يعنيه ظاهر النطق وما يتوارى خلف حجاب السمع. فكأنما السامع يحيا — لحظةً — حياة اللفظ المنطوق به. فإما حدث وإما حال، يسعى من الموضوع إلى الذات. وذلك بفضل التمثيل اللفظي، كقولكم «العصف» و«الرعد» وقولكم «نَفَضه» و«صَرَعه». وعلى كاكة الأصوات مندوجة في هذا الباب. ثم بفضل تداعي الأفكار في خفية من طريق القياس على مسموع سابق أو الانتباه لشعور مدفون ينبّهه لفظ رجّاجٌ أو غير ذلك من الطرق مما لا أستطيع الاهتداء اليه أو الافصاح عنهُ لاتصاله بالحياة الخافية، أو كما يقول أهلُ العصر: «الحياة اللاواعية».

هذا، وبديهي أن الألفاظ المبتذلة والتراكيب المطروقة قد سلبها فرطُ الاستعمال قوّتها، وقصمها سحرها، فأمست فاترة باردة.

✡

وليس معنى ما تقدم أن الشاعر يستحدث في اللفظ على حسب ما يبدو له. فإن وراء ابتكاراته علماً بأصول الصرف والنحو، ودراية بمواقع الكلمات. وهل نرضى عن فئة هابطين علينا من ناحية الارتجال يعدّون الخيال والموسيقى كلَّ الشعر؛ فيذهبون إلى أن اللفظ فضل وأن الصيغة وهمٌ، فلا حاجة إلى التمكن من أساليب الأداء. هؤلاء يصحّ فيهم قولُ البحتري:

يا امرأ القيس لو رأيتَ حبيبك الـشعر يُغذى بماء لفظٍ وكيكِ[1]

وقد يتذرّع أهل هذه الفئة بما سمّوه من باب التلفيق «التجديد». على حين أن التجديد — وهو حال لاحقة — يفترض في ثنايا القديم — وهو حال سابقة. وإنما في الذي سبق مادة الكلام السليم، وليس في الذي يلحق إملاك المادة ولكنّ به انعاشها. كذلك الأمر في التصوير، فإن المصور المبتكر في جنّات المرقم وطبقات اللون وهيئات الموضوع لا يُقبل على ذلك إلاّ وقد أشربت عيناه وأنامله أصول الفن المتوارث. ولكم في Paul Cézanne أبي التصوير الحديث — كما يُلقب — خير مثل لهذا، ولكم في Picasso المفرط في الابتكار مثل آخر.

(١) من شعره في التصوير. أورده الدكتور محمد مندور في «النوابغ» القاهرة ١٩٤٤ ج ٢ ص ٧٢

وليس العلم بالصرف والنحو ومواقع الكلمات سوى المدخل الى الصناعة . فالشاعر مهما تهيأ له من طلاقة القريحة فلا بد له من استشفاف سر اللغة زيادة على الاستكثار من فرائدها ببصارة وتحقيق . فكما أن المثقفي وأقرانه خرجوا الى البادية يأخذون اللغة من أفواه الخلّص ، كذلك ينبغي للشاعر الحديث أن يتغمس في دواوين اللغة حتى تدور له على العرب في نطقها ، ويستقيم له جانب غير قليل من المفردات ، فيعرف كيف يشتق الكلام وينزله ويجريه ، وكيف ينقله من صعيد الحقيقة الى أفق المجاز — والمجاز عَصَب الشعر . والشاعر في كل لغة خير من يشتق وينقل . فهو الخلاق البشري الأول يعينه في ذلك ذوق نمّى وعده صليقة صفت ، بفضل قراءات مستبصرات تزود ذاكرة الشاعر غرضاً ، من حيث لا يدري . حتى إذا هجمت لحظة القول بذلت له الذاكرة مادة الكلام الأولى فألف ، وبين يديه قربت الأشباه وقرنت الأضداد فتلطف ، ثم وسعت له التخيل فاستطرف . هذه الذاكرة — على ضد ذاكرة المستظهر المصر ، وقد تقدمت صفتها في هذا البحث — تدفع غزارة الكمّ إلى رهافة الكيف . وعلى الكيف أن يختار وأن يتصرف وأن يستنبط . وسبيله أن يجيل مادة الماضي بروح الحاضر ، فيسلك نفسه الاحساس الطاريّ في هدأة الحرف العاجز . وعلى هذا النحو يتلقى الهواجس ويتبصر الطوالع وقد تخلّى عن ألفاظه ظل السآمة .

ولا بد أن تنبسط هذه القراءات على عهود شتى وقرون . يقرأ الشاعر الشعر الحسن كله ويقرأ النثر سواء جرى في الفن أو في الأدب أو في العلم . فان الشعر — على خلاف ما يظن القاصرون — يشمل كل ما يضطرب في العالم . إذن بقياده حاجة الى الأوتار كلها من مادّ الحادّ الى ثقيل الثقيل . ولولا هذا ما وسع الشعرُ — وهو فيضُ الروح الكليّة — تباغيم الكون النابض ، ما وسعها على أيدي سوفوكلس ودانتي وشكسبير وجوته وتاجور ومن لحق بهم تبيّنهم . وقد آنس أبو العلاء جوهر هذا الشعر ، ولا أشك أن ابن الرومي فطن له . لذلك نراهما أقدر شعرائنا على توليد الطريف بالتركيب الاخّاذ المفاجئ ، حتى إن أبا العلاء حقيق بأن يُصنع لشعره ونثره الجاري مجرى الشعر معجمٌ خاص كما وقع لشعر شكسبير ، فستنباتُ أبي العلاء وملاحنه كثيرة .

ومن هذا الباب أيضاً أن شعراء هذا الزمان في أوربة ولاسيما فرنسة وإنجلترة يستعملون في قصائدهم اصطلاحات العلوم والفنون كمثل الفلسفة والرسم والموسيقى والكيمياء والفيزياء . ومن قبلُ أمدت الصوفية عندنا لغة الشعر بطائفة من اصطلاحاتهم فأغنوها ، وأدخل أبو تمام والمتنبي ألفاظ الثقافة الرفيعة . ولكن جلّ نقادنا عفا الله عنهم ، ما رضُوا كل الرضا عن

المعري وابن الرومي وأبي تمام والمتنبي ولا عن الصوفية ، ولا ماربوا لآثارهم إلاّ بمقدار ، لغلبة التقليد على موازينهم .

وهؤلاء الشعراء الأربعة وكذلك الصوفية لم ينصرفوا ولم يفتنّوا بقيد قومهم على التوليد وشغلهم بالابتداع ، فمدّوا أوتاراً وأرخوا أوتاراً ، فإذا القيثارُ تحت صاقهم لم يترنم الترنم الأتمّ . وذلك لأنهم تخرجوا في أروقة الأولين وفي حلقاتهم تربعوا ، وقد وُلدوا وإطار الشعر بنسجه ومائه ووزنه وقافيته مكين ، فجاء تصرفهم وافتنانهم في حدود ذلك الإطار ، ولم يفاقوه حتى في زاوية من زواياه . وأما الذين نثروا حتهم كأبي العلاء والحلاج فلم يجدوا في سبيلهم عموداً راسخاً ، فطاروا . هل قرأتم «الفصول والغايات» ، وهل قرأتم كتاب « الطواسين » ؟(١)

☆

وجملة البحث أن الشاعر سيّدُ قوله . وهو لا يكون كذلك الاّ اذا استطاع التعبير من ذات ملكته في صدق وحيوية وصحة . فيسخّر الكلمات لغرضه ويروّض القوافي لنفسه ، وإنما أنامله التي تجتذب الأفكار من النواوس ، وتختطف الألطاف من المعاني ، وتلتقط أنوار اللوامع والمواجم .

بشر فارس

(١) وأول مدين البيتين للحلاج (« أخبار الحلاج » باريس ١٩٣٦ ص ٢٨) :

عجبت لكلي كيف يحمله بعضي ومن ثقل بعضي ليس تحملني ارضي
لئن كان في بعض من الأرض مضجعي فقلبي على بعد من الخلق في قبض

يقول اللامعة النثرية في كتاب « الطواسين » باريس ١٩١٣ ص ٣٩ : « النواوس نملة ، والنموس ميدانه ، والنفوس إيرانه ، والمأنوس حيوانه ، والمطموس شانه ، والمدروس عيانه ، والفروس بستانه والطدرس بنيانه » . في البيتين اصطلاحات « الكلام » ومجموعات التصوف مما هو خارج « عن الالفاظ المعروفة والاصطلاحات المألوفة التي لا ينبغي للشاعر أن يعدوها ولا ان يستعمل غيرها » كما يقول ابن رشيق (« العمدة » باب اللفظ والمعنى) ، ولكن البيتين ملسوبان على الطريقة المتبعة بلاغة وبيانا وبديعا .

وأما اللامعة النثرية في « شطحة » واردات تميل بمذهب شعراء ما وراء الواقع Surréalistes الذين أشرت اليهم ، وهم شعراء الرؤيا والسرحان يرون مع عدتهم الفنية برينون A. Breton ان « الالفاظ قد فرغت من اللعب » وان بعضها أصبح يثور على بعض « Les mots ont fini de jouer. Les mots font l'amour » . هذه اللامعة النثرية أجنبية عن الوضع الشعري العربي من جهة التصوير والتأليف بين الالفاظ . والحلاج — وهو « الرئيس الاعلى » كما لقبه بعضهم — إشراقات أخرى سأعود اليها في بحث آخر .

الريف والزراعة

في الولايات المتحدة

ـ أتينا في عدد مارس الماضي من المقتطف على بعض نواحي الزراعة في ريف الولايات المتحدة الأميركية . وفي هذا المقال نشرح جانبين هامين من الزراعة الأميركية ، راميين بذلك إلى تنبيه أذهان الأمم الشرقية التي تعيش من الزراعة وعليها ، وإلى إرشادها عما يتبع في البلدان الأخرى من نُظم جليلة أثبتت نجاحاً باهراً في زيادة الثروة القومية ورفع مستوى معيشة الفلاحين .

١ — الجمعيات التعاونية القروية

في الولايات المتحدة الأميركية جمعيات وشركات تعاونية يبلغ عددها زهاء ١٥٫٠٠٠ جمعية بعضها مملوك للفلاحين وبعضها يدار تحت إشرافهم ، تقوم معظمها بتصريف المنتجات الزراعية وبزاولة أعمال وثيقة الصلة بمصلحة الفلاحين . وتقوم فئة صغيرة منها بأعمال شركات التأمين ضد الحريق ، بينما تتولى فئة أخرى أعمال شركات الري والصرف .

وتدل الاحصاءات على أن ما يزيد على ثلاثة ملايين من فلاحي الولايات المتحدة أعضاء في هذه الجمعيات التعاونية . وان ما لا يقل عن نصف مليون من الفلاحين أيضاً ينتمون الحركة التعاونية باهتمام كبير . وتبلغ قيمة المنتجات الزراعية التي تقوم بتصريفها الجمعيات التعاونية حوالي ٢٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ من الريالات سنوياً .

والجمعيات التعاونية الزراعية في الولايات المتحدة تدير أعمالها كأي مؤسسة تجارية أو كأي عمل فردي . والصفة الرئيسية للجمعيات الزراعية التعاونية هي أنها تدار لفائدة أعضائها لا كاهمين ، بل كمنتجين .

وان الفوائد التي يجنيها أعضاء هذه الجمعيات التعاونية ، تنمو وتزداد لا للأموال التي يستثمرها الفلاحون فيها وحسب ، بل لرعايتهم ومراقبتهم لها . والغرض الأساسي من قيام هذه الجمعيات أن تبيع منتجات الفلاحين بأقصى سعر ممكن ، وأن تمدهم بأفضل المواد

الزراعية وأرخصها ، وأن تقوم بالخدمات الادارية التي تجعل عمليات البيع والشراء أوفر ربحاً .

وفي كل ولاية من ولايات أميركا المتحدة أسواق تجارية تبتاع حاجاتها من الجمعيات التعاونية من لحوم وخضر وبقول ، وتقوم الجمعيات التعاونية بشراء علف الماشية وسماد التربة وآلات الحصاد وغيرها مما يحتاج اليه الفلاحون .

وكان الفلاحون الاميركيون من خمسين عاماً يقومون بانتاج الأدوات اللازمة للصناعات الزراعية . غير أن بعض الجمعيات التعاونية تقوم الآن بصناعة الجبن والقشدة في مصانع خاصة ، بينما تتولى مصانع أخرى تنقية الحبوب وطحنها . كذلك تقوم الجمعيات التعاونية بحلج القطن في المصانع التابعة لها ، وتقوم أيضاً بتوزيع البترول ومنتجاته .

وفي السنوات الأخيرة ، زاد عدد جمعيات الشراء التعاونية على عدد جمعيات البيع التعاونية . وكان من نتيجة مدّ القرى بالآلات الزراعية أن زاد إنتاج الجمعيات التعاونية التي تتولى صناعة منتجات البترول زيادة كبيرة . كذلك نمت مصانع حلج القطن التعاونية نمواً ملحوظاً حتى أصبحت تحلج نسبة كبيرة من المحصول السنوي .

ومع أن العمل الأساسي للجمعيات التعاونية بيع المحصولات الزراعية وشراء المواد اللازمة للزراعة ، فانها تقوم بخدمات كثيرة متنوعة تختلف بين أعمال الانتاج والادارة . ومن بين تلك الخدمات تقدير الأسعار ، ولفّ البضائع ، ونقلها ، وخزنها ، وحلج القطن ، وتمويل المشروعات ، والاعلان ، وإجراء التجارب ، وإدارة بساتين اتفاكهة ، ومحاربة الديدان ، وحماية البضائع من التلف ، وإيجاد الأماكن اللازمة في المدن والقرى ليباشر الفلاحون فيها عمليات البيع والشراء بأنفسهم .

ب — ملكية الاراضي

توفي في العام الماضي مزارعٌ أميركي كبير يدعى « لودن » وخلف وراءه ثروةً من الأراضي الزراعية مساحتها ٢١٣ ألف فدان في ولاية أركانسس بأميركا . ومما يروى عن المستر لودن انه كان نابغةً في الزراعة وحجةً في المسائل المتعلقة بهذا الفنّ . فأقام معملاً كبيراً لانتاج اللبن في مزرعته الخاصة . وكانت محصولات مزارعه من أجود الخاصيل وأفضلها . كما انه كان يقوم بتجارب متعددة في الحقول ، وله مشروعات كبيرة تبحث في الانتفاع بأشجار الغابات . وقد عرض عليه المستر كولدج ، الرئيس السابق للولايات المتحدة ، منصب وزير الزراعة ، ولكنه رفضه مع ما رفضه من المناصب الكبيرة التي عُرضت عليه في حياته الطويلة .

وأوصى المزارع بأن يؤول ٢١ ألف فدان من أراضيه بعد وفاته إلى « مؤسسة الريف الاميركي » ، وهي مؤسسة حرة للبحوث الزراعية . وجاء في نص وصيته : « إني أوصي بمزارعي لمؤسسة الريف ، وأنا عالم بأن عدد السكان الريفيين ونوعهم ، يعد عاملاً رئيسيا هاما في تقرير قوة الشعب ونوعه وصحته . وأوجو بل أرغب في أن تقوم مؤسسة الريف بتحسين جميع نواحي الحياة الريفية حتى تزداد نسبة العناصر الممتازة في سكان بلادنا ويستطيع شعبنا أن يعيش في المزارع والحقول تحت ظروف ملائمة تدفع بالحضارة قدما . وهذا على ما أعتقد ، خير ضمان لاستمرار المؤسسات الحرة » .

واستطرد المستر لودن في وصيته فقال: إنه يرجو أن يتحسن نظام تأجير الأراضي ، لأنه يتطلع إلى تحسين العلاقة بين الملاك والمستأجرين ، وإتاحة الفرصة لعدد كبير من المستأجرين النابهين والصناعيين والمدبرين بأن يصبحوا ملاكا لمزارعهم الخاصة .

ولتحقيق الغاية التي رمى إليها المزارع ، وهي زيادة عدد صغار الملاك ، تألفت لجنة لرسم الخطط ووضع الأسس . فاجتمع مجلس إدارة مؤسسة الريف ، ويتكون من رجلين من كبار مزارعي الحبوب وأحد تجار الماشية ، ورجل من أصحاب المصانع القروية ، وعميد إحدى كليات الزراعة الاميركية الكبرى وتداولوا في وضع البرنامج الذي يسيرون عليه .

وتسعى مؤسسة الريف إلى دراسة النواحي الاجتماعية للحياة الريفية في أميركا . وقد مدها المزارع الاميركي بتفاصيل التجارب التي أجراها في مزارعه ، فذكر في وصيته : « أعتقد أن مؤسسة الريف يجب أن تهتم اهتماما خاصا بالأسرة الريفية وبالمزارع الصغيرة الصالحة للأسر . ولقد تتبعت باهتمام نمو عدد المزارع الكبيرة ، غير أني أعتقد أن الاقطاعيات الصغيرة المتنوعة تستطيع أن تقاوم الأزمات المالية خيراً من المزارع الكبيرة التجارية ، وذلك لأن الفلاحين يستهلكون المواد التي ينتجونها فلا يتأثروا بارتفاع أسعار السوق » . وأشار المزارع الاميركي على مؤسسة الريف بأن تدرس وسائل تيسير حصول الأهلين على الأراضي وتسهل مهمة سداد ديونهم .

وذلك مثال آخر للمجهودات الفردية والجماعية ، التي يقوم بها الأميركيون لتحسين حالة بلادهم الزراعية ، ورفع مستوى الشعب المادي .

وديع فلسطين

استمد اسم الشهر الاول من شهور السنة الميلادية من اسم الاله الروماني «يانوس» اله كل البدايات . وكان «يانوس» حامي الابواب والنوافذ ، ولهذا جاء له وجه لكل من ناحيتي الباب . والكلمة الانجليزية «janitor» ومعناها بواب ، مستمدة من نفس المصدر ، لان من خصائص هذه الوظيفة ان يلاحظ ما جيها الابواب والداخل من البيت .

الواجب

قصة عن سكندر إزباخ

تطوّعت لتكون في الصفوف الأمامية أول يوم في الحرب . كانت قد أتمت السابعة عشرة ، ولكنها أصبحت رجال الجيش الأحمر الذين أمهدت جراحهم ، أختاً صغرى عبوبة مدلّلة ، تمر بيدها الناعمة الرخصة على جباههم المتوقدة .

وذات مرة ، بعد موقعة حامية الوطيس ، عهد الى المرضة « تامارا كلينا » بترحيل جرحى رجال الجيش الأحمر وفؤاده . ووقف في الخارج سيارات نقل الصليب الأحمر في مكان مكشوف ، وربما كان هذا هو السبب في أن الفاشيين صمموا على تحطيمها ، عامهم يقضون على رجال الجيش الأحمر الذين تقلهم .

وكان سبع طائرات معادية تحوّم فوق الطريق ، فلما لمحت سيارات النقل ، انقضت جميعاً هاوية ذي على ٣٠٠ قدم ، ثم ١٥٠ — ١٠٠ — ٤٠ ، كادت تمس الأرض ، ومرّت تلك الطيور المفترسة مبتعدة في الفضاء . ولكنها عادت ، ثم ابتعدت ، فاذا قافلة النقل برصاصات محرقة .

جلست تمارا في مقعدها وكأنها سُمّرت فيه ، متقطعة الأنفاس . وتعلل الجرحى . فردّت لفائفهم وأصلحتها ، وأعطتهم ما من شأنه أن يهدئهم ، فهدأوا وشعروا بأنهم أحسن حالاً .

وانهمر الرصاص ، وطوّقت ألسنة النار سيارة النقل . وقفت السيارة وسط الغابة ، يتدلع منها اللظى الحامي كأنها صواريخ نارية . وتدافع الجرحى وسقطوا من فوق الحفات ، ورموا بمصائبهم بعيداً . ضاقت أنفاسهم وهم يتلمسون هواء مفعماً بالدخان ، محاولين أن يجروا إلى رئاتهم ما يبقيها بالحياة . لحظة واحدة فقدت فيها تمارا حضور ذهنها . ثابت عن نفسها لحظة ، فوثبت من السيارة المحترقة ، لتهرب ، الى الغابة ، فراراً من موت سريع محقق .

ما هذا ؟ عاد اليها صوابها بغتة . قال أين تهرب ، تاركة وراءها هؤلاء الجرحى الذين عهد اليها بهم ؟ هي الشيوعية الصغيرة المتطوعة . كيف تستطيع أن تحتمل الحياة بعد هذا ؟ كيف ترى الناس ويرونها ؟

اندفعت ثانية نحو السيارة ، وبيديها

الصغيرتين الضعيفتين ، بدأت تجر الجرحى الى الخارج . ساعدها السائق أول الأمر... ولكن هناك ... ما قد قدمت طيارات الاعداء ثانية . وللمرة الثانية أخذت تهاجم السيارة المشتعلة . . وجرح السائق جرحاً مميتاً فسقط فاقد الوعي .

أصبحت « تمارا » وحيدة ولا معين لها . فريدة في الغابة المخيفة ، وأمامها سيارة بها جرحى ، أخذ منهم القنوط وضرب على قلوبهم اليأس ، وهم في أشد الحاجة الى يدها ، ورصاص الأعداء يئز من فوق الرؤوس .

خمسة عشرة مرة وثبت الى السيارة المشتعلة . خمسة عشرة مرة لفت ذراعيها الصغيرتين من حول جثمان جريح هامد الجسد فاقد القوة عظيم الهامة ، وسحبته بعيداً ، تارة ركبتيها المتعبتين الى هزة من الأرض بقربة من الغابة . ثم وقفت تلتقط أنفاسها ، وتشبع رئتيها بقليل من الهواء الصافي وتطوق النار التي علقت بملابسها .

عمل شاق . يظهر انه مستحيل لأول وهلة . يلوح كأنه خارج عن طوق البشر . ولكنه لم يكن فوق طاقة مخلوق بشري حقيق بالبشرية . فتاة لم يدخل الخوف قلبها ، فهزمت النار ، وهزمت معها الصقور الفاشية ، بل استقوت على الموت نفسه .

كان بعض الجرحى في غيبوبة فاقدين عن الوعي . وفتح البعض أعينهم مرصلين على ذلك الخيال الذي تجسم في صورة فتاة ، اظهرت الحب والشكران ، جزاء ما جاهدت في سبيلهم .

« لا تقلقوا أيها الفتيان » — قالت ذلك هامسة وهي تحرك شفتيها الجافتين بصعوبة . « لا بأس . سيعود كل شيء إلى مجاريه الطبيعية . إني سوف لا أتركم أبداً . سوف لا أتخلى عنكم » .

عيناها ، لاغير هما ، هما اللتان كانتا تبتسمان لهم . عيناها الكبيرتان الفعمتان بالعاطفة .

ظلت السيارة تحترق طوال الوقت الذي كانت « تمارا » تنقل فيه الجرحى إلى الفجوة التي اختارتها لهم . وأخذت تمزق ثيابها الهلهلة ، غير آبهة بالآلام التي كانت تأكل أطرافها ، ومضت نصف حالة تجري طوراً ، ثم تمشي متمايلة وزاحفة على ركبتيها إلى أول محلة للاسعاف . وبهمس متقطع ، روت لهم الحادث ودلتهم على المكان ، ثم سقطت فاقدة عن الرشد .

انقذ نحو الجرحى . خمسة عشر فتى ، نقلوا إلى المستشفى .

إن كثيراً منهم لم يعرفوا اسم تلك البطلة التي أنقذتهم بتفانيها وشجاعتها . إنها « تمارا كالينا » . لعلك لا تنسى الاسم ثانية .

هي في فراش المرض ، وهي على شفا الموت : حروق أكلت أطرافها ، والتهاب

حادٌ في صدرها . ولكنها انقذت من الموت . وأنقذت منه ، بعد إن أنقذت أرواحاً كثيراً .

سوف تعيش .

وعندما يفكّر عظام الفنّانين من مواطنينا في إقامة أثر يخلدون به ذكرى الانتصار والمجد ، إلى جانب مطاراتنا ، إلى جانب جاستلو ومايدوف ، وإلى جانب طيارينا ورجال الدبابات وحملة البنادق والرماة ، اذاً فليقيموا إلى جانب هؤلاء جميعاً تمثال فتاة صغيرة ضئيلة على ذراعها شارة الصليب الأحمر . تمثالاً صغيراً للشيوعية الباسلة « تمارا كالنينا » .

بأمر المجلس الحربي في الميدان الشمالي الغربي ، فلدت « تمارا كالنينا » وسام لينين .

أسنانك والحلوى

بالرغم من أن أطباء الاسنان غير متفقين على حقيقة السبب الذي يؤثر في الاسنان فيحللها ويفسدها ، فقد بدأ يتبين للباحثين ان كمية السكر المركز في الطعام ، لها أثر في ذلك . فان تخمر السكر في الفم تهيء بيئة صالحة لنمو الفصيحات (البكتريا) المولدة للاحماض . وسواء أكانت الفصيحات أم الاحماض هي التي تؤثر في مينا الاسنان ، فان وجود الحمض في الفم له أثر كبير وعلاقة وثيقة بانحلال الاسنان .

في جامعة كاليفورنيا ، يعد أطباء الاسنان ١٢٥ مريضاً طفلاً فيهم تآكل سريع في الاسنان يعطى عشر نجوات في السنة . والى جانب هؤلاء انتخبوا ٢٥٠ مريضاً أسنانهم سليمة من التآكل . فاتضح من الفحص الطبي ان سبب التآكل يرجع الى التراكم الحمضي ، وان ذوي الاسنان السليمة أفواههم خالية من الاحماض .

حرم على الذين انتكلت أسنانهم بعض الاغذية ، وسرعان ما قل التآكل عندهم بنسبة ٨٧ في المئة في بضعة أسابيع ، وقل تكوين النجوات . كذلك لم تتكون نجوات جديدة عند ٦٢ في المئة من أولئك الذين عرف انهم يصابون بمعدل عشر نجوات كل سنة ، و ١٨ في المئة أصيبوا بفجوة او نجوتين في خلال سنتين . وقد اتضح ان تحريم بعض الاغذية على الذين تآكل أسنانهم ، قد أنزل نسبة الاصابة او عدمها في ٨٠ في المئة منهم .

ما هو ذلك سر الغذائي ؟ يقول أطباء الاسنان ان السر هو في الحرمان من الاغذية الفحمائية (Carbohydrates) كالسكر والحلوى والمشروبات السكرية والخبز والعسل والمربى والفطائر السكرية وامثال ذلك . وقد عوض الجسم عما يفقد بالامتناع عن هذه الاغذية من وحدات السعر بالبن ومنتجاته واللحم والسمك والخضر .

الضمان الاخلاقي

يتجه العالم اتجاهاً جديداً . يتجه نحو المساواة الاجتماعية والقضاء على الفوارق البعيدة بين الطبقات . يتجه إلى الاشتراك الفعلي القائم على أساس توزيع خيرات الأرض والصناعة على الكبير والصغير ، وعلى صاحب الأرض والفلاح ، وعلى صاحب العمل والعامل ، بما يكفل للجميع التخلص من خمسة عوالق ، ذكرها سير بيفردج في مشروعه عن الضمان الاجتماعي . أما العوالق[1] فهي الجهل والتعطل والمرض والحاجة والقذارة .

إن لكل انقلاب اجتماعي تطوراً عقلياً يسبقه . وما الحوادث التي تقع في حيز الوجود غير انعكاسات فعلية ، لما يقوم في النفس بالقوة . فكل الآراء والحقائق والاعتبارات والمقاييس التي تقاس بها الأشياء الانسانية ، تظل موجودة بالقوة في تضاعيف النفس البشرية حتى تختمر ، فاذا اختمرت وكملت كل مهيئات خروجها إلى حيز الفعل ، ظهرت آثارها الفعلية ، وأصبحت حقيقة واقعة فاعلة لها آثارها الخيّرة في الناحية المرغوب فيها .

وليس في دنيا الفكر من شيء هو أدنى إلى الخطأ ، وأبعد عن الصواب ، من القول بأن الظواهر الاجتماعية ، وبوادر القلق وعدم الاستقرار ، انما هي أعراض تغذيها الدعايات المختلفة ، وان ليس لها شيء من صفات الجواهر الثابتة . ذلك بأن الوعي الاجتماعي لا يستجيب لدعاية ما لم يكن في هذه الدعاية رموز وإشارات تخاطبه وتتصل به ، فتظهر استجابته لها في صور مختلفة من الظواهر النفسية والروحية . ولذا كان من أوجب الواجبات على رجال الدولة والاصلاحين ، أن لا يهملوا تقصّي سبب كل ظاهرة من تلك الظواهر ، وبلوغ أسبابها الصحيحة ، لأنها في الواقع استجابات الوعي ، لدعايات لها أصولها الثابتة . وكما أن العالِم لا يستحي أن يكب على حشرة دنيئة أو غلاف بزرة يدرسه ويفحص عن حقائقه تحت المجهر وفي أنبوبة الاختبار ، كذلك لا ينبغي لمن يُنتدب لتوجيه الجماعات ، أن لا يهمل أتفه الظواهر ، وقد تكون تلك الظواهر على تفاهتها ، مبعث النار الآكلة ومدرج العاصفة الهوجاء . والتاريخ شاهد عدل ، وكفى به شاهداً .

إن الظواهر الحقيقية في هذا العصر ، وتتقدمها الظواهر التي لها مصدر ثابت في النفس ،

(١) انظر مقال الضمان الاجتماعي في مختلف مدارس الماضي ص ٢٢٩

تغلب ملكة النقد على كثير غيرها من الملكات العقلية . وإن العصر الذي نعيش فيه لعصر النقد. فالقوانين والشرائع ، والحكومات والاحزاب ، والمعاهد والنظامات ، جميعها خضعت للنقد خضوعها في أزمان سالفة لغيره من الملكات العقلية . ولما كانت ملكة النقد تتطلب في أول ما تتطلب ، حرّاً من حرية الفكر تفرخ فيه ، وقسطاً وافراً من حرية القول والنشر، تجول في نواحيه وتتصل من طريقه بالجمعية ، كان أثرها في تكوين صور مختلفة من الوعي الاجتماعي أمرٌ محتوم واقع . فكل محاولة ترمي إلى تقييد حرية النقد في هذا العصر ، ليست بذاتها محاولة باثرة فحسب، فهي مع أنها محاولة غير مجدية، من العوامل المؤدية إلى حبس الانفعالات التي تجد لها في النقد متنفساً ومخرجاً ، فاذا حبست كانت الانفجارات المحطمة، نتيجة لازمة لتراكمها في ذلك الوعي . واذن ينبغي أن يكون لهذه القوة حساب في تصور كل سياسي وكل مصلح اجتماعي وكل باحث في تقدير الظروف التي تحيط بجمعية من الجمعيات الانسانية ، بمقتضى منزلتها من إدراك لحقوقها في الحياة ، وفي متعلقات الحياة من حرية واستقلال وحقوق وواجبات الى غير ذلك .

من هنا نبتت فكرة العمل على تحقيق الضمان الاجتماعي. ولهذا الضمان في الواقع صورتان: إحداهما اجتماعية وأخرى فلسفية . فالصورة الاجتماعية عبارة عن مختلف النظامات التي تنظم الحياة على قاعدة التخلص من عمالقة بيفردج الخمسة ، وما تستند اليه هذه النظامات من قوانين الدولة . والصورة الفلسفية عبارة عن تفسير عقلي للاسباب التي أدت الى العمل على تحقيق الضمان الاجتماعي . هي فعلاً تعبير عن حاجات تقوم في الوعي الاجتماعي، وفكرات اختمرت فيه وكادت تبرز الى حيز الوجود ، لتحقق ذاتيتها بالفعل ، بعد أن مضت كامنة بالقوة ، زمناً كافياً لأن تكون فاعلة . واذن فالعالم اليوم يعالج فتح باب ذلك المتجه الجديد الذي يتجه منه نحو المساواة الاجتماعية ، والقضاء على الفوارق البعيدة بين الطبقات . غير انه لا ينبغي ، مع وضوح ذلك ، أن نغفل عن أن الصورة الاجتماعية للضمان الاجتماعي انما تقوم على نظامات تدعمها قوانين ، فعلى أي شيء تقوم الصورة الفلسفية من ذلك الضمان ؟ تقوم على شيء واحد ، تقوم على ضمانات أخلاقية لها أصول ترعاها الجماعات وترعاها الدول . وكما أن القوانين التي تقوم عليها الصورة الاجتماعية من ذلك الضمان الاجتماعي ، إنما تستمد سلطتها من سلطة الدولة، وهي كفالة لا بأس بها، فان الحرية ينبغي أن تكون الركيزة التي تستند اليها الصورة الفلسفية من الضمان الاجتماعي . حرية الفكر وحرية القول ، والنشر ، وحرية التدين ، وعلى رأسها جميعاً حرية النقد . في عالم أساس نظامه الضمان من تأثير العمالقة التي ذكرناها . يجب أن يرتفع كل صوت بشكواه، ويرتفع كل فكر في مساوئه، وأن يتصل كل انسان بخالقه من الطريق الذي يختاره، وأن تطارد النقد كل هيب للتسلط، وكل نزعة

تسلطية ، مطاردة الردة والشياطين في ملك سليمان .

إذا لم تتحقق الحرية بأوسع معانيها في حدود الشرائع ، بل وفي حدود الحاجات التي تظهر بتطور الحالات القائمة في البيئات الاجتماعية المختلفة ، فان كل ضمان اجتماعي ، أو غير اجتماعي ، يكون تافه الأثر ، عرضة لتقلب الأهواء ، خاضعاً لتلاعب الذين يصرون الشرائع على ما يشتهون ، لا على ما تقتضي حقائق الاجتماع ومطلوبات الحياة . ذلك بأن الحرية هي الضمان الذي يتزوّد به الفرد وتتزوّد به الجماعة ، ليكون سلاحها الشهر على كل من يحاول العبث بقواعد الضمان الاجتماعي . أما إذا لم يتحقق ذلك ، فالضمان الاجتماعي يصبح قانوناً مشلولاً عند اللزوم ، منفذاً عند اللزوم أيضاً ، وبالجملة يصبح أشبه بالقانون الدولي الذي ساق الأمم إلى الحروب ، لا إلى السلام .

إنما الحرية هي القوة المنفذة ، هي القوة الحارسة ، هي الضمان الأول لقيام كل ضمان اجتماعي على صورة يتحقق معها الغرض الذي من أجله صيغ ذلك الضمان في القالب الذي يصاغ به .

إذا أردنا أن نضرب بعض الأمثال على ما سقنا القول فيه ، فان مثلنا الأول هو موظف الحكومة . هذا الموظف له في النظام الحاضر ضمانات خاصة أقرتها قوانين مالية ، مضافة الى القوانين العامة . وعلى الرغم من أن هذه القوانين المالية قد كفلت للموظف حقوقه وحدّدت واجباته ، ولم تنص على حالة واحدة تحد من حرية الموظف بصفته عضواً في الهيئة الاجتماعية ، فان العرف الحكومي قد حدّد من حرية الموظف تحديداً ضيق من حوله حلقة الحياة ، حتى كاد ذلك التضييق يذهب بكامل حريته . ففي الوقت الذي كفل القانون للموظف حقوقه وحدّد واجباته ، اعتدى العرف على الموظف اعتداء شنيعاً ، وأسف في معاملته إسفافاً لا يرضي الضمير . اعتدى العرف على حريته ، فهو لا يستطيع أن يعبّر عن رأي مخالف لرأي الحزب الغالب في الحكومة ، إلا ويتلقفه قانون العرف بالتشريد ويطارده في عيشه وأولاده وبيته ، ويتعقبه تعقب الشرطة لمجرم اعتدى على المجتمع . واعتدى العرف على خلقه فجعله صورة مما يرضى عنه رجال الحكم ، وحفّه بكل ما يحف به نظام بيروقراطي مستبد ، تراكبت فيه السلطات بعضها فوق بعض ، من عبودية التقيد بصفات خلقية خاصة . فاذا لم يكن في موظف الحكومة استعداد لبيع حريته وتكييف خلقه بالكيفية الحكومية ، وما يقتضيه نظام تراكب السلطات ، تلقاء ما يأخذ من القانون المالي ، فهو موظف ثائر على النظام ، فيلحقه الطرد وينبذ من حلقة الموظفين الطيّبين . ولن يكون للضمان الاجتماعي وقوانينه ومقوماته من أثر في سدّ حاجات الفرد والمجتمع ، أكثر مما يكون للقانون المالي من أثر في ضمان حياة الموظف ، إذا لم تقم من وراء ذلك ضمانات أخلاقية تضمن لكل فرد حرية رأيه ، بأوسع ما تحتمل حرية الرأي من المعاني ، بحيث لا يعاقب انسان على حريته

لا بالقانون ولا بالعرف ، ما دام استعماله لتلك الحرية في حدود القانون . بل لقد رأينا ان الكثيرين قد كوفئوا على رذائلهم ، ولم تقع على أمثلة تحقق فيها النفع لمن استمسكوا بمكارم الأخلاق ، وحققوا ذاتيتهم بتحقيق حريتهم .

كذلك الحال اذا نظرت في تبادل احترام الرأي بين الطوائف ممثلة في الافراد التي تتكوّن منها كل طائفة . ومما يجعل الضمان الاجتماعي في حاجة الى ضمان أخلاقي يعضده ويقويه ويجعله متمراً الثمرة المرجوة ، أن بعض الطوائف قد تعتدي على بعض اعتداءات لا مبرر لها من عقل ولا موجب لها من فضيلة . فأهل الدين يرمون أحرار الرأي بالكفر والالحاد ، وهو سلاح من أقوى الأسلحة المثيرة لحقد الجماهير ، وأحرار الرأي يرمون أهل الدين بالجمود والظلامية ، وهي سلاح من أمضى الاسلحة في تنفير أهل العلم ، وتديئول بمستوى الانسانية الى درجة لا تجيزها الشرائع الانسانية . فاذا لم يكن بين الطائفتين وازع أخلاقي يتزع بهما الى تحكيم العقل والمنطق فيما تختلفان فيه ، ويستنكر اللجوء الى مثل هذه الاسلحة الضارة العقيمة ، التي تضر بإثارة الاحقاد ، ولا تنتج لأنها بطبيعها عاقر لا تلد ، أصبح كل ضمان اجتماعي لا قيمة له ولا نفع فيه ولا قوة من ورائه ، تسهر على تنفيذ قوانينه وشرائعه .

لا شك عندي في ان الاشياء الانسانية لن تبلغ الكمال ، بحسب ما يراه العقل كمالاً ذلك بأن المثاليات تتفزر بالانسان دائماً الى غايات عليا ، تتحول في العقل نحو لا نهائيًا الى مثاليات ، يُنظَر اليها على اعتبار ان بلوغها الكمال . فاذا بلغها الانسان ظهر له العقل طفرة أخرى ، خلفت ذلك الكمال وراءها ، وتخطته الى حالة بعدها ، يلوح للعقل انها حد الكمال . وهكذا تجد ان حياة الانسان عبارة عن طفرات تتالى وكالات تتخيل ، كل هذا لنساق خطوة بعد أخرى الى الامام .

لقد نشدنا الضمان الاجتماعي ، وبدأت جماعات من أرقى جماعات المدنية الحديثة تأخذ بنظرياته ، وتعمل على تحقيقها . ذلك وجه من الكمال المدني نشده الانسان منذ عصور موغلة في القدم ، فلا لاح في الأفق أن تحقيقه ، أو على الأقل تحقيق مبادئه الأولية ، أصبح في حيز الامكان ، طاعرنا الى القول بأن ذلك الضمان الاجتماعي لا يتحقق عمليًا ويصبح ذا أثر ثابت في حياة الانسان ، الا اذا قام من ورائه ضمان أخلاقي أساسه الحرية واحترام الحقوق المعنوية ، احترامنا للحقوق المادية . ذلك ليكون لموظف الحكومة والمفكر الحر والعامل والصانع والتاجر ، بل وكل فرد من طوائف الجمعية ، ضمان حقيقي ، يجعل لحياته صفة الاستقرار ، الذي لا تقوم جمعية انسانية ثابتة الاركان بغيره . استقرار اساسه حقوق تعطى وواجبات تطلب ، وحريات تحترم بحيث يكون أخذ الحق والقيام بالواجب ، بمنجاة عن تمنت الشهوات ، بمعزل عن أفاعيل الميول الخسيسة التي أفسدت الحياة وتفسدها في عصرنا هذا .

النظام الاقطاعي

الذي ورثه الملك إيخ ـ ان ـ آتون

الملك إيخ ـ إن ـ آتون ، أو كما يسميه كثير من كتّاب التاريخ المصري القديم ، اخناتون على سبيل التخفيف هو ابن الملك امنحتب الثالث من زوجته «تي» التي اختارها الملك من طبقة الشعب المصري لا الاسيوي ، كما زعم بعض المؤرخين ، فهي كريمة الابوين المصريين بويا وتويا .

وأهم دافع حفزني للبحث في هذا الموضوع هو دراسة نظام الحكم في عصر هذا الملك وسابقيه من ملوك عصر التوحيد الثالث (الدولة الحديثة) وبيان مبلغ سلطة هؤلاء الملوك : أكانت استبدادية مطلقة حقا كما يقول المؤرخون أمثال بريستد وماير وبونكر ومورتيه وبتري وسائر الباحثين ، أم أن الرأي بعكس ذلك كما انتهت اليه بحوثي وعلى ما سأعرضه الآن

كان نظام الحكم في مصر القديمة يتوقف على مقدار ما تتصف به سلطة الملك من القوة والضعف . واذا عرفنا أن الحكومة والملك شيء واحد ، وأن الحكومة قديما كانت تتمثل في شخص واحد هو الملك وتتجمع في شخصه مختلف السلطات ، أدركنا ان الحكومات كانت تتغير حسب سلطة الملك قوة وضعفا فتصبح مطلقة أو مقيدة بقوة أخرى ـ وهذه الظاهرة لم تقتصر على عصور الفراعنة المصريين ، بل نجد ما يشابهها في فرنسا في زمن الملك لويس الرابع عشر حينما ابتدع نظرية « الحكومة أنا وأنا الحكومة » .

والرأي السائد حتى الآن بين العلماء والباحثين أن سلطة الملوك في الفترة بين احمس الاول وايخ ـ ان ـ آتون كانت استبدادية مطلقة وان نفوذ الامراء زال تماما تبعا لانصرافهم في خدمة الملك كديرين لمقاطعاتهم .

ولكن عند التعمق في دراسة هذا العصر وبحثه بحثا التماس الدقق ان هناك مشكلة دقيقة تواجه المؤرخ . وهي هل كانت سلطة الملك ايخ ـ ان ـ آتون ومن سبقه من ملوك عصر التوحيد الثالث استبدادية مطلقة ، أم كانت سلطتهم يضعفها وجود نظام اقطاعي خاص ؟

وبعبارة أخرى هل كان الملك ايخ ـ ان ـ آتون ومن سبقه من ملوك عصر الـ

الثالث منذ أيام تحتمس الثالث في قوتهم وسلطانهم كما يظهرهم التاريخ هم الواضعون لأساس النظام الاقطاعي الذي ظهر جليًّا في عهد الملوك الذين تولوا الحكم بعد تحتمس الثالث بحيث انه عند ما تولى ايخ ـ ان ـ آتون الملك ورث النظام الاقطاعي الخاص الذي كان على أيام سابقيه، والذي قيّد من سلطتهم، خلافاً لما كان معروفاً عنهم من قبل ؟

للاجابة على هذا السؤال يجب أن نرجع قليلاً إلى الوراء ، فنجد انه يمكننا القول ان الملوك المصريين القدماء لم تبلغ سلطتهم من القوة مثل ما بلغت في عهد الملك احمس الأول ومن تلاه من الملوك حتى عهد تحتمس الثالث (لأنهم أصحاب الفضل في تخليص مصر من أيدي الغزاة فأمكنهم أن يركزوا في أيديهم كل السلطات المختلفة في مقر عاصمتهم طيبة) ولكن من سوء الحظ كان الملك أحمس ومن خلفه من الملوك على عرش مصر يمنح الآلهة المتعددة في مختلف الأقاليم (أمثال آمون في طيبة ورع في عين شمس وبتاح في منف وهكذا) أراضٍ بجعل ملكيتها باسم الآلهة المختلفة ويلحق بها امتيازات كان الملوك يعتبرونها في بادىء الأمر اعترافاً بجميل هذه الآلهة على ما نالوه من نصر في حروبهم أو بعثاتهم .

وهنا نرى شيئين خطيرين . أولاً : ان الملوك وهبوا أراضٍ واسعة للآلهة في مختلف الأقاليم . ثانياً : ان الملوك أعفوا هذه الأراضي من الضرائب بل وأضافوا اليها امتيازات أخرى .

* * *

وقد زادت هذه الأراضي زيادة غير منتظرة ولم يصبح منحها اعترافاً بالجميل للآلهة، بل أصبح دليلاً على الضعف والتردد وانعكست الآية في عهد الملوك اللاحقين لمصر تحتمس الثالث ، فلم يعد الكهنة خاضعين لسلطان الملك كما كانوا في أول الأمر بل شعروا بنفوذهم وسلطانهم الذي أخذ في الازدياد في الوقت الذي أخذ فيه سلطان الملوك يضعف وينقاص .

فما بوادر هذا الضعف من جانب الملوك وما هي مظاهر هذا الجاه وتلك السطوة من جانب رجال الدين ؟ (أولاً) : لم تصبح ادارة المعابد بعد خاضعة لادارة الحكومة المركزية كما كانت من قبل، بل استقلت عنها تماماً . وبالتالي أصبح موظفو هذه المعابد ومديروها من الموظفين الدينيين تحت إمرة رئيس الكهنة في كل معبد .

وكانت ادارة هذه المعابد وأملاكها تتناول كثيراً من النواحي الزراعية والصناعية والفنية والاقتصادية والعلمية .

فمن الناحية الزراعية كان عدد كبير من العمال يعمل في زراعة الأرض والري والحصاد وتربية الماشية وشق الترع وغرس الحقول والحدائق بالفاكهة والأعناب .

ومن الناحية الصناعية كان عدد كبير يعمل في مستخرجات الماشية ومستخرجات الكروم وغيرها مثل عمال النسيج وعمال التبيذ .

ومن الناحية الفنية كان عدد كبير يعمل في بناء المعابد وملحقاتها وهندستها وفي النقش والنحت والرسم .

ومن الناحية العلمية ، كان عدد كبير أيضاً يعمل في علوم الدين وعلوم الفلك وفي الطب وشئون الكتابة والقضاء والهندسة والكيمياء والرياضيات .

أضف إلى ذلك ان جمهوراً عظيماً لا يستهان بعدده من الرجال، كان يعمل في كل معبد من هذه المعابد وملحقاتها في أعمال تتصل بالحجارة والحلاقة ومنهم الطواني وصانع النعال والصائغ وحارق البخور وغالي الزيت وحامل المياه ومقدم القرابين .

يضاف إلى هؤلاء أيضاً أنواع من الخدم كالحارس والبواب .

أما فيما يختص بمدينة الأموات التابعة لكل رئيس كهنة فادارتها معروف أمرها للجميع.

ولم يكتف رجال الدين برعاية شؤون الدين وإدارة معابدهم بل كانت لهم في كثير من الأحيان صلات وثيقة بكثير من الأعمال الحكومية أو بعض المهام الملكية ، فكثيراً ما كانوا يندبون لادارتها أو للاشراف عليها ولعلّ من أهم الأمثلة التي تؤيد ذلك ما يلاحظ على ألقاب الكاهن الأكبر « حابوسنب »

بل وأكثر من ذلك أصبح منصب رئيس الكهنة وراثيًّا، فكان الخلف يعقب السلف دون أن يقوم نزاع أو خلاف كالذي كان يقوم عادةً بالنسبة لتوارث الملك في ذلك الحين .

وأظهر مثل لدينا على هذا كبير كهنة منف الذي مثّل سلالته على احدى الجدران في أربعة صفوف في كل صف منها خمسة عشر كاهناً من أفراد أسرته ، وظلوا جميعاً متربعين في منصب الرياسة الدينية في منف مايقرب من ألف وثلاثمائة عام تقريباً . وهناك قطعة أثرية أخرى يحتفظ كربنهاجن تمثل توارث كهنة عين شمس على هذا النسق .

أما كهنة آمون فقد نشر عنهم «لافيفر» الكثير كما هو معروف للجميع زد إلى ذلك أن سلطة الرئيس الديني لا تنتهي بوفاة الملك المعاصر له بل تستمر ولا تعتبر منتهية إلاّ بوفاة هذا الرئيس . وربما ازدادت قوة بعد وفاة الملك اللاحق، وربما يصيبهم من امتيازات جديدة وهدايا جديدة بصرف النظر عما وهبه لهم أسلافه . فيكدسون بذلك الاحجار الثمينة والذهب وتتكاثر الأراضي والمواشي ويزداد عدد اتباع كل معبد.

ولم يكتف الرؤساء الدينيون بكل ما نالوه من هذه الامتيازات بل أطلقوا على أنفسهم لقب أمير « حاتي عا » فتشبهوا بحكام الاقاليم في ألقابهم وفي نعوتهم .

(ثانياً) بيّنا أن طبقات الكهنة أصبحت مستقلة عن السلطة المركزية. ولهذا الاستقلال مظاهر متعددة فمن الناحية السياسية تدرّج الأمر برؤساء المعابد إلى أن أصبحوا في وقت واحد يجمعون بين منصبي « الرئيس الديني لجميع معابد القطر في مصر العليا والسفلى » ومنصب « الوزير » وهو رئيس الدولة بعد الملك مباشرة أي أنه قد تطور نفوذ رجال الدين بالتدريج حتى أمكنهم الجمع بين السلطتين الدينية والزمنية أو الجمع بين السياسة والدين .

ويحدّثنا التاريخ أن « بتاح مس » كبير كهنة بتاح بمنف في عصر الملك أمنحتب الثالث جمع بين الوزارة ورئاسة كهنة بتاح بمنف ، كما أن « حابوسنب » كبير كهنة آمون في عصر الملكة « حاتشبسوت » قد جمع أيضاً بين الوزارة ورئاسة كهنة آمون بطيبه .

فأصبح رؤساء المعابد بذلك يشتركون اشتراكاً فعليّاً في حكم البلاد مع الملك .

ومن الناحية الادارية كان يقوم بادارة هذه المعابد وأملاكها من ضياع ومصالح وغيرها، رجال دينيون يخضعون مباشرةً للرئيس الديني الأعلى لمعبد لا للسلطة المركزية . وكان اختصاص هذا الرئيس يتسع ويضيق تبعاً لمقدار انتشار عبادة الاله القائم بعبادته وخدمته.

ومن الناحية الاقتصادية كانت معابدهم وما تملك من أرض وحيوان معفاة هي وباقي الموارد من الضرائب عموماً ، كما أن ميزانية هذه المعابد كانت منفصلة عن الميزانية العامة للدولة انفصالاً تامّاً، فكان لهذه المعابد بيوت للذهب وبيوت للفضة خاصة، ومخازن غلال خاصة ومراكب خاصة لجلب الدخل والخيرات من البلاد التابعة لهذه المعابد، غير بيوت الذهب والفضة ومخازن ومراكب الحكومة .

ومن الناحية الاجتماعية ، دلتنا النقوش على أن رؤساء المعابد كان لهم المقام الأول والاعتبار الأعظم . كما أن المعابد كانت تعتبر في ذلك الوقت بمثابة معاهد ثقافية تشبه دور العلم أو الجامعات في وقتنا هذا، وكان الرؤساء الدينيون يعتبرون كعمداء لهذه المعابد .

ومن الناحية القضائية كانت تمثل رجال الدين في مختلف المحاكم .

أما وقد رأينا الآن ما انتهى اليه أمر هؤلاء الرؤساء الدينيين، الذين يحق لنا أن نسميهم الكهنة الأمراء، من سلطان مطلق في ادارة معابدهم وعلى الشؤون المتعلقة بالمالية والقضاء ، نخرج بنتيجة واحدة وهي أن نفوذ هؤلاء الكهنة الامراء طغى على نفوذ الملك وتضاءلت هيبة الملك بجوار هيبتهم — حقّ لنا أن نسمي هذه المعابد بدويلات داخل الدولة المصرية ، وان نسمي هؤلاء الرؤساء الدينيين « الكهنة الامراء » .

وكان طبيعيّاً ، وقد شبهنا هذه المعابد بدويلات ، ان يكون لكل منها بوليس خاص لمراقبة جميع الأعمال والحفاظ على الأمن .

وكذلك كان طبيعيًا ان يكون لكل منها جيش خاص يذود عنها ويدفع عنها اعتداءات المغيرين ، فكان وجود هذه الجيوش مما يقوي من هيبة الرؤساء الدينيين ويضعف من هيبة الملك .

زد إلى ذلك ان رؤساء المعابد كانوا هم رؤساء الجيوش ، في حين ان القاعدة ان الملك هو الرئيس الأعلى للجيش .

أصبح الكاهن الأعلى لكل معبد ، أو رئيس كل دويلة ، يزاحم الملك سلطته وسلطانه على البلاد .

فليس غريباً بعد كل ما رأيناه من مختلف المظاهر لازدياد سلطة الكهنة الامراء ، أن تحس بانكماش سلطان الملك وتضاؤل سلطته في هذه النواحي المتعددة التي سبق أن تكلمنا عليها

وأخيراً يجب ان نطرح السؤال الآتي : ما هي اركان النظام الاقطاعي وأهم خواصه وما مدى توافقها وانطباقها مع ما انتهى اليه حال الأمة والدولة المصرية وكهنتها عند ما ورث الملك ايخ — ان — آتون عرش مصر ؟

إن خواص النظام الاقطاعي وأركانه تنحصر في أربعة أمور رئيسية : (اولاً) الامارة — وقد رأينا ان الرئيس الديني انتهى الأمر به إلى لقب أمير (ثانياً) التوارث — وقد أصبح منصب الرئيس الديني وراثيًا يتوارثه أولاده ثم أحفاده دون نزاع أو خلاف .

(ثالثاً) التعدد — وقد كان عدد هذه المعابد وممتلكاتها يتزايد للاله الواحد في جهات مختلفة فلما جاء ايخ — أن — آتون وجد عددها منتشراً في أجزاء مختلفة من أقاليم القطر المصري .

(رابعاً) الانفصال عن السلطة المركزية — وقد بيّنا سابقاً أن هذه المعابد كانت منفصلة عن السلطة المركزية من جميع نواحي النشاط السياسي والاداري والمالي والقضائي والحربي والعسكري والاجتماعي والاقتصادي .

من هذه الخواص مجتمعة ومما رأيناه من انطباقها وتوافقها على ما كانت عليه الأمة المصرية ، وما وصلت اليه حال الكهنة حتى عهد الملك ايخ — أن — آتون يمكننا القول أن كلمة « نظام اقطاعي » تنطبق على هذه التركة التي ورثها الملك ايخ — ان — آتون مع فارق في بسيط ، وهو أن هذا النوع الجديد من النظام الاقطاعي كان لأمراء المعابد بدلاً من أمراء المقاطعات الذي ميز وذلك النظام الجديد من النظام الاقطاعي في هذا العهد يمكن تسميته بالانجليزية Temple Feudal System وبالفرنسية Féodalité de Temple وبالالمانية Tempelfürstendum والعربية « اقطاعيات المعابد » لأنه في هذا النظام الجديد حل العبد

وممتلكاته محل القاطعة ومشتملاتها وحل الأمير الديني محل الأمير المدني.

والملاحظ أن هذه الظاهرة الجديدة ليست قاصرة على عهد الملك ايخ — ان — آتون فحسب، بل إننا نجد لها نظيراً في كثير من العهود الفرعونية الاخرى.

ولما جاء ايخ — ان — آتون الى العرش أخيراً وجد الحال كما بينا، وهو حال من النظام الاقطاعي الخاص، جعل الملك الشاب لا يستسيغه بل وينهز الفرص للايقاع بهؤلاء الأمراء الكهنة الذين أصبحوا خطراً على ملكه، فشاء ان يتحرر من قيود هذا النظام الاقطاعي الذي ورثه عن أسلافه، فثار ثورته المعروفة في السنة السادسة من حكمه حوالي سنة ١٣٧٧ قبل الميلاد ليتخلص من اولئك الكهنة الامراء ومن سلطانهم، بل ومن معبوداتهم، وكثيراً ما تلعب السياسة دورها تحت ستار من الدين.

دكتور باهور لبيب

أهم المراجع

Maj Sandman, Texts from the time of Akhenaten,

Én, Drio ton, Trois Documents d'époque Amarnienne.

K. Seihe, Urkunden der 18. Dyn.

A. Moret, L'Egypte Pharaonique

والجزء الثاني من مجموعة تاريخ الامة المصرية الذي نشر تحت رعاية المغفور له جلالة الملك فؤاد الاول باللغة الفرنسية!

Én Drioulon et Vandir, L'Histoire de Peuples Mediteranean,

Scharff und Seidl, Rechtsgeschichte der alten Aegypten

W. Wolf, Vorläufer des Reformation Echnatons

H. Schäfer, Amarna.

A. Erman, Die Religion der Aegypter

اذا أخذت ثاوس للكتابة فاقتصر على الفيد من المعاني، واكتب على اختصار قدر الحاجة، أما اذا أطلت مخطوطاً فلخص ما أطلت فيه، واوجز في ..... عباراتك، واجعل مختصرك دائماً بين يديك اذا أردت الاستذكار. في كم حالات من عشر، لا يقرأ لك إلا المختصر الذي لا تجهد نفسك في تحريره. ان قصة الخلق في التوراة قد رويت في ٤٠٠ كلمة، والوصايا العشر في ٢٩٧ كلمة وخطاب لنكلن الجلد الذي ألقاه في جتسبرج كلماته ٢٦٦. واعلان الاستقلال الاميركي، كتب في ثلاث ساعات.

الاحلام والروح

نشر المقتطف الأغر في عدد فبراير سنة ١٩٤٥ مقالاً تحت عنوان « قوة الدنيا — إلهامك الروحي قد يرفعك لحظات اليها » ويتضمن هذا المقال حادثة واقعية تختص بأحلام تحققت رآها في نومه صاحب المقام الرفيع احمد محمد حسنين باشا يوم ضلّ طريقه في الصحراء في رحلة كشفية . وكانت معه في القافلة السيدة الكاتبة الجوّالة روزينا فوربس ، وقد رويتها في كتابها « Gypsy of the Sun — غجرية الشمس » . وطلب المقتطف تعليلاً ممن يستطيع التعليل ، بشرط « أن لا ترد إلى المجهول الذي هو في الواقع اعتراف بالعجز عن التعليل » . فأليه التعليل : —

لكي نفسر طبيعة الأحلام يتحتم علينا أولاً أن نعرف طبيعة النوم . ولكي ندرك طبيعة النوم يجب أن نعرف طبيعة تكوين الانسان ، فنقول إن الانسان في الواقع جسد ونفس وروح ؛ فالجسد هو ما نرى وما نلمس ؛ والنفس جسم أثيري مطابق تمام المطابقة للجسد المادي خلية خلية ، والروح هي النفس والعقل المتلازمان دائماً أبداً . وقد استطاع العلماء تصوير أرواح الأحياء والموتى تصويراً فوتوغرافيًا باستخدام الأشعة تحت الحمراء ، واستطاعوا وزنها وعرفوا تحليلها الذري والجزيئي ، لأن الروح لم تخرج عن كونها مادة لا تستجيب لها المشاعر تشابك بالجسد اشتباك الماء بالعود الأخضر ، واستطاعوا كذلك تجسيد أرواح الموتى وأرواح الأحياء فيكون للحي المتجسدة روحه جسداً طبيعياً قد انفصل ما بينهما مسافات شاسعة . وبعد ذلك كله مشروحاً في الكتب الروحية الحديثة شرحاً مستخلصاً من التجارب المعملية . وقد يكون مستغرباً أن يحل جسمان (الجسد والروح) في مكان واحد في آن واحد ، ولكن الميكانيكا الموجية أثبتت خطأ القاعدة الطبيعية القائلة بذلك والتي تسمى قاعدة عدم التدخل ، وقالت انه يمكن لأكثر من جسمين أن تحل في مكان واحد ما دامت الأجسام من رتب اهتزاز متباينة .

ووصل العلماء إلى ذلك بعد أن أجروا تجارب أولية على أن هناك شيئاً ينسلخ من جسم الانسان ويجري أعمالاً وأحداثاً مادية . وكانت مدام كوري وزوجها العلامة كوري بـ

جمهرة العلماء الذين أجروا في المعهد السيكولوجي بباريس تجارب معملية كهربية في هذا الصدد ، فجاءت بثلاثة كشافات كهربية وشحنتها بالكهربية فافرغت الورقتان الذهبيتان لكل كشاف بالطبع ، واستطاعت وسيطة روحية أن تفرغ الكشافات الثلاثة في لحظة واحدة دون أن تلمسها . ويراجع في ذلك كتاب « بحوث معملية في الظواهر الروحية » تأليف العلامة السيكولوجي الدكتور هيربوارد كارنجتون ، ومحاضر جمعية البحوث النفسية البريطانية ، و « موسوعة العلم الروحي » لمؤلفها العلامة الدكتور ناندور فرودور . ولما كان الكشاف الكهربي لا بد أن يلمس لكي تفرغ شحنته خلال إصبع الشخص الذي يلمسه إلى جسمه إلى الأرض ، فالنتيجة المنطقية لهذه التجربة أن شيئاً ما انبثق من جسم الوسيطة البعيدة عن الكشاف ثم لمسه فافرغت شحنته خلاله إلى جسم الوسيطة ثم إلى الأرض فاذا قلنا بعد هذا ، وبعد تجارب أخرى كثيرة لا يسع المقام بشرحها ، ان الروح تنسلخ من البدن مع بقائها متصلة به لا نكون قد تخطينا الحق والواقع .

ويرى الدكتور الكسيس كاريل الطائر جائزة نوبل في الطب الجراحي والفسيولوجيا يقول في كتابه الفذ « الانسان ، ذلك المجهول » في الفصل الرابع الخاص بالمناشط العقلية : « في كثير من الحالات قد يتصل فرد آخر بشكل ما وقت الموت أو عند الخطر العظيم . ذلك أن الشخص المحتضر أو الذي يقع ضحية حادث ما يظهر لاحد أصدقائه بمظهره العادي حتى في حالة ما لم ينته الحادث بالموت ، ويمكث هذا الشبح لا يلبس بشيء عادة ، وأحياناً يتكلم معلناً عن موته » .

ويروي العلامة باترزبي في كتابه النفيس « الانسان خارج جسده » الذي ظهر في شهر مارس سنة ١٩٤٣ أن أحد أعضاء مجلس النواب الارلندي احتج يوماً لدى المجلس بأنه ليس عصفوراً ، وانه لا يستطيع أن يوجد في مكانين في آن واحد . ولكن هذا العمل العظيم إذا استحال على الطائر فقد أتاه غير مرة أعضاء مجلس النواب البريطاني . ذلك أن سير كارن راش رئي في مجلس النواب البريطاني بينما كان طريح الفراش في داره ، وأن سير جلبرت باركر وسير آرثر هيتر قد رأياه . وقال سير جلبرت « لقد دهشت قليلاً حينما قابل راش هز رأسي بما بدا كأنه تحيته ، وقابل استفساره العادي بالصمت » . ومضى يقول انه حينما اختفى جسم صديقه فجأة وفي صمت أيقن أن ما رآه لم يكن إلا شبحاً ، وان راش لا بد أن يكون قد أمضه المرض وأضناه . وقال سير آرثر هيتر الذي رأى الشبح كذلك وحياه إنه لاحظ أن سير كارن راش كانت تعلو سحنته صفرة ، وانه جلس في مقعد بعيد عن مقعده العادي .

ويروي باترزبي كذلك أن الدكتور مارك مكدونيل قد ظهر في المجلس بينما كان مريضاً طريح الفراش في داره ، وقد رآه زملاؤه أعضاء مجلس النواب البريطاني في يومين متتاليين وهو يعطي صوته.

في ضوء هذا الذي مرّ بنا — على اقتضابه — نستطيع أن نفسر طبيعة النوم . فما هو النوم ؟ يقول الدكتوران السيكولوجيان ملدون وكارمخيتون في كتابهما « طرح الجسم الروحي » عن النوم ما يأتي :

« قدم البحّاث فيما مضى عدة نظريات لتفسير النوم ، ولكنها رفضت كلها إذ لم يكن من بينها واحدة ملائمة تفي بالغرض . فمثلاً تلك النظريات المسماة النظريات الكيماوية تحاول تعليل النوم باقتراضها تكوين مواد سامة داخل الجسم خلال ساعات اليقظة ، ثم تقريرها أن النوم يبدد هذه المواد . وترمي بعض النظريات إلى أن سبب النوم حدوث حالات غريبة في دورة المخ الدموية ، ويقول بعضها إن النوم راجع إلى وجود غدد خاصة ، وبعضها يلسبه إلى الاسترخاء العضلي ، ويقول بعضها إن الحاجة إلى منبهات خارجية تكفي لاحداث نوم عميق .

« ولكن هذه النظريات كلها عجزت في الواقع عن تفسير الحقائق ، ومما لا شك فيه أننا لن نصل البتة الى نظرية صحيحة ملائمة تفسر النوم ما لم نسلم بوجود قوة حيوية ووجود روح آدمية قائمة بذاتها تنسحب كثيراً أو قليلاً من الجسم خلال ساعات النوم للحصول على تقوية وتغذية روحيتين خلال استيطانها الموقت في عالم الروح »

فالنوم على هذا الاعتبار طرح روحي مؤقت . ومعنى ذلك ان الروح خلال النوم تغادر الجسد ثم تمضي في سياحاتها فتجوب في عالم الروح وعالم المادة ، ويتعدم لديها الزمان والمكان بالمعنى الذي نفهمه فترى من الأحداث الشيء الكثير وتكون خلال ذلك كله متصلة بالجسد المادي بحبل أثيري يستطيل وينكمش وينثني ويخترق الجدران والحوائل المادية . فاذا أفلت هذا الحبل من الجسد حدث طرح روحي دائمي للروح أي موت . فالموت طرح روحي دائم والنوم طرح روحي مؤقت . ويرى اصحاب الجلاء البصري منا نحن الأحياء أرواح الموتى وأرواح الأحياء المطروحة . ويقول الله تعالى في كتابه العزيز « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها ، فيمسك التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى الى أجل مسمى »

وما دام النوم طرحاً روحيًّا مؤقتاً فان الأحلام ، وعلى الأخص أو على الأقل الأحلام الشاذة ، تكون سياحات بالروح في عالم الروح وعالم المادة . وفيما يلي مثل توضيحي :

كتبت إليّ من الاسكندرية الآنسة أبكار السقاف تستفسر عن بعض ما ترى من الظواهر الروحية ومن بينها الأحلام . وعبارة الآنسة الفاضلة تنم عن أدب عميق واطلاع واسع . وفيما يلي الجزء الخاص بالأحلام من خطاب محرر منها اليّ بتاريخ ٢ يناير سنة ١٩٤١ قالت : « هل لعالم الأحلام ، عالم الرؤيا ، حقيقة كتلك التي لعالم الروح ؟ إن لي أحياناً تنبأ لنا في أحلامها قبل حدوث الوقائع الخاصة في التاريخ . أقول الوقائع الخاصة إذ أننا في هذه الآونة نتمثل . فمثلاً تنبأت لنا قبل الحرب بشهور طويلة وقالت لنا إنها ستعلن يوم أول سبتمبر سنة ١٩٣٩ ، وكذلك قالت ان في هذه الحرب نرلما ستسلم .... وقد تحقق حلم آخر لها لعله على شيء من الغرابة يستحق الانتباه .

« كان لنا صديق يتردد على زيارتنا وإن كنا لم نزره في منزله ، وبيننا وبين المنزل مسافة لا بأس بها . وحدث أن مرض ذلك الصديق فأردنا عيادته . ولكننا لا نعرف منزله . وكانت ليلة وفي الصباح قالت لنا إنها رأت طريق المنزل في نومها وعرفت المنزل نفسه . وكان أن ذهبنا تحت إرشادها . ولما بلغت المنزل قالت « هذا هو الذي رأيته » ومن المدهش أنه كان هو !

« وغير ذلك حوادث أحلام لها كثيرة جداً جداً . فهل لهذا علاقة بعالم الروح ، وهل هناك أية كتب ترشد لحل سر هذه الظواهر المحيرة ؟ لقد سألتها كيف تفهم من الأحلام ما الذي سيحدث فقالت إن هناك رجلاً تراه في المنام يقول لها ذلك ، هو نفس الرجل في كل حلم لا يتغير » .

ومما جاء في كتاب « طرح الجسم الروحي » وهو غريب في الأحلام قول أحد مؤلفيه وهو العالم ملدون « لقد رأيت في الحلم مرتين أني أنقل أشياء في منزلي ، وعند استيقاظي وجدت الأشياء قد نقلت فعلاً كما رأيت » وقوله « يتحدث الدكتور بيرنز عن رجل رأى في حلمه أنه يدفع باب حجرة في بيت بعيد عنه ، وقد كان الدفع من القوة بحيث كاد يعجز الموجودون في تلك الحجرة عن مقاومة الضغط ! ! »

فاذا اعترض معترض على حلم ملدون بأنه كان جولاناً خلال النوم لأن الأشياء نقلت في المنزل الذي ينام فيه فبماذا نعلل حلم ذلك الرجل الذي رأى أنه يدفع باب حجرة في بيت بعيد عنه وشعر الموجودون بالدفع ؟ إنها الروح المطروحة دون شك .

بل أن ملدون يتحدث كذلك عن نوع من الطرح الروحي يقال له الطرح الارادي الواعي ، وفيه يطرح الانسان روحه طرحاً واعياً . وقد مرض بهذا الطرح كثيرون من بينهم الطبيب الدائع الصيت الدكتور الكسندر كانون . فقد كان يطرح روحه وهو في لندن ليقابل صديقاً له في الهند . ويراجع في ذلك كتابه « التأثير غير المنظور » وكتابه « القوى الكائنة » . ويقول ملدون إنه طرح روحه ذات مرة طرحاً واعياً ثم ذهب الى الحجرة

التي تنام فيها أمه وأخوه الصغير ودحرجهما من فوق الفراش . ويقول انه طرح روحه مرة من حجرة نومه الى فناء منزله الخلفي وكان هناك حوض من الزنك فطرقه طرقاً شديداً بمطرقة كانت ملقاة بجواره، ثم عاد مسرعاً إلى جسده مخترقاً الجدران اليه وثوى فيه بسرعة وسمع صوت الطرق بعد أن ثوى في جسده . ويلاحظ أن سرعة الروح أكبر من سرعة الضوء بمراحل فابالك بالصوت . وقد سمع الصوت كذلك ثلاثة أشخاص .

وقد يسأل سائل وكيف استطاعت الروح الاثيرية المطروحة أن تؤثر في جسم المطرقة المادي فترفعه . وهنا يقول كارنجتون وملدون في الرد على السؤال ان قوة الارادة الخفية الواعية تجعل الجسم الاثيري يتصلب فيتمكن من احداث طرق أو دفع أو رفع أو ما إلى ذلك . ويضاف الى هذا أن من وهب الوساطة الروحية يكون أقدر من غيره على إحداث هذه الظواهر المادية عن طريق الروح .

ولمزيد بعد هذا — على اختصاره بل على اقتضابه — الى رؤى السيد احمد محمد حسنين باشا فنقول إن حالة الطرح الروحي ظاهرة كل الظهور . وتلك السيدة التي رآها في حلمه متشحة بالبياض روح تحنو عليه أسرعت اليه لتدله على طريق النجاة ، وقد مرت به وهي تستصحبه على ما شاهده في طريقه بروحه المطروحة في الحلم ثم رآه بعد ذلك في اليقظة . وقد تكون هذه السيدة روح احدى قريباته اللاتي انتقلن الى عالم الروح .

وليس غريباً أن يحمل معه السلسلة وأن يدفعها كما حمل ملدون المطرقة وقد يلقي هذا النقل شيئاً من الضوء على مسألة المجلوبات الروحية التي ينقلها الوسطاء الروحيون ، أو يجيئون بها في لحظة من أقاصي الجهات ، من أمثال المرحوم الشيخ سليم الطهطاوي . وليس غريباً كذلك أن يرى آثار الأقدام ، فالضغط الحادث على الرمل واللازم لاظهار آثار الأقدام أقل كثيراً من ضغط ذلك الحالم الذي رأى أنه يدفع باباً وكان الدفع من القوة بحيث عجز الموجودون عن مقاومته .

وأما التنبؤات فتجيء عن طريق تتبع أشعة الضوء في لوحة الفضاء والزمن . وكلما كان الروح المتقمص أقدر على تتبع هذه الاشعة واستخلاص ما ترسمه من حوادث كان أقدر على معرفة الاحداث المقبلة . ويلاحظ أن العلامة اينشتاين قال في نظريته عن النسبية باندماج الماضي والحاضر والمستقبل معاً ، وأثبت أن في الكون نقطاً لو وجد فيها عقل واع لرأى الماضي والحاضر والمستقبل .

وفي كتاب « تجربة في الزمن » لمؤلفه العلامة دان Dunne شرح مستفيض لهذه الاحلام التنبؤية فليرجع اليه من شاء .

فالأمر من ثم مقبول ومعقول في حدود قضايا العلم الروحي الحديث والعلم الفيزيقي الحديث. والذي يمكن استخلاصه من هذه الحادثة هو ان السيد احمد محمد حسنين باشا وسيط روحي موهوب، وان في استطاعته أن يدرّب نفسه على أنواع الوساطات الروحية ومن بينها الطرح الروحي الواعي.

والإلهام الروحي وساطة روحية ما في ذلك شك، ويفسره القانون الروحي القائل بتجاذب الأشباه بين الأرواح سواء أكانت متجسدة أم طليقة. ولكن المسألة هنا لم تكن الهاماً بل طرحاً روحيًّا كما مرَّ بنا.

احمد فهمي أبو الخير
مدير ادارة البيضا التعليمية بوزارة المعارف

اصل الانواع لدروين

في أوائل سنة ١٨٦٠ ظهرت في انيركا الطبعة الاولى من كتاب أصل الانواع، وبالرغم من السحب المتتابعة التي جالت في جو اميركا السياسي حول مسألة تحرير العبيد، فان ظهور كتاب «دروين» قد أحدث أثراً عظيماً في الناس. ولقد تقسم الناس ازاءه انقساماً شديداً، وكان حول اتجاههم دليل صرف. فبين أيديهم كتاب يمكن تفسيره بما ينزل الانسان عن المرتبة التي درجت عليها القرون.

وقف أكثر رجال الدين موقف العداء من «أصل الانواع» وتفسيره على انه كفر والحاد، ولكن بعضاً منهم قالوا بأن هذا الكتاب لا يسلب الانسان شيئاً من منزلته العليا في الوجود، ولا يؤثر في رفعة الانسان من حيث أصله وتسلسله. ولقد قيل «منري وارد بيتشر» مبدأ التطور، بالرغم من انه كان أعظم وعاظ عصره، قائلاً انه «مفتاح كثير من أسرار الحياة».

ولم يقتصر الامر على رجال الدين، بل جاراهم في ذلك رجال العلم. وان من أعظم احداث التاريخ الحديث أن «لويس اغاسيز» وهو من أكبر رجال علم الاحياء في أميركا، قد انضم الى المقاومين لفكرة التطور الدروينية، وأيده في ذلك زميله «جيمس دوس لويد»، قائلاً انه من المحافظين الذين يؤيدون الدين ويقبلون التطور.

لقد كان موقف اغاسيز موقفاً عجيباً. فان هذا الرجل الذي يكشف عن السبب في حدوث العصر الجليدي ويقول بأن قمة الارض الجليدية انحدرت من الشمال فغطت جزءاً عظيماً من شمال الكرة، لا يقف حائراً حين تقوم نظرية بسيطة كنظرية التطور!

وهو الذي استغل مجموعات الاسماك فجمع بذلك ١٥٠٠ نوع منها، فلم تأته فكرة ان نوعاً قد يتطور ابتداءً منه نوع آخر، فكونه تكوّن وانواداً! ولكن الدهر قد حبا ذلك الجهد ليكون من نصيب «البرتي رسل والس» الذي ظهر بأرجاء الجزيرة، كأن فيها ضيقاً، لا عالماً أصيلاً، فجاء ورث دروين العظيم.

من أنواع النبات

الطبي

﴿ البَرَنْجاسَف والبَرَنْجاسف ﴾ نبات من الفصيلة المركبة يعرف في مصر بالشيبة يشبه الافسنتين له ورق دقاق بيض وصفر ويظهر في الربيع والصيف ويُسمَّى « بالبزر الخراساني » وفي اصطلاح النباتيين Artemisia arborescens وبالانكليزية Shrubby wormwood وبالفرنسية Armoise en Arbre وهو مقوٍّ مدر للطمث طارد للدود

﴿ البُزور ﴾ اسم يطلق على « السُّورنجان والسَّورنجان » نبات من الفصيلة الزنبقية يكثر بالشام وأوربا وشمال افريقية اسمه النباتي Colchicum autumnale وبالانجليزية Meadow Saffron وبالفرنسية Colchique d'Antomne; Tue—chien أصله كالكلى مستديرة بيضاء ليفية تؤكل مشوية وهي تشتمل على شبه قلويّ يسمّى « كولشيين » وتستعمل مسهلاً ومقيئاً ومنبّهاً مرضيًّا . والكولشيين يحصل عليه من البزور أيضاً ويتداوى به مضادًّا للألم العصبيّ ووجع المفاصل .

﴿ الشَّرْبَد والشُّرْبَذ ﴾ أصول غليظة ودقيقة يُؤتى بها من الهند وهو نبات من الفصيلة العمودية أو اللّلافة ينبت في بعض حدائق القاهرة والاسكندرية اسمه النباتيّ Ipoemaea Turpethum وبالانكليزية Indian jalap وبالفرنسية Turbith والتربد مسهل ويستعاض به عن الجَلَبَة

﴿ الناريقة ﴾ هو الرَّنْد ويسمَّى الغَار في مصر شجرٌ طيّب الرائحة من الفصيلة

الغارية اسمه النباتي Laurus nobilis وبالانكليزية Laurel وبالفرنسية Laurier تستعمل أوراقه اليابسة وثماره الناضجة للحصول على دُهن الغار الكثير المنافع

﴿ ناقِبُ الحَجَرِ ﴾ هو « البَسْفَايجُ » من الفصيلة البوليبودية اسمه النباتي Polypodium vulgare وبالانكليزية Common Polypody وبالفرنسية Polypode de Chêne; Polypode commun عروق دقاق الى السواد والحمرة اليسيرة أو الى الخضرة ذات شعب كالدودة الكثيرة الأرجل في داخلها شيء كالفستق غضوصةٌ وحلاوةٌ تُلتقَط من بين الصخور والأشجار الظليلة قيل تنفع للهايضوليا والجذام وتسمى « باضراس الكلب » و « بالكثير الارجل »

﴿ النَّفّاءُ ﴾ الرَّشاد وقد يقال له الخردل أو الحرْف عشب من الفصيلة الصليبية ينبت في مصر وله استعمالات طبية اسمه النباتي Nasturtium officinale وبالانكليزية Water-cress وبالفرنسية Cresson de Fontaine

﴿ الجَعْفَران ﴾ الزَّعْفَران نباتٌ له أصلٌ كالبصل وزهرهُ أحمر الى الصفرة من الفصيلة السوسنية اسمه النباتي Crocus sativus وبالانكليزية Saffron وبالفرنسية Safran Cultivé تشتمل السمّات اليابسة من أزهاره على غلوكوسيد يُسمّى « كروكتين » وتستعمل صبغاً أصفر في المأكولات وفي حانوت الحلويّات وكذلك صبغة ودواءً طارداً للريح ومدرًّا للطمث

﴿ الجَعْفَرُم والجَعْفَرُم ﴾ ويقال له « رَيْحانُ سُلَيْمان » و « رَيْحانٌ فارسيٌّ » نباتٌ من الفصيلة الشفوية اسمه النباتي Ocimum gratissimum وبالانكليزية Shrubby Basil وبالفرنسية Basilic en Arbre قوامهُ شبيهة بقوام الشيح مفتّحٌ محلّلٌ للرياح . يوجد كثيراً في جبال أصفهان

﴿ الجَنّاحُ الشاميُّ ﴾ الرّاسن بالفارسية نباتٌ تنفرش أوراقه على الأرض وهي طويلةٌ تبلغ الورقة منها الى طول ذراع من الفصيلة الركبة ينبت بالولايات المتحدة الاميركية وأوربا

وآسيا الوسطى اسمه النباتي Inula Helenium وبالانكليزية Elecampane وبالفرنسية Aunée تشتمل أرومته على مواد كربوهيدراتية أي نشوية وهي عطرة الرائحة وتستعمل دواء دافئاً للبلغم (منفثاً) ومنبهاً .

﴿ جوز الجندم وجوز جندم ﴾ ويعرف « بجوز الحمام » و « شحم الأرض » شجر ينبت في جزائر ملوك وجاوة من الفصيلة الجتيفرية اسمه النباتي Garcinia Mangostana وبالانكليزية Mangosteen وبالفرنسية Mangoustan وهذا الجوز يؤكل فاكهة لذيذة وله قوة مبردة مطفئة ملينة قليلاً ومضادة للأمراض الحفرية (الاسقربوطية) وقشره قابض طارد الدود .

﴿ الحارة ﴾ الخرف ويسمى في مصر الرشاد وحب الرشاد . وسمي بالرشاد تفاؤلاً لان الخرف مضاد الحرمان . بقل من الفصيلة الصليبية اسمه النباتي Lepidium sativum وبالانكليزية Garden Cress وبالفرنسية Cresson Alénois له منافع مذكورة في كتب الطب القديمة .

﴿ الحامول ﴾ كما يسمى في مصر هو الكشوث والكشوث والكشوثى والكشوثاء وقد تفهم الكاف فيهما والاكشوث وبالثاء المثناة في الكل . جنس نبات طفيلي من الفصيلة المحمودية أو اللاغة يلتف على أنبتة أخر ولا عرق له في الأرض يشبه الخيط المكي لا ورق له وله زهر صغار بيض فيه مرارة وغصوصة اسمه النباتي Cuscuta وبالانكليزية Dodder وبالفرنسية Cuscute له منافع مذكورة في كتب الطب القديمة .

﴿ حب الرمل ﴾ معروف في مصر بالسعيط وفلفل السودان وحب العزيز . جذور نبات من الفصيلة السعدية اسمه النباتي Cyperus esculentus وبالانكليزية Earth Almond; Rush Nut Amande de Terre; Souchet Comestible وبالفرنسية له منافع مذكورة في كتب الطب القديمة .

محمود مصطفى الدمياطي

باب المراسلة والمناظرة

مقاومة مرض الملاريا

العدول عن سياسة تجفيف حقول الارز

وتوفير مبالغ ضخمة على الدولة

وافى مجلس الوزراء في الشهر الماضي على مذكرة لصاحب المعالي الاستاذ ابراهيم عبد الهادي بك وزير الصحة متضمنة وجهة نظر الوزارة في امر زراعة الارز بالمملكة المصرية وذلك في حدود علاقتها بمرض الملاريا ومقاومته نقتطف فيما يلي :

أتشرف بأن أعرض على دولتكم وجهة نظر وزارة الصحة في امر زراعة الأرز بالقطر المصري وذلك في حدود علاقتها بمرض الملاريا ومقاومته .

١ — انه مع التسليم بأن مزارع الأرز من الاماكن الأكثر صلاحية لتوالد بعض أنواع البعوض الناقل لمرض الملاريا فقد استقرت سياسة الدولة على وجوب الاحتفاظ بتلك الزراعة لما لمحصول الأرز من قيمة في ثروة البلاد ووضعت التشريعات المتعددة والأوامر العسكرية للمساعدة على منع انتشار المرض كالامر الخاص بردم البرك والمستنقعات ومنع احداث الحفر التي يتوالد فيها البعوض والقانون رقم (١) لسنة ١٩٣٦ الذي يعطي وزير الصحة بالاتفاق مع وزير الزراعة الحق في اصدار القرارات اللازمة لمنع زراعة الأرز في دائرة معينة من حدود أية مدينة أو قرية يسري على القانون المذكور .

٢ — ولقد كان رأي وزارة الصحة دائماً ولا يزال معتقراً على قصر زراعة الأرز بالمناطق الشمالية لأن برودة الجو بها نسبيًا تعرقل نمو يرقات البعوض وتطور طفيلي الملاريا داخله حتى انه في الشتاء لا تحدث عدوى جديدة بالملاريا ، ذلك فضلاً عن ان تلك المناطق قد اعتادت زراعته من قديم فاكتسب سكانها بمرور الزمن مناعة نسبية من الملاريا . أضف الى هذا التساق نظام الصرف بها واعتياد الاهالي على استعمال المصارف كوسيلة لغسل تربة

الأرض من الاملاح لاستصلاحها الأمر الذي يساعد على تجفيف المزارع عند اللزوم وازالة المياه الآسنة مما يخفف زيادة توالد البعوض نوعاً .

٣ — على أن بعض الافكار في وزارتي الأشغال والزراعة كانت تحبذ منذ سنة ١٩٣٦ زراعة الارز في جنوب الدلتا بل في بعض بلاد الوجه القبلي .

٤ — وفي سنة ١٩٤٣ زادت وزارة الأشغال في تصريحات زراعة الارز ، ثم تلا ذلك ان اقترحت تجفيف مزارعه دوريًّا وكانت حالة المياه بادية القصور عن مواجهة المساحة الكبيرة التي زادتها التصاريح على غير سابقة .

وانه وان يكن اتخاذ قرار التجفيف قد لبس ثوب الدعوى بأنه في صالح زراعة الارز وزيادة غلتها على ضوء تجارب البرتغال كما قيل بأنه تقرر في صالح مقاومة الملاريا لان التجفيف يقضي على توالد البعوض الناقل لها ، الا ان الحاجة الاولى لم تكن مفهومة كمبرر لتجفيف المزارع القصيفة التربة الكثيرة الاملاح كأراضي شمال الدلتا . والرأي مجمع على أن تجفيفها معناه طغيان الاملاح على سطحها والقضاء على النبات أو اضعافه كما وقع فعلاً ، وكانت النتيجة نقصاً في متوسط محصول الفدان .

كذلك فان عملية التجفيف التي لجأت اليها وزارة الأشغال رغم معارضة وزارة الصحة وأرصدت لها في سنة (١٩٤٣) ٥٠ الف جنيه كرتبات للمشرفين من عمال وزارة الزراعة على ملاحظتها هذه التجربة قد فشلت تماماً على التفصيل الآتي :

فمن الناحية الادارية ظهر ان ٢٥،١ في المائة من زراعات الارز لم تجفف في المواعيد المقررة .

ومن الناحية الصحية ثبت ان نسبة مزارع الارز التي بها يرقات البعوض الناقلة للملاريا ٣٠ر٦ ٪ سنة ١٩٤٣ بينما كانت هذه النسبة في العام السابق لقرار التجفيف ٢٥ر٧ ٪

ومما تقدم يثبت أن إجراء التجفيف لم ينتج أثراً ، لا من الناحية الاقتصادية ، ولا من الناحية الصحية .

٥ — وكان المأمول أن تضع هذه التجربة الغالية الثمن حداً لمشروع تجفيف زراعات الارز ، إلا أنه تقرر اعادة تلك التجربة في سنة ١٩٤٤ — رغم معارضة وزارة الصحة — تقرر فتح اعتماد قدره ١٢٣٠٧٠ جنيهاً في الجزء الباقي من سنة ١٩٤٤ وفتح اعتماد سنوي قدره ٣٠٩٨٦٠ جنيهاً في ميزانية وزارة الزراعة لانشاء وظائف دائمة لموظفين يكون تجفيف زراعات الارز أحد واجباتهم، وصدر الأمر العسكري رقم ٤٧٢ لسنة ١٩٤٤ بالاستمرار في

تجفيف زراعات الأرز دوريًّا لمقاومة البعوض وأبحث زراعته في كل من الدلتا والفيوم، ومنعت في باقي الوجه القبلي بناءً على الحاح وزارة الصحة.

وقد استمرت وزارة الصحة من جانبها في استقصاء نتائج تجربة التجفيف مرة أخرى فأوفدت ملاحظيها تحت اشراف طبيب اخصائي في الملاريا لفحص مزارع الأرز دوريًّا وبعد قيامه بمهمته قدَّم تقريره النهائي وكانت خلاصته ما يأتي: —

١ — ان ٨٤ر١ ٪ من مجموع زراعات الأرز التي فحصت وقدرها ٥٦٨٠ زراعة لم تجفف مخالفةً بذلك الأمر العسكري.

٢ — وجدت يرقات الأنوفيل الفرعوني ٢٦ر٥ ٪ من مزارع الأرز في يونيو سنة ١٩٤٤ وكانت في نفس الشهر من سنة (١٩٤٣) ٢٥ر٧ ٪.

٣ — في جنوب الدلتا خصوصاً مديرية المنوفية، لا يمكن الزراع أن يجففوا أراضيهم ولو حاولوا في الجهات التي لم تمر بها المصارف العمومية، وهم في المناطق التي بها مصارف عمومية لا يتمكنون من التجفيف لعدم وجود المصارف الفرعية.

والآن وبعد طول التجارب الكثيرة التكاليف، نرجو النظر في تقرير برنامج لزراعة الأرز يلحظ فيه الاعتبارات الآتية:

١ — منع زراعة الأرز في الوجه القبلي واستمرار الأمر القاضي بحظر زراعته هناك.

٢ — حصر زراعة الأرز في مناطق شمال الدلتا حيث وسائل الصرف كاملة والجو أصلح

٣ — العدول عن سياسة التجفيف التي لم تفد من الناحية الصحية ولا من الناحية الاقتصادية، توفيراً للمبالغ الضخمة التي أرصدت لتنفيذها على غير جدوى وعدم تجديد الأمر العسكري الخاص بالتجفيف.

وأرى وقد انتهيت من بسط الموضوع، ان أرفق مع هذه المذكرة بياناً من وزارة الزراعة وآخر من وزارة الأشغال تبينون دولتكم منه نسبة المحصول في سنة ١٩٤٣ أو سنة ١٩٤٤ وعلاقة ذلك بنسبة المياه من جهة ومساحة الأرض التي صرح بزراعتها من جهة أخرى وهو مصداق لكل ما ذهبنا اليه.

كما ترون دولتكم ان كمية الأرز الناتج من مديرية الفيوم محدودة لا تؤثر شيئاً يذكر في مجموع المحصول العام ولا تقاس قيمتها بالقيمة الصحية المحققة من عدم زراعته هنالك هذا العام.

العالم المجهول

في قمة الدنيا

نقل المقتطف في شهر فبراير الماضي واقعة تحت عنوان « قمة الدنيا » عن كتاب روزيتا فوربس التي صحبت رفعة حسين باشا في رحلته في الصحراء . وعنوان كتابها عرافة الشمس Gypsy of the Sun . وموضوع القصة روّي رآها حسين باشا في إبان تيه رحلته في الصحراء ومعاناتها الظمأ لضلالها عن آبار الماء ، ونبوءات عن مستقبل رفعته المجيد . وفي سياق الحكاية أخبار التفريج لأزمات الرحلة المهلكة وتحقيق لنبوءات الرؤيا . وظهر ان بعض قراء هذه القصة أيقنوا بصحتها اعتماداً على إسنادها الصريح إلى اسم رأي الرؤيا حسين باشا.

أما أنها نشرت في كتاب « عرافة الشمس » للسيدة روزيتا فوربس فلا يهمنا كثيراً، لأن هذه الكاتبة تبتغي ترويج كتابها بين قراء الانكليزية بنسج مثل هذه القصص التي تنطبق عليها تسمية الكتاب . ولكن القصة نشرت في المقتطف المعلوم انهُ أرقى مجلة علمية عربية مدققة في مباحثها فاكتسبت اعتباراً من القراء،ولا سيما لأن المحرر علّق عليها بهذه الجملة : — ألا يحق لنا أن نعتقد أن الالهام الروحي قد يرفع الانسان لحظات يكون فيها فوق قمة الدنيا فيغزو العالم المجهول من غير أن يدرك انه غزاه »

فنتمنى والحالة هذه أن نسمع القصة من قلم حسين باشا لكي نرى كم هي مطابقة للواقع. وكذلك نود أن نرى ما هو رأي رفعته في تعليل الرؤيا هذه . ورفعته منقف ثقافة عليا منزهة عن الاوهام . وإذا سكت رفعته عن رواية السيدة روزيتا فوربس في كتابها المنتشر في عالم آخر غير عالمنا فلا حرج ، ولكنهُ إذا سكت عن نشرها بلغتنا العربية فنخشى أن تغذي الأوهام الشائعة في عالمنا العربي .

بقيت كلة أخرى استأذن حضرة المحرر أن يتسع صدره لها وهي بشأن تعليقه على القصة ان قوله : « ان الالهام الروحي قد يرفع الانسان لحظات يكون فيها فوق قمة الدنيا يغزو العالم المجهول » فسألة فيها نظر أو نظرات .

ماذا يراد بالالهام الروحي ؟ من هو الملهِم ومن هو الملهَم (بكسر الهاء في الأول وفتحها بالثانية) . ولا بدَّ أن المراد برفع الانسان فوق قمة الدنيا ليغزو العالم المجهول هو روحه أو على الأصح هو عقله الباطن . أي ان الروح توعز إلى نفسها ان ترتقي إلى العالم المجهول . وهذا يحدو بنا إلى التساؤل عمَّا هو العالم المجهول .

فان كنا نعرف شيئاً من ظاهرات هذا العالم المجهول فيجب علينا أن نعترف بوجوده

ولو كنا نجهل كنهه ، وعلينا أن نبحث عن سرّه . وان لم نكن نعرف شيئاً من ظاهراته فلا يحق لنا أن نفترض وجوده، بل يجب أن ننكر وجوده . وإلاّ فيمكننا أن نفترض ألوفاً من المجهولات ونوجب على كل واحد أن يعترف بوجودها .

مثال ذلك ، يقول لك قائل : « لا تستطيع أن تنكر وجود الكهرباء فيما أنت تجهل سرّها » نعم لا أنكر وجود الكهرباء لأني أرى ظاهراتها وأشعر بوجودها في المصباح والترام والراديو، ولذلك أحكم بوجودها وان كنت أجهل سرها .

ولكني لا أستطيع أن أعترف بوجود عالم المجهول وأنا لا أرى ظاهرة منهُ تدل على وجوده أو على ماهيته . وإذا أريد أن تعتبر هذه الرؤى والأحلام ظاهرات هذا العالم المجهول . فلا بأس . ولكن هذه الظاهرات التي تدل عليه موجودة في أدمغة الرائين والحالمين وأمثالهم ، وليست فوق قمة الدنيا ، وما خرجت عن دائرة العقل، الذي هو من عمل خليات الدماغ لا غير . اذاً هذا العالم المجهول موجود في أدمغتهم .

واذا أريد بقمة الدنيا ما وراء الطبيعة، أي ما وراء الأكوان المادية المحدودة الحيّز ، فليس هناك إلاّ العدم أو الفضاء اللامتناهي . وان كان وراء العوالم المادية عوالم أخرى ، فلا ندري عنها شيئاً البتة ، ولا نستطيع الاتصال بها لأن مشاعرنا الحس وحواسنا العقلية لا تتصل اليها . وبالتالي لا نعترف بوجود عالم مجهول مفروض إذ لا دليل لنا عليه .

نجيب الحداد

نظام الاكل

ان المآكل التي نتغذى بها ونعيش عليها مكونة من مواد زلالية ودهنية ونشوية وأملاح وماء ، وان الجسم البالغ يحتاج الى اقدار منها تختلف باختلاف العمل الذي يمارسه ، وان ما يولده الجرام الواحد من المواد الزلالية نحو ٤ وحدات حرارة والدهنية نحو ٩ والنشوية نحو ٤ ومعدل ما يستهلكه الجسم العامل نحو ثلاثة آلاف وحدة في اليوم .

ونسوق كلمة وجيزة عن النظام الذي يجب ان يعيش عليه الآكل عند ما يجلس الى المائدة . واحترام هذا النظام يعادل في أهميته الغذاء نفسه فعليك أن تغسل يديك ووجهك وفمك قبل ان تمد يدك الى الطعام . وهذا الشرط له أهمية عظيمة الشأن في عملية الهضم والصحة، تضارع أهمية الغذاء وما فيه من فائدة للجسم . فاطعام الحذار من اهماله او التردد في القيام به بدافع الجوع أو ضيق الوقت أو ماشاكل ذلك فقد يكلفك الاهمال فيه أضعاف ما دفعك اليه وحرصك عليه . فاذا كان الجوع هو الباعث الأول الى اهماله فقد تحرم من الأكل بسببه أياماً وأسابيع

وتفقد من الوقت ان كان ضيق الوقت الذي حرّضك عليه؛ أضعاف الوقت الذي اقتصدته في أعماله . والذي يجعل غسل يديه قبل الأكل يهمل الشرط الثاني وهو الاعتدال بمقدار ما يأكل ومضغ ما يأكل جيداً . والشرط الثالث هو ان تأكل في ميعاد فلا تتعداه ولا تقدمه ولا تؤخره لأي سبب من الأسباب ، وعلم الوقاية يقول في ضرورة الأخذ به والعمل بالنظام التام كاملاً وعلى أتم وجه . ومن أكل في غير نظام وعاش على غير قاعدة يتبعها في أكله وعمله ، تسوء صحته ويضطرب جهازه الهضمي بين حين وحين ، كما تجده مضطرباً في أعماله وأقواله ، يأكل اليوم في الساعة الواحدة بعد الظهر ، وغداً في الرابعة ، وبعده في العاشرة صباحاً ، او لا يأكل الا في المساء او عند ما يشعر بالجوع ، وانه وعد بانجاز عمل كلف به لا ينجزه في الموعد الذي حدده ، وان ضرب ميعاداً لمقابلة تخلف عن الموعد الذي ضربه ، وان أخذ منك كتاباً يطالعه فلا يرجعه اليك ولا يطالعه ، وهكذا تجده في كل أعماله متقلقلاً .

وأكثر الناس انتاجاً واستقراراً هو الذي يعيش ويأكل ويعمل بنظام ، ومن أكل بنظام عمل بنظام أيضاً .

وفي الكتب المنزلة يفرض الصوم على المؤمن بها لا لتجويعه واذلال نفسه فحسب ، وانما لتعويده على الأكل بنظام وخير ما في الصوم من فائدة يستفيد بها الصائم ، هي ضبط مواعيد الأكل ، وتنسيق المعيشة على قاعدة منظمة صحية ، واحترام مواعيد الأكل ، لا تقديم فيها ولا تأخير . والأسرة التي تعيش على نظام في أكلها تنجب أولاداً منظمين ، وفي الأرجح يكونون من الناجحين في أعمالهم العامة والخاصة . واذا عمّ النظام معيشة أمة استقام امرها وعلا شأنها ، وارتفع مقامها بين الأمم ، ويقولون إن أسباب تقهقر الشرق عن الغرب ، بعد ان كان متقدماً عليه هو الدين وتعصب أتباعه على مختلف مذاهبهم ونحلهم . والواقع أن الدين بريء وانما تقهقر الشرق يرجع الى عدم احترامه للنظام سواء كان في أكله أو معاملاته ، كما نستطيع أن نقول إن أسباب تقدم الغرب هو احترامه للنظام في معيشته وسائر مرافق الحياة .

والخلاصة ان الأكل بنظام مقيد بميعاد ، مفضل على الأكل المطلق من التقييد . وان الطعام الناقص الذي تأكله بنظام خير من الطعام الكامل الذي تأكله بغير نظام . وان تقدم الغرب وتقهقر الشرق سببه أن الغرب يعيش ويعمل في نظام وان الشرق لا يتقيد في معيشته واعماله بنظام ، واذا أردت أن ينهض الشرق من كبوته ويتقدم في حلبة العمران نظم معيشته ، وبث فيه روح الثقافة الصحية والاجتماعية ، عليه أن يحترم الوقت الذي هو جزء من حياته وان يحرص على الوقت الذي يعادل بقيمته الحياة وأكثر ما في الحياة من مباهج .

الدكتور شماشيري

مكتبة المقتطف

الى توفيق الحكيم

أتذكر أيها الصديق يوم تلاقينا في ندوة الإسناذ العقاد ؟

أتذكر يوم أصدرت روايتك الأولى « أهل الكهف » فوقفت منك موقف التحدي أدل القراء هي المصدر الذي أغرت عليه ، ونزعت منه فكرة تلك الرواية ، وكيف لم أنكر عليك براعتك في عرضك إياها عرضاً فنياً بديعاً ، وفي تقسيمها الحكم الدقيق ، وحوارها البالغ حداً من الجودة والاتقان ؟

أتذكر يوم أصدرت قصتك الثانية « عودة الروح » وما قلته لك فيها بأنها سطور مرقمة من امة سقيمة ، وتعابير مفككة ، واحصائيات فتوغرافية ، وصور ناصلة الالوان لفكرة قلقة مضطربة ؟

أتذكر يوم صارحتك القول في أين مقامك كأديب في كل ما كتبت حتى يومذاك ، وإن أقصر سة « أهل الفن » تحمل وحدها طابعك الشخصي ؟

إذا كنت تذكر ذلك ، فاعلم ان الشكوك قد لا بستني فيك ، وصاورتني الريب في أدبك فقد أخذت أتابع قراءة ما تؤلف وتنشر على الناس ولم يستقر لي قرار إلا يوم قرأت لك قصة « بيجماليون » فعندها قلت فيك . إنك أديب « صايغ » تحسن صناعة الصياغة الأدبية إحساناً عجيباً . أعني بذلك إذا أعطيت جوهرة ثمينة فأنت القادر العظيم على جعلها قلادة بارعة الفتنة الفنية تحمل بها أجمل عنق لأجمل سيدة .

***

تطورت معرفتنا فتصادقنا . أخذت أتطلع إلى دخائل نفسك ، وأتلمس مكامن سريرتك لم تكن بالكتوم الحذور ، بل كنت الودود في صداقتك ، الجهور في اعلان سرك ، تطلق نفسك على سجيتها فتعبر بأبسط بيان عما يجيش في صدرك ، ويضطرب في خاطرك .

لقد لمست فيك حياة أصيلة ، وشجاعة وصراحة ، ورغبة صادقة ، وشهوة مكبوتة .

فقلت لك : لقد وصمرك بعداوة المرأة فأنت والله راغب فيها لو كانت لك رغبة ، غير عيوف عنها لو كانت لك شهوة ، ولقد كذ بتني ليلة التففنا حول خوان عليه سائل مقطر يطلق اللسان من عقاله ، ويفتح مغاليق الأسرار ، فحكيت « لنا » حكاية مغامرة واقعية تنفي ما ترعمه فيك ، وكادت تهدداتك تذهب بالغبار العالق في ذهني منك ، ودموعك تغسل ما سطرته في لوحة صدري عنك ، فشاقني حكايتك ، فقلت « لكم » بأني سأصور حكاية مغامرتك هذه لأنها نكأت في صدري جرحاً توهمت انه اندمل ، فاستمهلتني ريثما أقرأ حكاية هذه المغامرة وقد خلدتها في كتاب أسميته « الرباط المقدس »

***

قرأت الكتاب فنسيت اني أقرأ لصديقي توفيق الحكيم ، بل فرحت لأني أقرأ لهذا الصديق الحكيم ، وتمنيت لو تضاعفت أعداد صفحاته لكنت قهرت النوم ، وتمردت على مفاتن الفجر الساحرة ، وبهاء شروق الشمس انجذاباً بقراءة هذه الحكاية البالغة حدّ الفتنة في العرض والسياق والتشويق والتصوير والمفاجأة والصراع والتعليف والوصف والتحليل

انتزعت نفسي من مآخذ السحر ، وتجهمت لك تجهم الناقد . أخذت أقرأ القصة ثانية ، فما كدت أفرغ من قراءتها حتى تحلت لي أطوار حياتك الأدبية على النحو الآتي :

١ — طور الاغارة على « الفكرة » ومثله رواية « أهل الكهف »

٢ — طور استعارة « الفكرة » ومثله رواية « بيجماليون »

٣ — طور الانفعال ومثله « الرباط المقدس »

وهناك طور وسط بين الثاني والثالث يحسن السكوت عنهُ ومثله « عودة الروح » وأخواتها .

هوذا دليل ناهض على انك يا صديقي غير راضٍ الرضى المطلق عن كل ما أعطيت وجددت في حياة الأدب والفن ، وان قصتك الانفعالية هذه « الرباط المقدس » قد لا تقف بك عند هذا الحد لأنك دائم التطور لا تستريح إلى الاستقرار ، وأزعم ان هذه الانفعالية ستدفع بك إلى اقتحام طور آخر هو « الواقعي » وعندها ستكون الحكيم الحكيم في الانطواء على النفس ، لا الطواة الزاهد بالحياة بل الطواء العارف بها المتمرد عليها ، وعندئذ ستكون من البارعين في وصف الخلجات وما يمت إلى الاحاسيس والشعور والوجدان . وصفاً بسيطاً صادقاً يجعلنا نؤمن انك حييت حقاً حياة الحبيب السعيد أو الشقي .

ليس المفروض بالقاص أن تكون قصته واقعية معروفة الأشخاص والمعالم بالذات . بل المحتوم عليه أن لا يخرج عن حدود ما هو ممكن في الحياة ، وهكذا فعلت . في قصة « الرباط

المقدس » ولكنك اعترفت ، أو بعبارة أصح انزلقت فضحت ما كان يتمس في ظلمات نفسك من ميل وشوق ورغبة وشهوة للمرأة التي تخافها وتجهل منها ، فوصفتها وصف غير الشوان برحيقها ، ولا الخمور من أنوثتها ، ولذلك سكبت عليها في الختام اللعنات خالدات ، وقذفت بها إلى درك الجحيم .

أنت لست إذن عدواً للمرأة يا صديقي ، بل هي التي ستجافيك ولا تتأوحك لأنك لست كفؤاً للسيادة عليها .

* * *

مأرميت الى الوقوف من هذه القصة موقف المحلل المفصل لأدوارها . فقد فعل ذلك الأستاذ الكبير عباس العقاد ووفاها حقها من البيان والتوضيح نقداً وتقريظاً ، وقد حاول من قبل الناقد سيد قطب أن يقف هذا الوقف ، ولكنهُ تعسر فازلق فغاب خلوها من عنصر « الشك » كأن الشك عنصر أساسي لا تستقيم القصة بدونه !!! وانه لمن الوصف حقاً أن يعمو ناقد زكي كسيد قطب هذه الهفوة الشنيعة .

أعود فأقول أني ما إلى هذا الوقف رميت . ولا إلى هذا القصد اتجهت ، انما هي لمحات في النطور النفسي والتي استلمحتها فيك فسجلتها في هذه السطور .

مخلق بي أن أقول لك يا صديقي انك لم تعتق نفسك بعد من طور الاغارة على أفكار المفكرين ، ولم تقوَ بعد على الاستقلال بفكرك وحدك ظناً منك بأن كل ما هو غربي يصلح لان يكون شرقياً واليك المثل :

قلت في خاتمة القصة بلسان راهب الفكر تدلل على ازلاق الرأة العصرية في مساوئ المدنية الحديثة وتعدد أسباب هذه المساوئ الخلقية « هكذا في عصورنا الحاضرة ضعفت تيارات الأديان عن صد تيار المرأة » !!!

تعرف جيداً يا صديقي ان المرأة المسلمة غير ملزمة بأن تكون متدينة ، فلا رجلها ولا رجال الدين يطالبونها باقامة الشعائر والفروض ، انما الذي يفعل ذلك هو رجال الاكليروس المسيحي ولهم على المرأة المسيحية وعلى الرجل أيضاً سلطان أي سلطان ، فاحتجاجك بالدليل النصراني على المرأة المسلمة ، انما هو اقياس غير موفق أو إغارة على فكرة طيبة لمصلح غربي ، لا يليق بك اقحامها في جونا الشرقي والصاقها بالمرأة المصرية المسلمة .

سلامٌ عليك يا صديقي الحكيم يوم تعتق ذاتك من كل هذه القيود ، وسلامٌ عليك يوم تبعث فينا أدباً رفيعاً مبتدعاً من ينبوع نفسك الفياض فتكون قدوة لطلاب المثل العليا في الفن والذوق ، ونحبة اخلاص من صديقك .

حبيب الزحلاوي

أساطير الحب والجمال عند الاغريق

للاستاذ دريني خشبه — مطبعة الرسالة — ٣٧٥ صفحة من القطع المتوسط

كان لسليمان البستاني فضل أي فضل في ترجمة الالياذة الى الشعر العربي، بعد أن ظلت محجوبة عن المكتبة العربية زماناً طويلاً. وكان له فضل أي فضل في مقدمة جليلة قدمها بين يدي الملحمة، فجاءت مقدمته كتاباً برمته يحتل مكانه في تاريخ الأدب.

وظهر بعد البستاني كاتب أخذ يشق سبيله الى منزلة الأديب عن سبيل تعريفنا بقصص فاتنة من الحب والجمال عند الأغريق. وكان الذين يقرءونه من حين الى حين في مجلة الرسالة يعجبون به، ويتشوقون الى تلك القصص التي عرف ناقلها كيف يلمس بها مواطن التقدير في قلوب القارئين.

هذا الكاتب الناقل هو الاستاذ دريني خشبه الذي يقدم اليوم الى المكتبة العربية السفر الأول من ديوان الأدب اليوناني. وهو على ما أعلم ماض في سبيله الى تقديم أسفار أخر. حتى لقد أصبح حبّه لقراءة الأدب الأغريقي هوًى لازماً.

ولهذا الكتاب مقدمة أبان فيها الكاتب بعض أغراضه، وقدّم لنفسه بعض العذر عما أورد من ألوان حب اغريقي، ليس من الصدق أن يتعمد الكاتب اخفاءها. الا انه على الرغم من ذلك راعى أكرم تقاليدنا، وحرص على ألاّ يجرح أذواقنا بألوان لا تجري على موروث عادتنا. وقد يكون المؤلف في هذا التصرف خالف منهج الصدق قليلاً، أو جار على مذهب الأمانة النقلية قليلاً. ولكنه ما جاوز الانصاف لأدبه العربي وخلقه العربي ولسانه العربي، حين عمد الى حذف ما لا يتفق مع الطبع العربي الكريم.

وقديماً تحرّج أدباء العربية في عصور الترجمة العباسية من نقل الأدب اليوناني الى الأدب العربي خشية ما فيه من آلهة وثنية لا تتفق مع فكرة الاسلام الموحدة. وقد يكون للقدماء من أدباء العرب عذر في تحرجهم، وهم لم ينفضوا غبار الوثنية عنهم الا منذ قرن وبعض قرن من الزمان... أما اليوم وقد أصبحت فكرة الآلهة موضعاً للتندر والسخرية في قلب الرجل الموحد، فلا ضير اذن من ان تعرض علينا تلك الآلهة كما كان يتصورها الأغريق، ولا ضير على التوحيد الصحيح من أن يقرأ آثار الوثنية المغمورة في أطياف شاردة من الخيال.

ولقد تصرّف الاستاذ دريني خشبة تصرفاً آخر في النقل، فهو يعترف في مقدمة الكتاب بأنه ينقل نقل رواية لا نقل ترجمة، وكأنما أحسّ صدقنا وهو يقدم على هذا الصنع ان اعتراضنا سيوجه اليه، وانه غير مفلت من النقاد. فأراد أن يدفع عن نفسه،

ولن يتخذ « هيئة الدفاع » عنه الاستاذ « توماس بلفنش » الانجليزي من أدباء القرن التاسع عشر . فاتخذه دريني خشبة دليله في نقل الأساطير واتخذ طريقته في الرواية لا في الترجمة . ومضى في سبيله مطمئنا الى عمله ، معتذراً بأن ترجمة النقل قد يكون فيها من الجفاء والخشونة ما يباعد بينها وبين مساغ الذوق عند القارئين .

على أن هذا الدفاع قد لا يعفيه من النقد ، وقد يسلط عليه من يقول له انه أسرف في الرواية الى حد قد يباعد بينها وبين الاصل . فكأنه قد فرّ من مباعدة عن الذوق الى مباعدة عن الأصل . ولكنه على كل حال قد أبدع في الرواية ، وأتاه على الابداع بيان قوي وأسلوب أخاذ يجري على الطبع العربي الاصيل .

والحق ان أسلوب دريني خشبة فيه من الجمال والقوة ما يجعله خليقاً بنقل الأدب اليوناني . وفيه من الحلاوة الفنية ما يناسب حلاوة هذه الأساطير . حتى لا نبعد عن الحق اذا قلنا ان «أساطير الحب والجمال» هي تحفة فنية للمكتبة العربية . ولا بدّ انها لاقية من تقدير الأدباء والقراء ما يجزي عن شكر الأستاذ ويقوم مقام ثوابه .

ولقد تميز الاستاذ الزيات صاحب الرسالة بأسلوب فني متفرد جعله مدرسة وحده . وجعل له تلاميذ يتأثرونه ويعشون على غراره . ولا يشك أحد في ان دريني خشبة متأثر في أسلوبه بأسلوب الزيات الى حدّ كبير . الاّ ان دريني يخلع على الالفاظ من الأغراق والمبالغة ما لا يحتمله المعنى وقد ينوء به . وهذا الاسراف في أسلوبه قد يعيبه ويجعل سبيل الناقدين اليه مطروقاً .

وهذا الاغراق قد يدفعه — عن غير قصد — إلى التهاون في (استعمال) الأساليب . وهذا التهاون مما لا يجمل بأديب تقليديّ أن يصنعه . واذا جاز ذلك من المجددين الذين لا يبالون — في جهل وادعاء — بقيم الأسلوب الصحيح ، فانه لا يجوز من أديب مثل دريني خشبة رأينا منه في كل حالاته حفاظاً على اللغة .

وإلاّ فما باله يستعمل من ٢٠ « فرأى الى الخنجر » وحرف الجر هنا لا لزوم له . ولكنه يأتي مع الفعل المنفي دلالة على التعجب كقوله تعالى « ألم تر كيف فعل ربك بعاد » . وقد وردت في القرآن على كثرة مع النفي لا مع الاثبات . وما أظن أني قرأتها في كتاب .

وفي ص ٣٦ « وليث تركيوس وحده يضرب أخماساً لأسداس » . فاستعملها بمعنى الحيرة والتردد في الأمر . وما قال بذلك شرّاح الأمثال العربية — راجع أمثال الميداني في شرح « يضرب أخماساً لأسداس »

وفي ص ٦٣ « منية القلب وهوية النفس » . وأظنها هوى النفس

وفي ٤٥ « يصمد للعصبة القوية » بمعنى يثبت . والفعل معناه يقصد لا يثبت كما شاع ذلك على السنة الكتّاب خطأ ، ومنه « الله الصمد » أي المقصود في الحاجات .

وفي ص ٣٤٢ « والسرق إلى الكهوف » وهو استعمال غريب لا أدري وجهه . ففي اللغة السرقت مفاصله أي ضعفت . والمؤلف يريد تسلل إلى الكهوف . ولم يرد في معجم تحت يدي .

وفي ص ٣٤٧ « بالعبير النباح » والصحيح « الفواح » لأن الفعل فاح يفوح لا فاح يفيح بقيت في النفس كلمة . وأظن الأستاذ دريني لا يضيق بها ، لأن طلاب الكمال لا تضيق نفوسهم بكلمة إلخ . فقد كانت الأساطير في حاجة إلى مقدمة علمية تاريخية في نشأة الأساطير وعقيدة اليونان في الآلهة وتصديقهم نزولها على الأرض تخوض المعارك وتدير الخطط وتجري مع البشر فيما يجرون من أمور . ولعلّ ذلك كان واجباً على من ينقل أساطير الأغريق إلى الأدب العربي بعد احتجابها عنه دهراً طويلاً . فتلك دراسة كانت تقف القارئ على كثير من أمور الفكر اليوناني . ولقد أنصف المستر Y. S. Marvin وزميلاه Mayar و Stawell حين قدموا بين يدي كتيبهم الصغير (مغامرات الأوديسة) . أما أن يعفي الأستاذ دريني في عرض القصص من غير تقديم تاريخي لها فذلك ما نرجو أن يستدركه في تراجمه المقبلة للأدب اليوناني .

والحق أن المكتبة العربية قد ظفرت بهذا الكتاب الذي جمع بين براعة الفكر اليوناني في أساطير حبه . . . وبعضه أيضاً وبين قوة الأسلوب العربي وطواعيته لحسن التصوير .

محمد عبد الغني حسن

قواعد الهرموني : علم توافق الأصوات

تأليف أحمد بيري — ١٦٢ صفحة ٢٢ × ١٥ طبع مطبعة التوكل بمصر

كتاب جديد يضيف ثروة قيمة إلى خزانة المكتبة العربية ، فإن المؤلفات الموسيقية العربية هي من الندرة بمكان . ولستُ موسيقيًّا ولا ممن يمتّ إلى الموسيقى بسبب ، إلا ما تولع النفس به من حب السماع والشغف به . ولكن هذا الجهد الحي الذي اضطلع به الأستاذ بيومي في إخراج هذا الكتاب يقتضيني تنويهاً بتلك البراعة التي نسج بها كتابه ، وتلك الروح التي أوحت اليه أن يضع هذا الكتاب ليغذو الفن الشرقي ، ولتضيف إلى كنوز العربية نفائس لا يستهان بها ، من المصطلحات الفنية التي وضعها أو أحياها . وهو إذ يقدّم هذا الكتاب بتقديم حسن ، يأبى إلا أن يجعل للعرب سابقة في هذا الفن الحديث ، وهو علم توافق الأصوات (Harmony) لينقل عن ابن سينا قوله : « التركيب هو ما يحدث بنقرة واحدة أو نغمة على وترين النغمة الثانوية والتي منهما على الذي بالكل أو الذي بالأربعة

أو الذي بالخمسة وعلى غير ذلك ، كأنهما يقعان في زمان واحد » . ويذكر من تاريخ هذا الفن عند الاوربيين أن الناس قديماً كانوا « يؤمون ساحة البابوات في الاعياد والمواسم يرتلون وينشدون الادعية والتهاني ، في جماعات تجمع بين أسنان مختلفة وأجناس متباينة ، وأصوات تتفاوت علواً وانخفاضاً ، ولينا وقوة ، ومرونة وصلابة . وعن هذا الجمع المختلط كان يصدر ما يصدر ، فيسمعه السامع فيحس فيه انسجاماً ، ويلمس منه توافقاً . ومن هنا عنّ للاستاذ هوكباند في القرن العاشر أن يوجه نظر المشتغلين بفن الموسيقى إلى هذه الظاهرة والانتفاع بها ، فكانت نشأة علم الهرموني . وكان مبدأ الانتفاع بالأصوات المختلفة التي تكوّن مجتمعة أنغاماً فيها توافق وانسجام » .

وقد أتمّ الاستاذ المؤلف الجزء الاول من الكتاب في ١٦٢ صفحة تتخللها الرسوم الموسيقية وعقّب على فصول الكتاب بمسائل في الموسيقى التطبيقية . وقد لحظت أنه يبدأ هذه المسائل من يسار الكتاب إلى يمينه جرياً على ما هو متبع في المذكرة (النوتة) الاوربية وكان أولى به أن يعرب هذه الطريقة بأن يبدأ بالمميز ، إذ ليست هناك أية ضرورة فنية لايثار الطريقة الاوربية .

إن جهاد المؤلف في هذا الكتاب حقيق بكل حفاوة وتكريم وتهنئة ، كما أنه يستوجب شكر كل من يخدم اللغة العزيزة ويرعاها

عبد السلام محمد هارون

الهجوم على اوربا

للملازم اول السيد فرج — ١١٩ صفحة من القطع الوسط — نشرته دار المعارف بمصر

للملازم أول السيد فرج نشاط محمود في نشر الثقافة العسكرية فقد أخرج عدة كتب عن الحرب المستمرة كان آخرها هذا الكتاب الذي تناول موضوعاً شغل أذهان الناس زمناً

فلقد بسط النازيون جناحيهم على القارة الاوربية وأقاموا ما أقاموا من حصون ومعاقل ثم أذاعوا على الناس ما اذاعوا عن قوة هذه الحصون والمعاقل وعن قوى ما لديهم من معدات واستعداد يقف حائلاً دون ان يخطر أقدام الديمقراطيات عتبة هذه القلعة . وظلّ غزو أوربا أملاً تتعلق به الانسانية الجريحة ليكون من ورائه نهاية آلامها ومتاعبها ولتقضي الديمقراطية على آثار الطغيان وتردّه الى صوابه حتى أقدمت جيوش الحلفاء على الغزو في صقلية اولاً ثم قفزت الى ايطاليا ثم هبطت على الجدار الاطلسي فجعلته خرانة وقضت على حلم النازية .

هذه هي المواضع التي تناولها الكاتب الفاضل وهي موضوعات تحتاج الى كثير من التوسع . فعسى ان يستطيع الكاتب — بعد انتهاء الحرب واستطاعة الحصول على كثير من الوثائق والتقارير — جعل كتابه أكثر اتساعاً وأكثر شرحاً .

الاسلام والنصرانية
مع العلم والمدنية

أصدرته « دار المنار » وهو من تأليف الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده مع شرح وتعليق بقلم السيد محمد رشيد رضا والكتاب دائرة معارف إسلامية ردَّ فيه المؤلف على كثير من الشبهات التي ألصقت بالدين الاسلامي كما بيَّن حقيقة هذا الدين وخدمته للعلم والمدنية وقارن بينه في ذلك وبين المسيحية وذكر نبذة تاريخية لكل منهما . ثم بيَّن حالة المسلمين الحاضرة وبحث علتهم وأمراضهم الاجتماعية كما بين علاجها، فهو كتاب جدير باطلاع الباحثين في الأديان بوجهٍ عام ولا يستغنى عنهُ مسلم ولا مسلمة . وفي آخره بحث فريد في نوعه عن فلسفة ابن رشد ومذاهب المتكلمين بقلم المؤلف أيضاً . ويطلب من « دار المنار » بشارع الإنشا رقم ١٤ بالقاهرة . وثمن النسخة خمسة وعشرون قرشاً وأجرة البريد قرشان .

الليلة الثانية عشرة

للشاعر شكسبير وتعريب محمد عوض ابراهيم بك — نشرته دار المعارف

عني الاستاذ محمد عوض ابراهيم بك بنقل آثار شاعر الانجليز الخالد وليم شكسبير إلى العربية ، فها هو ينقل رواية أخرى من روايات هذا الشاعر هي « الليلة الثانية عشرة » وهذا عمل مشكور وجهد طيب . ولعلّ المعرب الفاضل يولي ترجماته عناية بالغة بالاسلوب ليخلد أدب الشاعر في العربية كما خلد في لغات العالم الاخرى .

ضحكة العروس

قصة مصرية — بقلم ابراهيم عز الدين اسماعيل — مطبعة التوكل

هذه قصة طريفة لمأساة فتاة كتبها مؤلفها في براعة وفي أسلوب جميل ونَفَس شاعري عذب ، ولكنه جرى فيها مجرى الاسلوب الانشائي . غير أنها منبثة عن إشراق جميل في عالم القصة للاستاذ ابراهيم عز الدين اسماعيل مؤلف هذه القصة .

سحر أميركا

بقلم حسن فريد — ٦٨ صفحة من القطع الوسط — المطبعة المصرية

هي خواطر ومشاهد يسردها مؤلف هذا الكتاب بعد رحلته إلى المعرض العالمي الذي أقيم في نيويورك عام ١٩٣٩ وقد كتبها — على حد تعبيره — باللغة السهلة البسيطة وتخللها بعض الفكاهات والحوادث المثيرة . ولكن ما يكاد القارىء يطالع صفحاتها حتى يرى ان المؤلف عني بأشياء خاصة به أكثر من العناية بالموضوع الذي يتبادر إلى ذهن القارىء من عنوان الكتاب .

باب الأخبار العلمية

من معجزات العلوم والفنون

القلاع الطائرة

هي الطائرات الأميركية فائقة القنابل التي تصنعها مصانع بوينج لتحلق في أقصى طبقات الجو . بل هي الطائرات الهائلة التي أحدثت أعظم انقلاب في الحرب الجوية العصرية في أوروبة وافريقية حيث كانت وما زالت تهال قنابلها الفتاكة من القبة الزرقاء ، وهي تكاد تختفي عن أبصار أعدائها وتغيب عن أسماع مراقبيها على الغبراء . فلا غرو إن عُدّت أغرب حادث في الحرب الحاضرة الشعواء

مبلغ ارتفاعها ومقدار وسقها

المعروف أن البارجة التي تبعد عن الناظر اليها من علو ٣٠٠٠٠ قدم ، يراها مثل حجم رأس الدبوس . أما الأهداف التي تفوق ذلك البعد فإن مطلق الدفع عليها من ارتفاع ستة أميال وهو العلو الذي تبلغه هذه القاذفات لا بدّ له من كشفها بالمقراب « تليسكوب » ومع ذلك فإن القلاع الطائرة تقلّ في ذلك الارتفاع حملاً ضخماً من القنابل تفوق زنتهُ ، وسق أية طائرة من الطائرات الحربية جميعاً . وكذلك سرعتها وبعدها وسلامتها من الأخطار ، تبزّ كل الطائرات التي تطير في جوّ أخفض مما تحلق فيه القلاع الطائرة حيث تعمل أعمالاً محدودة. ومن ثمة تحققت أماني المخترعين الأميركيين الذين ابتدعوا هذا الضرب من الطائرات الحربية ، وذلك في زمن كان يسخر منهم فيه الخبراء الأجانب في فنّ الطيران ، لصعود تلك الطائرات إلى الطبقات الجوية السحيقة - صعوداً كان الناقدون لا يرون لهُ موجباً . ولما أتيح للقلاع الطائرة التحليق إلى ٣٠٠٠٠ قدم ، لم يقنع مخترعوها بهذا الفوز الذي لم يسبق له نظير بل ظلوا يبذلون كل ما في وسعهم في سبيل قيام هذه القاذفات الجديدة بأعمالها الناجحة أيضاً عند ما ترتفع ارتفاعاً يتفاوت بين ٣٥٠٠٠ و ٤٠٠٠٠ قدم موقنين أن منطقة القتال في المستقبل سوف تبلغ أخيراً ٥٠٠٠٠ أو ٦٠٠٠٠ قدم من الارتفاع أو ١٠ أميال أو أكثر فوق سطح الأرض .

ثياب الطيارين وخوذهم

وفي مثل تلك الارتفاعات العظيمة لابدّ للطيارين من ارتداء ثياب غريبة وخوذ

عجيبة الشكل ، تلائم خفة ضغط الهواء هناك ثم الاستعانة بغاز الاوكسجين المخزون لديهم تسهيلاً لمواصلة تنفسهم في خلال طيرانهم وكذلك وجوب مراعاة محادثة بعضهم بعضاً بأصوات مدوية في أجهزة التليفونات اللاسلكية التي يستعملونها .

أعظم منافع التحليق للقاذفات

وعليهم أيضاً اتقان تعلم الفنون الجديدة الخاصة بالقتال في أعلى طبقات الجوّ لأن الطائرات ورصاص البندقيات وقنابل المدافع جميعها تؤثر تأثيرات غريبة في الهواء البارد القليل الكثافة الذي تطير فيه هاتيك القاذفات المجهزة . ولارتفاع القلاع الطائرة في الجوّ ارتفاعاً شاهقاً ، فوائد حربية جمة وذلك فوق ما ينجم عنه من الاقتصاد العظيم في النفقات الخاصة بالادارة ثم السرعة الفائقة لأن قاذفة القنابل تحلق فوق أغلب الأحوال الجوية جميعها ، فتسيطر عليها حيث تصير كمصطبة تصرب منها القنابل تصويباً محكماً نحو أهدافها . وقد ثبت ان المدافع المقاومة للطائرات لا تصيب تلك القاذفات الاميركية حتى في مستوى تحليقها الحالي . ثم ان الطائرات المعادية التي تطاردها ، في الجو لا تستطيع بلوغ شأوها في الارتفاع المشار اليه ، وهي ليست كثيرة العدد .

الاحوال الجوية في الطبقة العليا

ومن جهة أخرى إن درجة الحرارة المعادية في علو ٣٥٠٠٠ الف قدم هي ٦٧ تحت الصفر ، ومقدار الضغط الجوي ٣٫٤٥ رطلاً فوق كل عقدة « بوصة » مربعة . وفي ذلك الارتفاع الشامخ لا يوجد غاز أوكسيجين كافٍ لمواصلة التنفس الضروري للحياة . وهذه الظروف مجتمعة ، وما يقترن بها من شتى المتاعب التي يتجشمها الطيارون كان لا بدّ من تذليلها قبل الاعتماد على الاستفادة الفائدة المنشودة من تحليق القلاع الطائرة الى ارتفاع ٣٠٠٠٠ قدم ، وكانت هذه العقدة نفسها أصعب حلاً بلا شك عند اجتياز الخطوة التالية من التحسين ، وهي بلوغ ارتفاع القاذفات ٣٥٠٠٠ قدم . ومنها أن زفير الطيار يتكاثف على نوافذ طائرته فيتجمد فوق مادته الشبيهة بالزجاج . ولذلك شرع في تجربة جعل تلك النوافذ مدفأة كانت أو غير مدفأة ، مزدوجة الالواح . ثم إن سخونة كثافة الهواء في ذلك الارتفاع تجعل اشتعال محرك الطائرة عسير الاحكام وهذا مما يفضي الى وضع جهاز الاشتعال في غلاف خاص يحوي هواء مضغوطاً . وكذلك التأثيرات الكهربية في الارتفاعات السامقة تحدث كهربية احتكاكية تعرقل مسير المحادثات اللاسلكية .

تأثير الاجواء

في القلاع الطائرة ومعداتها

ثم إن الهواء الشديد البرودة يحدث تقاصاً في الطائرات ، ينجم عنه تحلل الدهان الذي تدهن به بغية التعمية أو الاستتار

الحربي ، فيتساقط مثل الهبرية « قشور الرأس العالقة بمصيلات الشعر » وذلك عند هبوط الطائرة على سطح الأرض . وحينئذٍ تجف أيضاً أحذية المطاط الواقية من النجمد ، فتتقصم وتتشقق شققاً . ولذلك رُئي جعل تلك المعدات جميعها من مواد جديدة لا يجعلها البرد هشة ، صوناً للطائرات ووقاية لحياة ركابها ، إذ ينجمد الشحم المحيط بالبلي في محاور الأجهزة التي في جوف الطائرة ، كما تتجمد التفاتيح المدهونة بالشحم فتقاوم قادة الطائرات ، وكذلك يتجمد الزيت المودع في الزيت المستديرة في مراوح الطائرات ، ثم تهبط بغتة الابر المركبة على مبناه ضغط الزيت الذي في المحرك ، ولو كان ذلك الضغط سوياً . وهذه الأمور جميعها مما يربك الطيارين . أما السائل الذي في الأجهزة المائية فلا يتأثر باختلاف درجات الحرارة التي تصادفه . غير انه لا بدَّ من اختراع قواعد جديدة لتركيب أغلب الزيوت والشحوم الأخر المستعملة في الطيران المرتفع . ويجب أن تقوم الأدوات جميعها المستعملة في الطائرات بوظائفها خير قيام في أشد درجات البرد ، كما تؤديها في درجة حرارة ١٥٠ فرنهيت .

الاحتياطات الواجبة لاجهزة الطيران ووقاية الطيارين

ثم ان زيادة الضغط في الفناطيس الخاصة بالوقود ، مضافة الى استعمال الانابيب الفائقة الحجم ، أمران ضروريان . ومثلها أنابيب الوقود اذ يجب جعل ثنياتها طويلة ملساء ، بدلاً من الثنيات الحادة التي توجد حول الزوايا لأن الوقود يتحول قُفَّلاً لحابس البخار ، وذلك في الزوايا الحادة . وتسهيلاً لحل تلك العقد ، قامت الدائرة الخاصة بالطيران والغازات وضغطها وحركتها ، في شركة بوينج للطيران في مدينة سيتل بالولايات المتحدة الاميركية باجراء تجارب في الطيران بمجموعة كاملة من الملاحين اللازمين للطيران في ارتفاع ٣٥٠٠٠ قدم لأن الاحوال الجوية في ذلك العلو الفائق تكون شاقة جداً فتستوجب التفرغ للوقاية من ضررها ، وذلك بزيادة عدد أقنعة الاكسجين دائماً فتوضع في حجرة الطيار لتستعمل عند حلول الطوارىء أي حينما يكسر الطيار أو ينوي عرضاً الانبوب الرقيق الموصل للاكسجين الى قناعه

عوضه جرى

(استدراكان)

* جاء في متن الخطابا المنشور في مقتطف مارس الماضي ذكر العالم الكيميائي كابرل فكتب خطأ ترسيس فنستدرك عن ذلك

* ضاق نطاق المقتطف عن نشر بقية بحث الاستاذ ادوار مرقس « الاتحاد النووي » ونرجئه الى العدد القادم .

ألغاز العلم

(تابع المنشور على الصفحة ٣٠٤)

وقد عمد عالم أميركي منذ سنوات ، إلى أن يسأل نفسه ومعاونيه هذا السؤال : حين يصاب نسيج حيّ بجرح ما ، تنشط الخلايا المجاورة للخلايا المصابة ، فتتكاثر تكاثراً سريعاً ولا تعود الى حياتها السوية وتموّها المقيّد ، إلاّ بعد أن يتولّد النسيج الجديد ويندمل الجرح . فلا بدّ أن تكون هناك مادة تسيطر على حياة الخلية وتحركها حيناً بعد حين . فاذا كشفنا هذه المادة ، وما تفعل وكيف تفعله ، فمعنى أن نفوز بالمفتاح الذي يفتح أغلق مغلقات الخلية . ثم خطا هو ومساعدوه الخطوة التالية :

أحدثوا أذًى في خلايا حية ثم راقبوا ما يقع لها ويتمّ فيها . وقد استعملوا الأشعة التي فوق البنفسجي ، وهي مفيدة إذا كانت قوتها ومقاديرها يسيرة ، وهي فتاكة إذا كانت مقاديرها وقوتها كبيرة . فذهب هذا الباحث إلى إنهُ إذا استعملها في قوة ومقدار — فوق القيد ودون الفتاك — حدث الأذى بالقدر المطلوب .

وقضت الجماعة سنوات ، ورجالها مكبون على أنابيب الاختبار تحت مصابيح الأشعة ، والخلايا العالجة على هذا النحو تمرّ أمامهم — خلايا الناجح أجنة الفراخ ، وخلايا السمك والسمك وأكباد الحيوان وما أشبه . جميعها عرضت لهذه الأشعة ، وكانوا إذا ما بلغ الضرر الواقع لها من التعرض للأشعة ، مرتبة معيّنة ، يأخذونها ويغسلونها في محلول خاص . ثم ترشح الخلايا من المحلول . فاذا كان في هذه الخلايا مادة ما تولدت فيها بفعل الضرر الذي أصابها فيجب أن تكون في هذا المحلول المعقم الخالي من الخلايا .

وقد وجدوا مادة جرّبوها بتغطيس قطعة من نسيج جنين فرخ — لم تعرض للاشعة — في هذا المحلول فاذا نشاط عجيب في نمو الخلايا وتكاثرها .

قل أباحت الخلية سرًّا من أسرار نموّها ؟

لسنا نعلم ، وليس ثمة ريب في أن هذا البحث وعشرات من قبله ، تشغل عقول العلماء . وإلى أن يسفر عن كشف يؤيده العلماء ، يجب أن نعترف ، بأن العلم لم يزل مقصراً عن فهم نموّ الخلية وتكاثرها — وبخاصة سرّ خروجها على قيود النموّ السوي .

هدية المقتطف السنوية

لسنة ١٩٤٥

سبعة كتب في كتاب

قام المقتطف في حياته التي بلغت ستين سنة ، وإلى جانب مجلداته التي بلغت مئة ومائة مجلد ، بخدمة أدبية لا تقل عن خدماته التي أداها للعالم العربي في حياته الطويلة بمجلداته تلك ، إذ جرى على أن يهدي مشتركيه كتاباً يعوّض به احتجاب المقتطف شهرين في نهاية كل سنة . وإذا استعرضت هدايا المقتطف منذ نشأته إلى اليوم وقعت على مكتبة كاملة في التاريخ الطبيعي والفلك والارتياد والكيمياء والموسيقى والأدب والقصص . وسيضم المقتطف إلى هذه الثروة الأدبية العلمية ثروة جديدة إذ يقدم لمشتركيه عن سنة ١٩٤٥ هدية ممتازة هي الجزء الثاني من كتاب

المنتخبات

بقلم العلامة الكبير احمد لطفي السيد باشا

الذي يضطلع اليوم برياسة مجمع فؤاد الأول للغة العربية بعد أن نشأ جيلا بعد جيل منذ ما كان رئيساً وموجّهاً لجامعة فؤاد الأول . هذا إلى ما آثره الأدبية الأخرى التي يضفي بها على الأدب العربي لباساً جديداً بترجمة ارسطوطاليس ، يضاف اليها فصوله الباقية التي نشرها في « الجريدة » ومنها استخلص هذه المنتخبات .

والجزء الثاني من هذه المنتخبات سبعة كتب في كتاب : وهذه موضوعاتها :

الكتاب الاول : في التربية والتعليم

التربية والتعليم — حالة التعليم عندنا — الى القائمين بالتربية والتعليم — مذاهب التربية — المذهب العلمي للتربية والتعليم

الكتاب الثاني : الى نواب الأمة

الى نواب الأمة — حريتنا — الحرية ومذاهب الحكم — الاحزاب — حقوق الكافة وسلطة التشريع — حرية التعليم — حرية القضاء — حرية الصحافة — حرية الخطابة — حرية الاجتماع — مذهب الحرية مفيد للافراد وللامة جميعاً — خاتمة

الكتاب الثالث : مشاهدات عامة

اليأس — الحال الأخلاقية — حالنا الاقتصادية — حالنا السياسية — مشاهدة بيكولوجية .

الكتاب الرابع : في اللغة العربية

التأليف باللغة العربية — الى الأمام : في اللغة أيضاً — اللغة العربية — رقوا لغتكم .

الكتاب الخامس : البنات والابناء

أبناؤنا وبناتنا — بناتنا وأبناؤنا — البنون والبنات — الى الفتيان : الوطنية .

الكتاب السادس : في التأمل

القدوة الحسنة — الآثار القديمة — آثار الجمال وجمال الآثار — ربيع الحياة — جني القطن — أول العام — الرجل السعيد — الرجل الصريح — زهر الربيع — الصداقة

الكتاب السابع : بحوث عامة

سلطة الأمة — في سبيل الارتقاء — الحرية — تضامننا — مصريتنا — المصرية — آمالنا — التقليد — سر تطور الأمم — الحرية الشخصية — خبز السجون — من أجل ذلك نطلب الدستور — حقوق الأمة — الكفاءة الاقتصادية — النظام الاقتصادي — وفاة فتحي زغلول باشا — وداع الوزارة — تأبين أحمد فتحي زغلول باشا — الحرب .

***

هذه سبعة كتب في كتاب تصلك هدية من المقتطف في آخر السنة . وسيتم طبع هذا الكتاب الفذ في حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير .

وتُرسل الهدية الى الذين سددوا قيمة الاشتراك عن سنة ١٩٤٥ وللمشتركين الجدد عن سنة كاملة . وثمن الكتاب لغير المشتركين أربعون قرشاً مصرياً بخلاف البريد .

فهرس الجزء الرابع

من المجلد السادس بعد المائة

٣٠١ ألغاز العلم : صلة المادة بالاشعاع ، سر الخلية المتكاثرة : فؤاد صروف
٣٠٥ جامعة الأمم العربية ٥
٣٠٩ بلاد العرب للعرب : اسماعيل مظهر ٣١٢ أوصيك : عن توماس جفرسن
٣١٣ ارثر ادنجتن : قدري حافظ طوقان
٣١٧ كنوز الصحارى المصرية : عبد الحليم الياس نصير
٣٢٠ بطاقات الوحدة (قصة) : عن فاندا فاسيلفسكا ٣٢٢ أمنعب أنت ؟
٣٢٥ في حب الوطن : ابن الرومي
٣٢٦ المذهب الشيعي قبيل الدولة الفاطمية : عطية مصطفى مشرفة ٣٣٢ أمراض الوهم
٣٣٣ الاخلاق وتناسخ الشخصيات
٣٣٨ واقعة الفالس (قصيدة) : عدنان مردم بك
٣٣٩ الكم الذكر وله الأنثى ٣٤١ منديل في البادية
٣٤٣ طابع السياسة الدولية بعد الحرب : صلاح الدين الشريف ٣٤٦ واعظ يؤيد وعالم ينفي
٣٥١ الابتلاء بالملك : من سيرة عمر بن عبد العزيز
٣٥٢ اصلاح الخط العربي : دكتور متى عقراوي ٣٦١ بين ملك وعالم
٣٦٢ كلمة الشاعر : الدكتور بشر فارس
٣٧٥ الريف والزراعة في الولايات المتحدة : وديع فلسطين ٣٧٧ يناير
٣٧٨ الواجب (قصة) : عن اسكندر إزياخ ٣٨٠ أصالك والحوى
٣٨١ الضمان الاخلاقي
٣٨٥ النظام الاقطاعي والملك ايخ ـ إن ـ آتون : الدكتور باهور لبيب ٣٩٠ اختصر
٣٩١ الاحلام والروح : أحمد فهمي أبو الخير ٣٩٦ اميركا تنبذ درويش
٣٩٧ من أنواع النبات الطبي : محمود مصطفى الدمياطي بك
٤٠٠ باب المراسلة والمناظرة ٥ مقاومة مرض الملاريا : لماني ابراهيم عبد الهادي بك وزير الصحة . الجمل المجهول في لغة الذر : لدولا الحداد . نظام الاكل : للدكتور شخاشيري
٤٠٦ باب مكتبة المقتطف * الى توفيق الحكيم : خليب زعلاوي . أساطير الطب والجمال عند الاغريق . لمحمد عبد النبي حسن . قواعد الهرموني علم توافق الاصوات : عبد السلام محمد هارون . الهجوم على أوروبا . الاسلام والنصرانية . القبلة الثانية عشرة . شجعة العروس . سعر اميركا
٤١٤ باب الاختبار العلمي * اقلاع الطائرة . سبب ارتفاعها وهبوطها . باب الطيارين وخوفهم . عظم مناطق التحليق فالخوافق . الاحوال الجوية في الطبقة العليا . تأثير الاجواء . الاحتياطات ورقابة الطيارين : لموس جندي . استدراكان